محمد حجازى

هُما



ترجمة : سامية شاكر

مراجعة: ماجدة العنانى

المركز القومى للترجمة

2304

هُمــا

(رواية)

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور

إشراف: كاميليا صبحى

سلسلة الإبداع القصصى
المشرف على السلسلة: خيرى دومة

- العدد: 2304
- هُمَا
- محمد حجازى
- سامية شاكر
- ماجدة العنانى
- اللغة: الفارسية
- الطبعة الأولى 2013

هذه ترجمة:

هما

محمد حجازي

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 Fax: 27354554

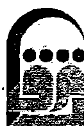
هُمـــا

(رواية)

تـأليف   مـحـمـد حـجـازى

ترجمـة   سـامـيـة شـاكـر

مراجعة   مـاجـدة العنانى



2013

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

حجازي، محمد
هُما (رواية)/ تأليف: محمد حجازى؛
ترجمة: سامية شاكر؛ مراجعة: ماجدة العنانى.
ط١ - القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠١٣
٢٢٢ ص؛ ٢٠ سم.
١- القصص الفارسية.
(أ) شاكر، سامية. (مترجم)
(ب) العنانى، ماجدة. (مراجع)
(جـ) العنوان ٨٩١,٥٣

رقم الإيداع ٢٠١٢/١٧٦٥٣
الترقيم الدولى I.S.B.N. 978 - 977 - 718 - 072 - 6
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

كلمة المترجمة

(هُمـــا)

الواقع الذى يمليه الأدب فـى مسيرته عبر الأجيال، أنه قائد الأمة وموجهها نحو التقدم والخير والحضارة، لأنه الصدى الصادق لرغبات هذه الأمة، والسجل لتياراتها النفسية واتجاهاتها الفكرية.

والأدب الفارسى أدب تطور مع الزمن فى أسلوبه وحاجاته وطاقاته المختلفة، فكان خير هاد ونعم المرشد وأجمل مصور لمآثر الشعب الإيرانى وأحزانه ومشكلاته.

عاصر محمد حجازى فترة دقيقة من تاريخ إيران، وتأثرت حياته بما شهدته تلك الفترة من اضطرابات وقلاقل منذ نهاية سلطنة "آل قاجار" وبداية سلطنة "آل بهلوى" وازدهارها ونهايتها.

وعلى المستوى الثقافى نرى أن النظم والنثر الفارسى كان أكثر رقيًا وتقدمًا، ويرجع السبب فى هذا التقدم النسبى للأدب الفارسى إلى

تلك الحركة الثقافية التى ظهرت فى عصر آل قاجار ، كما كان الاتصال بأوروبا فى ذلك الحين من أهم عوامل ظهور الحركة الثقافية.

وقد تنوع إنتاج محمد حجازى الأدبى بين الرواية والمسرحية والمجموعات الأدبية، والتى تعد نموذجًا رفيعًا للأدب الاجتماعى وصدىً لمشكلات بلاده وما تعانيه.

أوائل شهور الشتاء وفى الصباح الباكر. دخل رجل طويل القامة نحيف، تبدو عليه سمات الأصالة، سوق السماسرة وبعد قليل من التردد فى الاختيار، استقر رأيه على شيخ صاحب محل، خلع معطفه ثم سأله: بكم تشترى هذا؟ فنظر صاحب الدكان نظرة كلها لوم وقال: يبدو أنك لا تعرف شيئًا عن كساد السوق وحالة الفقر فهو أول استفتاح، وقد جئت لتبيع.

قال: لماذا، أنا لست جاهلاً بحالة الفقر، على كلٍّ فأنا أريد أن أبيع المعطف، فهل تشتريه؟

دس صاحب الدكان يده فى جيبه وأخذ يتحرك للحظات إلى الأمام والخلف كتلاميذ المدرسة، ثم قال بحدة: بخمسة تومانات ثم أدار رأسه، فتعجب "حسن على خان" وهمس لنفسه: لقد اشتريتُ المعطف هذا العام بثلاثين تومانًا، فكيف لا تزيد قيمته عن خمسة تومانات! وانشغل بإخراج الكتاب والأوراق التى كانت فى جيب المعطف. فرفع صاحب المحل صوته متخيلاً أنه بذلك يروج للسوق وصاح: أشتريه بستة تومانات. فابتسم "حسن على خان" لأنه لم يتوقع أن يضيف تومانًا واحداً.

عند خروجه من المحل، أخذ جسده يرتعد من لسع الثلج، فرفع نصف ياقة الجاكت لأعلى، ومدَّ الكم ليغطى ساعديه، وطأطأ رأسه ثم سار مسرعًا بعد عشرين دقيقة وصل إلى حارة الحاج مهراب ثم طرق بوابة منزل رقم (٢٠) مرة واحدة بهدوء. ففُتِح الباب سريعاً، كأن هناك شخصاً كان ينتظر هذا الصوت، فكانت السيدة طلعت سيدة فى الأربعين تقريبا، ممتلئة قليلاً قصيرة القامة، ترتدى ملابس قديمة، كأن رؤية حسن على خان" قد بعثت بها الروح من جديد، فانفرجت أساريرها وعلت البسمة شفتيها، بعد السلام والسؤال عن الأحوال قالت: تفضَّل إلى أعلى، فـ همَا" اليوم مريضة قليلاً، يبدو أنها أصيبت بنزلة برد. ثم سألت متعجبة: لماذا لا ترتدى المعطف فى هذه البرودة؟!

صعد حسن على خان" درجتين إلى أعلى ودخل الحجرة، دون أن يجيب عن هذا السؤال؟

حجرة فى أبهى صورة، نظيفة ومرتبة ومزينة، ذات كراسى مريحة ومناضد صغيرة، تجعل من كل ركن محفلاً مأنوساً، الحرير الجميل المنقوش ذات الألوان المختلفة، فوق الموبيليا وعلى الحائط، يخطف الأبصار. تزين جدران الحجرة بعض اللوحات الصغيرة والكبيرة، ذات الأطر المزخرفة والتى تحمل إمضاء همَا" هناك مكتبة كبيرة داخل الحائط، تبدو من خلف الزجاج. بالقرب منها، مكتب مغطى بالكتب. تقف خلف المنضدة، فتاة طويلة القامة بيضاء البشرة، وجهها مسحوب،

عيناها واسعة، رفيعة الحواجب، مشّطت جدائلها الكثيفة من الأمام وعقدتها إلى الخلف.

عندما سمِعَت صوت حسن على خان تقدَّمت عدة خطوات إلى الأمام وأخذت يده وقبَّلتها، هو أيضًا قرَّب شفتيه من جدائل هما

قال حسن على خان": هُمَا" لونك شاحب، لعلكِ أُصِبْتِ بنزلة برد، لماذا لا تدفئون الحجرة جيدًا؟ فأجابت السيدة طلعت " قائلة لقد انتهى الفحم من المدفأة، لكن لماذا لا ترتدى ملابس ثقيلة فى هذا البرد؟ فوضع حسن على خان" كتابًا كان بيده على المنضدة، وأخرج الستة تومانات من جيبه وأعطى السيدة طلعت خمسة تومانات منها وقال: لقد تأخرت الشهرية هذا الشهر يومين، لكنى سأدفعها بعد بضعة أيام، أرسلوا حبيب بسرعة ليشترى الفحم؛ لأنه من الممكن أن تؤدى نزلة البرد التى أصابت هما" إلى ما هو أسوأ لا قدر الله.

فأعربت هما" عن امتنانها لهذه المحبة بنظرة وقالت: أنتَ أيضًا لونك شاحب، فلماذا حقًا خرجت دون المعطف؟

قال حسن على خان": أنا لا أشعر بالبرد، ثم أخذ الكتاب الذى كان قد وضعه على المنضدة وقال: هذا كتاب طلاق للكاتب الفرنسى المعروف پول بورچه" هو حكاية بضعة أشخاص بسطاء يعانون من مشكلات نفسية، من الموضوعات التى تشغل فكرك دائمًا، أنا متأكد أنه سيعجبك وبعد قراءته سنجلس طويلاً نناقش معًا القضايا. لو أن قضايا

الدنيا قابلة للحل... خاصة وأنت تنظرين إلى الموضوعات من جوانب متعددة.

أخذت "هما" الكتاب وقَلبت صفحاته، قالت: أعرف أن إصرارى الشديد فى فهم الموضوعات يتعبك وأنا أخجل من هذا لكن الذنب ذنبك لأنك ربيتنى على ذلك، دائمًا كنت تقول لى لا أدع ما لا أفهم، الآن وقد تفَتَّحَ ذهنى ماذا يجب أن يفعل؟! لكنى لا أريد أن تتصور أنى مجادلة ولحوحة.

ابتسم "حسن على خان" قائلاً: أنا لا أعتقد مطلقًا أنَّكِ لحوحة، خاصةً أن إصرارك ودقتك فى فهم الموضوعات هذا، هو قمة سعادتى. بالعكس كل شىء تسمعينه فتقبلينه دون مناقشة، فضلا عن أنه يحرمنى من معرفة مدى ذكائك وقوة منطقك، كذلك يحرمنى متعة المناقشة معكِ، تأكدى أننى منذ ثمانية أعوام وحتى الآن ومن خلال ملاحظتى لكِ فى الدراسة، أدركت كثيراً من الأشياء، فأسئلتك البسيطة تجبرنى على الوقوف على آلاف المشاكل التى كانت تبدو فى رأيى سهلة للغاية، لم أكن أفكر فيها مطلقًا. أعربت "هما" عن امتنانها بإشارة من الرأس، لكنها كانت مشغولة بالكتاب تقرأ من كل صفحة سطرًا أو سطرين، فنهض "حسن على خان" وقال: الآن أذهب، لأنه مادمت لم تقرئى الكتاب، سيظل فكرك مشتتًا. وصيتى هى أن تدفئوا الحجرة جيداً، وأظن أنه من الأفضل ألا تذهبى إلى المدرسة يومين أو ثلاثة. فحَرَّكَت السيدة "طلعت"

رأسها بحسرة وقالت: مـا شـاء الله فـ هما" لا تزال طفلة، لا أعرف متى ينضج عقلها، تلعب مع تلاميذها، وتبلل جبهتها بالعرق. فقال حسن على خان": ألا تعرفين أن الأبرياء، لا يفقدون الطفولة، طوال العمر.

قالت السيدة طلعت" بنظرة مضطربة: تقصد حضرتك أن هما" ستظل طفلة طوال عمرها؟ فضحك حسن على خان" واتجه ناحية الباب قائلاً: اطمئنى فعقل هما" أكبر مني ومنك.

* * * * *

"حسن على خان" عادة ما كان يأتى كل يومين أو ثلاثة للسؤال عن أحوال أسرة صديقه المرحوم "محمد على خان"، ولكن الأيام الأربعة الأخيرة كانت لا تعلم عنه شيئًا! فتوقعت السيدة طلعت" أن يكون قد حدث شيء خاصة أنه لم يدفع الشهرية ولابد أنه يعرف أن تلك التومانات الخمسة قد انتهت. فقالت هما": أظن أنه مريض، لأنه جاء فى ذلك اليوم البارد دون معطف. ما شاء الله عمك العزيز قوى البنيان، فهو لا يهتم مطلقًا بصحته وحالته المزاجية. لو أنه مرض لا قدر الله ماذا يفعل؟ فقالت أمها: انهضى وارتدى عباءتك لنذهب إلى هناك، رغم أننى أتضايق لرؤية وجه زوجته الشؤم، لكن إذا كان مريضًا يجب أن نبقى هناك، السيدة رقية مدمنة للأفيون، سيدة بتلك الأخلاق والعادات القذرة، تأكدى أنها لن تضع ملعقة ماء واحدة فى حلْقه.

قبل الظهر بساعة، دخلت الأم وابنتها منزل حسن على خان منزل صغير، يقع فى حديقة غناء، نظيف براق، نعم فصاحبه رجل بسيط ماديًا لكنه يملك شخصية وذوقًا رفيعًا.

السيدة رقية زوجة حسن على خان ، تبلغ من العمر ثمانية وثلاثين عامًا، فهى أكبر من زوجها بعامين. ونظرًا لإدمانها الأفيون فهى نحيفة سمراء، وجهها مبعثر فلم يعد به ما يشير إلى الجمال أو القبح. كانت تجلس فى الشمس بالركن الشمالى من الفناء على سجادة صغيرة، فألقت السيدة طلعت" و"هما" السلام ودون أن ترد وبلهجة شديدة المرارة قالت: اصعدا لأعلى لتريا حالة عمكم العزيز وكيف يرتعد من الحمى، فلتعم عينه، وهب المعطف الذى يملكه لفقير فأصيب بنزلة برد، كثيرًا ما يفعل تلك الأفعال الباردة، والآن فليتحمل النتيجة حتى لا يكرر تلك الغلطة ثانية.

حجرة حسن على خان" بها منضدة كبيرة مغطاة بالكتب والأوراق، وفى أركانها بضع مكتبات حائطية مكدَّسة بالكتب، وحيثما تكون هناك مسافة بين المكتبات عُلِقَت خرائط جغرافية وصور العظماء والكُتَّاب على الحائط، حين يمرض، يخضر سريره إلى المكتبة لتكون الكتب فى متناول يده.

عندما وقعت عينه على الوافدين قال بصوت كله تضرع وأسف: لقد تأخرت شهريتكم، من حظى السيئ. ثم سالت الدموع على خديه. اقتربت "هما" وأخذت يده وقبَّلتها، وقالت: عمى العزيز سلامَتك، ما أهمية

الشهرية؟ لماذا يجب عليك أن تحزن من أجلنا. قالت هذا ودموعها تنهمر. أما حسن على خان فقد تملك الضعف والوهن منه وكان لا يستطيع أن يلتفت إلى الخارج.

نادت همـا" على الخادم وقالت: اذهب سريعًا وأحضر الطبيب المجاور، أو إذا كان له طبيب معالج آخر فأخبره. طأطأ الخادم رأسه وقال: لم نـأتِ له بطبيب بعد، طلبتُ ذلك مرة، فلم يسمح لى سيدى، قامت هما" وأمها برعاية المريض حتى يأتى الطبيب، بعد ربع ساعة جاء الطبيب. بعد الفحص، تبيَّن أنه مرض"ذات الجنب" والحالة خطيرة، أمر بتمريضه وكتب روشتة طويلة ثم ذهب، لم يكن الطبيب قد غادر الحجرة بعد، فإذا بـ حسن على خان" يقول بضعف: لماذا أحضرتم الطبيب، أنا لا أملك نقودًا. فسمع الطبيب وقال: سيدى لقد جئت للسؤال عن الأحوال وليس من أجل النقود.

بدا لـ هما" فى لحظة، المنظر المخيف والمفزع للحياة: عمى العزيز بكل هذه الصحة ويسقط مريضًا عاجزًا ضعيفًا هكذا، المال الذى لم يكن يبالى بوجوده أو عدمه فى أى وقت، تبدو أهميته إلى هذه الدرجة حين ترتبط به حياة إنسان عزيز! تبدَّل حال الدنيا أمامها فجأة... أخذت الروشتة إلى السيدة رقية" وسألتها: هل لديك مال لشراء الدواء؟ فالمرض خطير، لماذا لم تأتِ بالطبيب قبل ذلك، إن كنت تريدين فأخبرينا!
فضحكت السيدة رقية" بسخرية وقالت: " داية أحن من الأم هكذا أنتِ! دعيه يموت. الإنسان الكسول موته أفضل من حياته.

أربع سنوات قضاها نائما بالمنزل يقرأ ألف ليلة وليلة ، حتى أصبحنا مفلسين........

* * * * *

عندما وضعت السيدة " طلعت" قرطها وخاتمها رهنًا عند جارٍ لهم كى تشترى له الدواء والغذاء كانت دموع الفرح تسيل من عين هما" اشتد المرض بـ حسن على خان "، وكان لابد أن يتركوا منزلهم ويقوموا بتمريضه.

كان حسن على خان ، غالبًا ما يستيقظ ليلاً؛ لذلك كانت هما" تجلس طوال الليل، بجوار وسادته، وحين ينام المريض، تجلس خلف المكتب وتقرأ كتاباته.

قرأت عدة مجلدات لكتب كان "حسن على خان قد ألفها فى التاريخ والاقتصاد ولم تُنشَر بعد،لأنها لن تجد إقبالاً وفق ما أشيع، فى النهاية وجدَت كتابًا ضخمًا كُتِب عليه: مذكرات" ففرحت وقالت لنفسها " لابد أن هذا الكتاب هو خلاصة قراءاته وأفكاره، ومفتاح أسراره النفسية وبنيانه الفكرى، سوف أغوص من خلال مطالعته فى أعماق خياله، وأعرف أسلوب تفكيره. كانت يدها ترتعش شوقًا لفتحه، على أمل أنها ستكتشف آلاف الحقائق. فتحت صفحة منه كان قد كتب:

صباح يوم الأربعاء.............

فى الحقيقة لقد تعبت بعد أن قرأت الكتاب، لماذا نعتبر أن للقراءة مزايا إلى هذا الحد؟ يا له من خطأ كبير! فقراءة الكتب لا تأتى بنتيجة إلا تشويش خيالاتنا. الكتاب، أثر لأشخاص بهم عُجْب وغرور، يخفون صفاتهم ومعتقداتهم الباطنية بكل مهارة، ويقولون عكس ما بداخلهم ليغيروا الواقع للأفضل.

أسلوب الكتابة، يوضح قوة أسلوب الكاتب لا روحه، كممثل المسرح حين يتلون بألف أسلوب مختلف، ويعرض كل ذلك بشكل طبيعى، فيضحك كذبًا ويبكى زيفًا! علاوة على أن ما أقرأه لو لم أجد عكسه فى نفس الكتاب، فإننى لا أجد ما يؤكده فى كتاب آخر. فأين هى تلك الحقيقة المُسَلَّمة؟ آلاف الفلاسفة رفض كل منهم صراحة أقوال فلاسفة آخرين، واستخدموا آلاف الأدلة لإثبات صحة ما يقولون.حين ندقق فى حياتهم، نرى أن حملة المشاعل هم أضلُّ وأقبح من الجميع! جان جاك روسو" الحكيم الفرنسى المعروف يقول: للسعادة أصلان لا أكثر: الصحة وأقل ما يُحتاج إليه، لكنه هو نفسه فى احتياج لآلاف الأشياء غير هذين الأمرين، والتى دونها يعانى أشد الألم ويموت. وأخيراً لو أن الفيلسوف عاقل ما كتب الكتب، فالكتابة رياء وتظاهر ومواجهة عاجزة. فالفيلسوف المسكين الساذج يتمنى أن يظل أثره بعد حياته! فى حين لو أن كل ذرة منه تفرقت فى الدنيا، ماذا سيحدث؟ هذا الأثر سيبقى فى رأى بعض الأشخاص، وهل لو بقى خمسمائة ألف عام بالمقارنة بدوران الفلك، ليس إلا عدمًا؟ حتى تأتى يومًا ريح عاتية فتغير مكان الماء واليابس ولن يبقى

أثر لبشر! فيلسوف عقله هكذا كيف لى أن أتخذ من أقواله نموذجًا، هو نفسه أسير الجهل والغرور، ويريد أن يشفينى من هذا المرض!

سجلت "هما" تعليقًا، وهى تبتسم، ثم فتحت صفحة أخرى كتب فيها:

يوم الاثنين............

ليست هناك سعادة مثل ذلك، الحياة بلا حب، كل هذه المطالعة والفلسفة والفكر، لا تغنينى عنها لو لم أجد كل الضروريات على الوجه الأكمل فلن يعنينى هذا مطلقًا كالاحتياج للعشق. فهذا الإحساس كان دائمًا هو أساس حياتى ومحور تخيلاتى لكننى لم أتجرع قطرة واحدة من هذا الإكسير طوال حياتى.... لماذا قرر أبى وأمى أن أتزوج من شريكة عمر تجرح قلبى كل ساعة بسلاح الجفاء؟ لِمَاذا عذبونى هكذا؟ آه، ما أجمل الحرية التى تكون مقيدة بالمحبة، وما أجمل أن يختار الشخص بحرية ذلك القيد، لِمَ لَمْ يدعونى أختار شريك حياتى وأساسها بحرية، فأستمتع بتلك النعمة الطبيعية! فإذا طلبنا من أحد أن يشترى لنا نظارة وفقًا لمقاسه، فإن ذلك سيكون موضع سخرية وتعجب، أما الشريك ورفيق رحلة الحياة الذى تكون فيه سعادتنا وشقاؤنا منوطًا بموافقة أخلاقه، ومن استقامته أو اعوجاجه تبدو لنا الدنيا إما مضيئة وإما مظلمة، يختاره لنا آخر من وجهة نظره بتلقائية، ويبدو ذلك أمرًا طبيعيًا! دائمًا القمار واليانصيب أمر مكروه، أفى القمار سعادة؟ أمر عجيب!

أمـام كل هـذه الآلام والمحن التـى تصـادفنا فـى الطبـيـعـة، الشـىء الوحـيـد الذى يجـعلنا نتـحـمل كل هذه الآلام التـى لا دواء لهـا ويعـوضنا عنها والميسَّر لنا هو نعمة العشق. وا حسرتاه على الشخص الذى يُحرم من تلك النعمة الوحيدة أيضًا! حقًّا فأنا لم أظفر بتلك النعمة مطلقًا، ولم أتذوق قطرة واحدة من نبع السعادة هذا، شعرتُ بهذا الاحتياج، طوال العمر، فى أعماق قلبى لكنه لم يخرج إلى حيز الوجود مطلقًا. فتلك المحبوبة التى تُهدئ مِن خفقان قلبى بلطف ومحبة، ورفيق فكرى الذى يحلِّق مع طائر روحى فى السماء، ليست من نصيبى. يمضى بى العمر وسيظل هذا الأمل ودائمًا حلمًا فى الخيال.

هنيئًا للأشخاص الذين يشترون النساء كالأشياء ولا يهتمون بالوجدان أو المشاعر، ويرضون بسعادة الجسد. سبب معاناتى هو أننى أتمنى أن تأوى روحى الطموح المحلقة مع طائر روحى، وهذا لا نستطيع أن نشتريه بمال، ولا يمكن أن نحصل عليه بالقوة. أتمنى أن تكون روحى فداءً فى سبيل معشوق، يكون كل ما أفعله محور اهتمامه، أستيقظ من النوم على أمله أتوسل بكل شىء معتمدا على محبته.

لكنى وإن كنت أعانى سوء الحظ بسبب هذا الحرمان، فهذا ليس ذنب أحد، بل هو ذنبى أنا لأننى ابتعدت عن نطاق المجتمع وخرجت عن مسيرة الفكر العام. أملى هذا فى هذه المملكة غير عملى، ولن يتحقق لأى شخص. لم أعش، أنا الذى لا أستمتع بالحياة! لعل الأمل فى حفظ النوع هو ما يحثنى على الحياة، لكنى أتصور أننى أعيش لأداء الواجب.

فزوجتى وأسرة رفيقى غير الموفق مسئولة منى، ويجب أن أعيش من أجلهم، أتألم ولا أتكلم. كم أن الإنسان أنانى، إننى أستمتع بتحمل الألم وعدم الشكوى، أزهو بذلك أمام نفسى......

وضعت " هما" القلم على الورق بقصد الكتابة، بعد قراءة هذه الورقة عدة مرات لكن الحبر لم ينزل من سن القلم. استغرقت فى التفكير، ثم ندمت على قراءة هذه المذكرات، دون استئذان. كانت ترتعش مثل شجرة صفصاف، من سوء وقبح ما اقترفت، وحزنت وتأثر قلبها كثيراً، لكشف تلك الأسرار.

لأول مرة يسيطر على قلبها العطف والشفقة على حسن على خان" لكنه قلل من مدى تقديرها واحترامها له. ولأن ذلك ما كان ينبغى أن يحدث، ولكى تستمر فى قراءة المذكرات، رضيت هى تحت هذا المسمى أنها كلما عرفت أكثر عن أحوال وآمال "حسن على خان"، لسوف تحبه أكثر وربما تستطيع أن تساعده أيضاً. ففتحت صفحة أخرى كتب فيها:

يوم الأحد...........

اليوم عُيِّنتُ موظفًا بلا سعى منى، وربما دون جدارة بين طابور المنتظرين للعمل بوزارة المالية. فى الحقيقة أننى فرحت بداخلى لهذا الحدث، لأننى سأجد وقتًا كبيراً للمطالعة.

فى هذه الفترة التى التحقت فيها مضطراً بجهاز الحكومة مدة أربعة أعوام، لتوفير وسائل المعيشة لأسرة رفيقى غير الموفق، ضاع

وقتى دون فائدة وكانت روحى دائمًا فى عذاب. ما أكثر الصعوبات والمضايقات التى لم أحتملها! ما هذا الذل والعبودية؟! حيث ينبغى أن تكون حاضراً فى مكان معين كل يوم فى وقت محدد، وعلى عكس رغبتك تُتِمُّ عملاً لا فائدة منه، تقرأ كتابات وتكتب موضوعات لا تسعد أى شخص ولو شخص واحد، أغلبها مليئة بالكذب والظلم والتعدى، وهى عمومًا باردة غير مستساغة وكذلك فإن أى شخص لا يرغب فى أن يقرأها برغبته.

لماذا ينبغِى عليك أن تتملق شخصًا مثلك وأن تتلقى منه الأمر، ربما على الأقل كل إنسان يجبرعلى طاعة إنسان مثله، لن يكون الأمر صعبًا. لكن أغلب الأشخاص الذين يصلون إلى أعلى المقامات جهلاء من كل أنواع المعرفة، وتسيطر عليهم الطبيعة الحيوانية تمامًا فهم أمام الأقوياء ضعفاء أذلاء وعلى الضعفاء منتصرون لا يقبلون الذل، هل كل مؤسسات الدنيا تدار بأيدى أشخاص من هذا النوع؟ لا أظن! بدليل أنه وعلى هذا النحو يجب أن تكون هناك شبهة فى طريقة إدارتهم لمؤسساتهم ولنا نحن أيضًا.

وأخيراً تخلصت من هذه المسئولية وآلامها.

لكن لغز هذه السنوات الأربعة السابقة التى جعلتنى مجبوراً على قبول الخدمة يبدو أنها كانت بشرى نحس لى. فعائد ملكى لا يكفى للإنفاق على أسرتين، فما العمل؟

لابد أن أبيع بعض ما أملك حتى أجد عملاً آخر وأتعذب مرة أخرى، يا له من عذاب! وينبغى أيضًا أن أقلل من مصروفاتى، بالطبع سأدفع مئة تومان راتب أسرة صديقى المسكين كما هو معتاد، لا شك فى ذلك.

فى صفحة أخرى قرأت:

يوم الجمعة..........

مرت ثمانى سنوات، ولم أنس أبداً تلك اللحظات الأخيرة فى حياة المرحوم محمد على رفيقى العزيز وتلك النظرة المليئة بالألم والرجاء. تمتم قائلاً:

عزيزى حسن" لقد أودعت زوجتى وابنتى أمانة لديك. ثم ودَّع هذه الدنيا المليئة بالألم وتركنى غريباً وحيداً ولأنه لم يكن لى مؤنساً فى الدنيا إلا التفكير فيه، وبعيد عن الجميع. فالمتعة الوحيدة لى الآن هى الحديث مع هما" أرى فيها كل مكارم أخلاق والدها. فمسألة الوراثة موضوع كبير، عظمة أو تواضع الأمم والشعوب، متعلق بالوراثة التى وصلت إليهم من الأجداد. بالتأكيد عوامل البيئة والتربية أيضًا لها دخل، فهل أسلوب فكر عزيزتى هما" نتيجة عوامل الوراثة أم أنها نتيجة التربية التى أخذتها عنى؟ ربما كان كل منهما مكملاً للآخر لأن مشاعر والدها كانت قريبة جداً من مشاعرى، أما التربية التى هى من بنات أفكارى، فقد توافقت بالضرورة مع هذه الأحاسيس. لهذا فإن هما"

لديها طريقة تفكير وأخلاق مميزة، والتى تعد فى رأيى المَثل الأعلى. ربما لا يكون هناك من هو أفضل منها فى هذه الدنيا متفقًا معى فى الفكر. الدقائق التى أقضيها معها فى مناقشة الموضوعات العلمية والأدبية هى أفضل أوقات حياتى. حين يحمرُّ وجهها وهى تمسك بيدى وتضعها على المنضدة بلا حركة، وتحاول بكل ما لديها من قوة أن تثبت لى وجهة نظرها، كنت أضطرب من السعادة. كنت أرى المرحوم محمد على فى وجه "هما" الجميل يتناقش معى، وكان يبدو نفس الحياء والخجل فى عينيها، وتبدو من كلماتها نفس مشاعر المحبة الصادقة. حقًا لو لم تكن "هما" فى الدنيا ماذا كنت أفعل؟ ومَن غيرها كنت أحب! بدون الحب كيف أستطيع أن أتحمل عبء الحياة! لقد اجتهدتُ قدر استطاعتى فى تربيتها، ولو أن لدىَّ أكثر من ذلك لأرسلتها إلى أوروبا، أتمنى أن تتخصص فى علم التدبير المنزلى"، لكن ماذا أفعل، وأسباب معيشتى تنخفض كل يوم عن ذى قبل. وهكذا فقد مرَّ واحد وعشرون عامًا من عمرها، وآخر واجب لى هو أن أختار لها شريك الحياة المناسب، رغم أن هذا الاختيار لها وحدها لكن ينبغى أن أهتم بهذا الموضوع اهتماما خاصًا حتى لا يقع خطأ. فهذه الجوهرة الثمينة ينبغى أن أودعها إلى شخص يكون مؤهلاً للحفاظ عليها. فى النهاية فإن إنجاز هذه المهمة والتى تعد أهم تكليف لى هى سبب سوء حظى، لأننى سوف أحرم من مجالسة ومؤانسة هما"، وربما تتغير أفكارها وأخلاقها خلال الحياة الزوجية وتكتسب طبعًا آخر وسيكون ذلك باعثًا على شقائى للأبد. لكن

ما الحيلة؟ يجب أن أتم مهامى كالجندى دون التفكير فى النتيجة سيئة أم طيبة. حقًا فإن كل سعادة تكون بيد الآخرين لا تدوم.

اختطف الموت رفيقى الحنون ولم يبالِ بتوسلى، والآن وفق مقتضيات الطبيعة ستضيع منى آخر وسيلة لسعادتى ولن يكون هناك مجال للكلام، لكننى لا أرى وسيلة للسعادة فى ذلك، وربما ستكون قدرتى هى أن تجرى دموعى بداخلى، وفمى مغلق عن الشكوى.

* * * * *

أخذ القلم يرتعد بيد "هما"، فلم تُدوِّن ذكرى، اصفرَّ لونها، تقطعت أنفاسها، وارتعش جسدها، وضعت يديها على قلبِها وكانت تضغط بكل قوتها.

بعد فترة، اتكأت برأسها على ظهر الكرسى وأغمضت عينيها ومضى وقت طويل على هذا الوضع، حين فتحت عينيها كأنها استيقظت من النوم، أخذت تدقق النظر فى كل ركن، فرأت "حسن على خان" مبتسمًا وهو ينظر إليها بعيون نصف مغمضة. أرادت "هما" فى رقة وتوسل أن تتحدث فلم تستطع، فأخذه النوم ثانيةً.

استغرقت "هما" فى التفكير لساعات طويلة، وقرب الصبح كأن تفكيرها لم يأتِ بنتيجة، حركت رأسها فى يأس وفتحت صفحة مكتوب فيها:

يوم السبت..........

فكرى مضطرب بسبب احتياجات المعيشة، لقد كتبت لأخى منذ ثلاثة أشهر ليبيع آخر قطعة من أملاكى، لم يصل الرد، لو تصل هذه النقود سنعيش فترة من الزمن لكن ماذا بعد؟ فلم يصل عقلى لشىء..... أنا شخصيًا من الممكن أن أقنع بالخبز الجاف وحده، لكنى لا أستطيع أن أحث أسرة رفيقى على القناعة. فى النهاية فالقناعة أيضًا تكون بشىء وأنا لن يكون لدىَّ أى شىء. أحيانًا أتخيل أن "هما" ستتعرف يومًا ما على شكل الحاجة المفزع، مثل هذا التفكير يجعلنى أهوى فى هوَّة ساحقة. هذا الخيال يشتت عقلى. اليوم فعلت شيئًا لم أفعله أبدًا لكنى لست نادمًا على هذا مطلقًا، يجب أن ترى كل الأحوال حتى تعرف كل شخص. فقد بعت معطفى بستة تومانات، أعطيت للسيدة "طلعت" خمسة تومانات واحتفظت لى بتومانٍ، أتمنى أن تصل النقود اليوم أو غدًا، كأننى أُصبتُ بنزلة برد، رأسى يؤلمنى.....

لم يسمح سيل الدموع لـ "هما" بالقراءة، فأغلقت الدفتر ووضعت رأسها فوقه وأخذت فى البكاء.

* * * * *

كانت أولى خطوات "حسن على خان" بعد فترة النقاهة، الدخول إلى وزارة المالية.

هناك جماعة بين من يصعدون سلم وزارة المالية كل صباح، أكثر ضعفًا من أمثالهم. هؤلاء منتظرون خدمة لهم يأتون كل يوم إلى الوزارة

على أمل أن تتم. البعض لشدة التزاحم، لا يجد أطراف العباءة فهى فى كل اتجاه، ينهضون ويقفزون ويتمتمون بكلمات تنذر بالتهديد والوعيد، هؤلاء الأشخاص يقضون حاجاتهم أسرع وأقرب من الآخرين، حديثهم مقترن أكثر بالمال. لكن الغالبية يصعدون فى يأس وشك، ولا يعرفون بأى اتجاه يسيرون، وبمَن يتوسلون. يقفون ساعات طويلة فى الدهاليز يشتكى كل منهم همومه للآخر. كل منهم قبل أن يستمع إلى القصة أو الحكاية، يقوم بشرح همومه فى عجالة، يتكلم عن الحق وأهميته وعن ظلم الآخرين.

وصل حسن على خان" مسرعاً إلى بوابة وزارة المالية لكنه صعد السلم بتأن وأبطأ على درجة السلم الأخيرة. اندهش من زحام المنتظرين والموظفين، ثم نزل السلم بهدوء ومشى دون أن يفكر فى شىء معين. وجد نفسه بعد فترة فى ميدان ارك ، فجأة وكأنه تذكَّر شيئًا ما، فوقف وغاص بفكره، بعد قليل أسرع وعاد ثانية ناحية وزارة المالية، هذه المرة صعد درجات السلم بلا تردد واقترب من أحد السعاة، وسأل أين حجرة "المدير قال الساعى: إذا كنت تجيد القراءة فاقرأ اللوحات وستجدها. فاحمرَّ وجه حسن على خان" خجلاً، وذب يتحسس حجرة "المدير

وقفت مجموعة كبيرة على باب هذه الحجرة، وجوههم عابسة وغاضبة. فأرسل حسن على خان" طلبه مع الساعى وجاء الرد، اسمك مسجَّل فى الدفتر وعند اللزوم سنرجع إليك.

* * * * *

لاحظَتْ "هما" اليوم تحسُّنًا ملحوظًا فى أحوال "حسن على خان" لكن تلك الابتسامة الدائمة والإشراقة التى تبدو من الهدوء النفسى لم تعد واضحة. كلماته متقطِّعة، ينظر كثيرًا إلى الأرض، صامت. سألَت "هما": هل حدث اليوم شىء جعلك متأثرًا إلى هذا الحد، أتمنى أن تقول لى، لن يحدث شىء. فأجاب "حسن على خان" بالنفى بإشارة من رأسه. فقالت: أعرِف أنك قلق ومضطرب بسببنا وليس بسببك، فأنا أعرفك جيدًا ومتأكدة أنك لا تضطرب من أجل نفسك إلى هذا الحد مطلقًا. لكنك تسلب منى كل أمل، حين لا تعتبرنى موضع أسرارك، يبدو أن إيمانك بعقلى وذكائى هو فقط من أجل إسعادى.

اضطرب "حسن على خان" وقال: أنا أعتبركِ شريكة كل خيال لى ولا أخفى شيئًا عنكِ فى النهاية فأنا لا أود أن أقحمك فى موضوعات لن يكون هناك فائدة من معرفتك لها إلا الألم النفسى، الآن ولأنَّك تصرين سأقول: اليوم كنتُ قد ذهبت إلى وزارة المالية لأتسلم عملى هناك مرة ثانية. كانت حالتى على هذا الوضع تشبه حالة الشحاذ الذى يذهب إلى منزل الثرى لتناول طعام الوليمة، وكان علىَّ أن أتحمل كل أنواع الإهانة ومن شدة الزحامِ ما كانَ لعاجز مثلى أن يصل إلى الهدف. الخلاصة أنه ينبغى أن يكون له واسطة حتى يتم عمله، وأنا أتألم بشدة من الإحسان، ومن معاناة الآخرين من أجلى. روحى جريحة، على كلٍّ سيتم الأمر بهذه الطريقة. الآن أتحدث معكِ قليلاً ثم أذهب أقرأ أشعار "حافظ" وسوف يتحسَّن حالى.

كانت شفتا "هما" ترتعدان لا إرادياً رعشة خفيفة وكادت الدموع تسيل من عينيها، فمنعتها ونهضت لتنهى حالة الاضطراب، أخرجت كتاب "فلسفة المرأة من المكتبة ووضعته أمام "حسن على خان"، قالت: ما الفرق بين الحزن والسعادة عند الصوفى. أعتقد أنه لو لم تأتِ القراءة والفكر بنتيجة، وهى التغلب على الصعاب، فلماذا نتحمل مشقة التعليم. ينبغى أن يكون قلب العالم كالبحر يتسع ليستوعب كل ما يصبون فيه معيار العلم والعقل هو ألا يتزلزل من كثرة البلاء وأن يتغلب على كل مشكلة. ويعتبر تحمل الصعاب بوجهٍ بشوش هزيمة لها. رغم أن الإنسان ينبغى ألا يشعر بالشدة فى أى وقت، بل ينبغى أن يجتهد حتى تصبح السعادة تعادل الحزن فى حياتنا.

قال حسن على خان": كل ما قلتِ صحيح، لكن يبدو من العبارتين الأخيرتين أنكِ مثل كل الشباب مليئة بالغرور والحماس وهذا عكس طبيعتك، تُعظِّمين و تُمجِّدين فلسفة اللا شعور أى " فلسفة المرأة وتعتبرين هذه الصفة شرطًا لعظمة الروح، لكن التجربة والدقة أكثر ستجعل عكس هذا التصور يبدو لك. بفرض المستحيل وهو أن الإنسان يستطيع أن يظل مطمئنا صامتًا أمام كل أنواع الحوادث، فلا يسعد لفرح ولا يجزع لشدة، فهو إنسان ميت لم يتوقف جسده عن العمل بعد، وآلة تُستخدَم من أجل أهداف الآخرين. ينبغى أن يدرب الإنسان قوة الإحساس بالعادة والتمرين ليصبح مثل ميزان الكيمياء الحساس الذى يتأثر بالغبار، ينبغى تقوية الحواس الخمس لا تخديرها. فالعين يجب أن

ترى جمال وقبح الموجودات من تحت ألف قناع، والأذن يجب أن تسمع من هبوب النسيم ألحان الموسيقى. الخلاصة أن القوة العاقلة ينبغى أن تدرك كل هذه التأثيرات من كل النواحى، فتأخذ النتائج الطيبة وتودعها كالجواهر الثمينة فى خزينة التجارب. الإنسان الحى يتأثر جيداً، كمال البشر مرهون بسرعة استجابة مشاعرنا. أفضل ثروة للإنسان فى هذه الدنيا هى الذهن المتفتح والعِقل الواعى. عدم تأثرنا تكون نتيجته أن نعمى ونُصم وتُحجب عنا الملذات. دراسة الآداب والعلوم هى من أجل تفتح أذهاننا. حتى نشعر أفضل ونتأثر أكثر. لهذا فإن عالِم فقير أسعد من ثرى جاهل. لكن حين شغل عقلنا بالحكم والفصل وهو ربيب هذه الحياة الاجتماعية بالتأكيد، فإن مقدار السعادة فى هذه الدنيا أقل كثيراً بالنسبة لكمية الغم و الحزن، فلابد إذاً أن تكون مشاعرنا العاجزة باعثة أكثرعلى الغم والحزن. وأخيراً يجب أن نتدرب على أن نسعد أيضًا بتحمل سوء الطباع، فنمنح روحنا السمو والتعالى وبعد ذلك نقول ذلك الشطر الذى كنت تقرأينه:

" أيها الساقى أعطنا الكأس فالسعادة والحزن منه

فقالت "هما": لو أننى أعرف أنك سعيد الآن فلن أتكلم لكن لو كان غير ذلك سأتألم كثيراً، ولكى أُطمئن بالكم فأننى لا أتبع هذه الفلسفة الصعبة وأعلن لكم أن مجرد التفكير بأنك تتألم شىء يقتلنى. عندئذ تجمع الدمع فى عين "هما"

احتضن حسن على خان" هما" وقبّل يدها، ثم قال: اليوم أستطيع أن أقول أننى سعيد، لم أكن أعرف أنكِ تحبين عمك العزيز بهذه الدرجة، وأنكِ تتأثرين لآلامى بهذا القدر. بعد وفاة والدك كنت أرى نفسى وحيداً فى الدنيا، الحمد لله أن لدىَّ ابنة مثلك تحبنى بهذا القدر وتجدد روحى بالفهم والوعى. ماذا أتمنى من الدنيا أكثر من هذا، ومَن أسعد منى. أثناء ذلك دقَّ الباب، ثم دخل الحجرة بعد لحظات حبيب" الخادم وبيده ورقة.

فتحركت "هما" فى مكانها حركة لا إرادية واصفرَّ لونها. فأخذ حسن على خان" الورقة وأخذ يدقق فى العنوان والتوقيع. ثم سأل مِن مَن هذا؟ وبأى شىء يتعلق؟ كان حبيب" قد خرج من الحجرة، فغمزت السيدة طلعت بعينها كأنها لا ترى هما"، وقالت بحالة وجْد: اقرأ وستعرف.

كان مكتوبًا فيها:

سيدى المحترم، وجود حضرتكم جوهرة غالية لا يصل إليها شخص، ولا تقع عين عليها، لذلك فأنا سعيد الحظ أننى أدركتُ هذه الحقيقة الواضحة وقد أخذت على عاتقى قيد الإرادة الأبدية. لقد أدركت كمال قدركم ووجودكم العزيز بناء على ترشيح الفضلاء، كريمتكم قد وصلت إلى حد الكمال من المعرفة والعلم. لهذا فإننى أتمنى أن تكون زوجة لى، وقد عاهدتُ نفسى أن أفنى حياتى كلها فى سعادتها وفى سبيل هذا أضحى بكل شىء.....

لم يستطع أن يقرأ باقى الورقة، كانت الكلمات ترتعش أمام عينيه وتضيع. فاضطرب عقله إثر هجوم الأوهام المجهولة مستحيلة التفكيك. كان داخل حسن على خان طوفانًا، بعد أن كانت صحراء شاسعة من المروج المنقوشة بالورود الملونة، وأشعة شمس الصباح اللطيفة تتخلل قطرات الندى على ورق الورد فتخرج فى سبعة ألوان تتلألأ فتلمع كالجواهر فى أذن الحسان، كانت الجداول تتدفق فى المنحنيات بهدير لطيف سلس، فتغمر جذوع الأشجار. والجدائل البيضاء للجبل العتيق تتدلى فتغطى القبة الخضراء وكانت تنظر من ارتفاعها على هذا المنظر المهيب. والطيور تغرد فتملأ الدنيا بأعذب الألحان. فى لحظة هبَّت ريح عاتية فأظلمت الدنيا. الأشجار المورقة حين هبَّت العاصفة أصيبت بالحمى، توقفت المياه عن الجريان وكانت تصب على السماء، السحب الداكنة أصبحت كالجبال المتحركة تتعارك فى كل اتجاه، كان صراخها يعلو حتى أن الأرض تمزقت من شدة الهول، تحطم جبل ثقيل.......

لم تمض بضع دقائق حتى دُمِّر قلب "حسن على خان" وتهاوى. اضطرب وأصابته وحشة غريبة لهذا التغير السريع، أراد أن يفر من الوجود، فكان يرى نفسه أسير قبضة وحش مفترس يغرس مخالبه فى قلبه. مضى أمام عينيه فى لحظة تاريخ كل كيانه الأخلاقى، رأى ذلك القصر الأبيض الذى جمع كل حجر من أحجاره من مكان لسنوات طويلة وبكل تعب ومشقة، ثم شيده فى أعلى قمة واختاره كطائر العنقاء ليكون له عش، فينظر على العالم من ذلك الارتفاع، كان يتصور أن

تقلبات الزمان لن تصل إليه، وأن عواصف الأيام لن تناله، تحطم كل هذا أمام آهة أمل من قلب منافس!

خجل خشية كراهية منظر وجوده، حتى كاد يشترى الموت بما يعادل آلاف الأرواح. كان يتألم بداخله متسائلاً: لماذا - على الأقل - لا نُعطى حق اختيار هذه الجرعة المُرة للموت، حين تكون هى العلاج الوحيد لصعاب الحياة، لكننا نتجرعها جبراً يوماً ما، وربما تكون فى لحظة من لحظات النجاح والتوفيق............

أدركت هما" تفاصيل هذه الأمور بلا مشقة لأن المحبة، ترفع قوة الإدراك مئة ضعف، فعين الحب وأذنه تقرأ الرموز فى الأعماق المظلمة، وتسمع الأنين من قلب الحجر. وليس كالمعشوق المزيف، الذى يتخيل أن دموع العاشق إنما هى ماء تسيل من نهر، وحرقة العاشق وانصهاره هى بنفس أهمية وقدر وضع البخور على النار.

ضغط حسن على خان" على نفسه للخروج من حالة الانهزام هذه لأنها إن أدركت صمود الشكل الخارجى، فإنها تستطيع أن تنقل جبلاً من مكانه. فاكفهر لونه وكانت أصابعه ترتعش تحت الرسالة لكن ظاهره يبدو ساكناً هادئاً. فمد يده بالرسالة إلى هما" وقال: ابنتى العزيزة، من الأفضل أن تقرئى هذه الورقة بنفسك،لأن الموضوع يتعلق بكِ، أما أنا فلا أملك من موقعى هذا إلا إبداء الرأى والمشورة؛ أعرف أنكِ عاقلة، وكل ما تفعلين هو عين الصواب.

وضعت "هما" الورقة على المنضدة بيدٍ مرتعشة، ثم سحبت إصبعها عليها، فكأنه منشار يُسحب على قلب "حسن على خان" من اضطراب حال "هما"، ومن الرسالة التي لم تُقرأ، عرف أنها على علم بالموضوع.........

ثم عاد فقال ثانيةً: سعادتك هى منتهى أملى، فإذا وافقتِ على هذا الخطيب الذى لا أعرف اسمه، صحيح........لم أقرأ توقيع الرسالة، ما اسمه؟ فقالت "هما": "منوچهر"

كان نطق الاسم من فم "هما" كالصاعقة التى وقعت على جسد "حسن على خان"، عرف أنها بخيالها المنطلق الذى كان قد علَّمه ولقنه لـ"هما"، أن كل منهما رأى الآخر وعرفه وأحبه وأن هذا الطلب إنما جاء بموافقة "هما" فمزق قلبه ألف سيف دفعة واحدة............

العشقِ كحمم البراكين الموجودة فى باطن الأرض، كان وجدان "حسن على خان" فى حالة غليان لا يعرف مداه، أنه لابد من مشرط حتى ينفجر، وليس هناك شيء أكثر تأثيراً على هذا الأمر أكثر من الغيرة، عندئذ يشتعل لسان اللهب من تحت الرماد فيحرق بيدر الوجود.

من عجائب العشق أن ألمه وحرقته لذيذة، بحيث يود العاشق أن تزداد شدتها كل لحظة، ويسعى أن يكتشف ما سبَّبَه له المعشوق بأوهامه وظنونه من اضطراب وحزن، ويختلق ألف دليل على عدم محبة الحبيب له، يضاعف آلامه مئات المرات. الإنسان فى كل مكان عادة يفر من

الشيء الذى يسبب له الألم، إلا آلام العشق، فإنه يجمعها بإرادته ويئن، فيستمتع بهذا الأنين.

لكى يلقى حسن على خان "بالملح على جراح قلبه قال: وعلى هذا فأنتِ تعرفين هذا الخطيب جيداً، إذاً فأعطنى معلومات أكثر عنه.

فاكفهرَّ لون هما" وقالت وهى تلتقط أنفاسها: "منوچهر هو جارنا، شاب عمره ثمانية وعشرين عاماً، درس فى المدرسة الأمريكية والآن يتاجر، نبيل جداً وأخلاقه طيبة، لم أرَ فيه عيباً مطلقاً، لكن رأيكم بالتأكيد لا بد منه.

فاضطرب حسن على خان لهذه الصراحة، التى تبعث على السعادة فى الأمور العادية وقال: هذه المعلومات ليست كافية، لابد أن أبحث وأمحص بشأن هذا الرجل، فأعرف علاقاته السابقة والحالية، وماذا يفعل وما أخلاقه؟.

فقالت السيدة طلعت": طبعاً هذه الأمور لك، فأنت يجب أن تقف على حقيقة الأمور، الجيد منها والردىء، ماذا نعرف أنا و" هما"، نحن لم نرَ "منوچهر خان"

توهج وجه "هما" وقالت: لماذا؟! أنا رأيتُ "منوچهر خان"، وتحدثت معه.

فنظرت أمها إلى حسن على خان نظرة مليئة بالخوف والرجاء وتوقعت رداً عنيفاً.

رأى "حسن على خان" أن صبره قد نفد ولم يعد لديه قدرة على الاستمرار، ربما لا يستطيع السيطرة على الأمور. فسيطر على نفسه بقدرة فائقة، تهللت أساريره ثم قال: عزيزتى "هما" أتمنى ألا تكونى مخطئة بشأن هذا الشاب حتى نُعِد لوازم الفرح سريعًا إن شاء الله. فسعادتك هى منتهى أملى، اليوم سأذهب وأتحقق بشأنه لأننى لا أستطيع أن أغفل عن هذا الأمر، لكن كما قلت وأكرر ثانيةً إننى ووالدتك نبدى رأينا بهذا الشأن المهم، الباقى يعتمد على رأيك لأننا نعهدك عاقلة.

قالت السيدة "طلعت": لا يا سيدى، كل ما تقوله صحيح، فأومأت "هما" برأسها للتعبير عن الموافقة، أما "حسن على خان" فقد استعد للرحيل ولم يهتم.

* * * * *

توجه "حسن على خان" إلى المدرسة الأمريكية، لكن سلوكه مع الناس كان أشبه بالسكير. أفكاره فى اتجاهين تمحو كل منهم الأخرى وتبطلها، أحيانًا تسيطر قوة العقل فيعمل بمقتضاها، عندئذ تتضح الحقائق فيرى مهمته وكأنها سيف مسلول. فيخضع برضا لذلك الأمر، وأحيانًا يفقد السيطرة على تفكيره ويفقد الوعى، ويسقط فى هوة الجنون المخيفة.

فى إحدى هذه المرات من الإغماء كان يتخيَّل: ليت المعلومات التى أجمعها من المدرسة عن "منوچهر" تكون فى غير صالحه، تكون علاقاته

مشينة وحاله أسوأ من كل شيء، فتصير " هما" لي بعد ذلك، وتكون هي كل عمري فلا تلمس يد أخرى طرف ثوبها، وتكون " هما" قد أحبتني، وليسودَّ وجه معشوقها، يموت.......

"منوچهر" يا له من شيطان، يا له من عدو ظالم سفاك، ليت أحداً يقتله، حسناً سأقتله ولن يفهم أحد! الآن حين أخرج من البوابة سأراه بالقرب من باب المدرسة، ولن يكون هناك أحد، سأعرفه وأضغط بقوة على حلقِه حتى يختنَق. عندئذ أحمل البشرى إلى " هما"، وأسعد بآلامها! " هما" يا لها من قاسية !

كأنه استيقظ من النوم فجأة فكان يسرع الخُطى ليهرب من هذه الأفكار القبيحة، يريد أن يهرب من نفسه، فأصابته حالة من اليأس والفزع لهذا الضعف النفسي وتوارد هذه الأفكار.

يتصور كم هو سهل عمل الشر، وما أقصر تلك المسافة بين الحقيقة والجريمة. ما معنى الباطل وما الجريمة ؟ وما تلك الأسماء التي يطلقونها على كل من خالف أحد قوانين المجتمع بحكم طبيعتنا، فحكم الطبيعة يسري في فطرة البشر أكثر من خوف المجتمع إلا عدد قليل يستطيع أن يمتلك أمر نفسه، وذلك من فرط التربية والأدب.

لكن الطبيعة ينبغي أن تمنح هؤلاء الأشخاص روحًا قوية أخرى كوديعة، حتى يستطيعوا أن يتمردوا على حكمها. فكل شيء إذن منها وليس هناك مقصر مطلقًا، فنحن ألعوبة، تمسك الطبيعة بمهارة أيدينا

وأقدامنا بخيوط خفية، فالظالم والمظلوم كلاهما عاجز، ويجب الشفقة عليه. على العاشق الذى صار أضحوكة الطبيعة وأسير الجنون، فما وجه الاعتراض لو واصل المنافس حقده؟ فما المسئولية التى تقع على عاتق طالب الجاه والعظمة الذى أغلق جنون العظمة عينيه وأذنيه، لو أصاب منافسيه بآلام كثيرة وعذاب شديد؟ وماذا يفعل القاضى الذى يكلف بتأديب جائع امتدت يده إلى مال الآخرين؟ فالجميع أسرى الجنون، وكلنا أذلاء استهزاء وحقد الطبيعة، كلنا ظالمون ومظلومون.

حتى الموت، ربما لا يُخلِّص البشر من هذه التعويذة. من أين لنا أن الطبيعة لم تخطط بحيل أخرى لإلحاق الضرر ببعض أجسادنا، لأن نسبة عدم التأثر بذرات هذا العالم هى وليدة جهلنا وأنانيتنا، ولنفس السبب حين نتأثر ربما تتأثر سائر الموجودات أيضًا من نبات وجماد. نحن الذين لم نستطع حتى الآن أن نعرف مبدأ حياتنا وندرك تطورها، نحن الذين نقف أمام الهاوية المهيبة لأسرار وجودنا الموحشةالتى تقودنا الى الهاوية. نحن الذين نتباهى ونتفاخر بالقوة العاقلة الحاكمة أذلاء الأوامر الحمقاء الجبرية التى تنبع من أعماق وجودنا، ولا نملك قدرة على السؤال كيف نستطيع أن نكشف رموز حياة سائر مكونات أجزاء هذا العالم. بأى جرأة نستطيع أن نضمن أن الجماد لا يشعر، هل لابد أن تكون لها تلك الأحاسيس الخاصة بطبيعتنا؟

بعد هذه الأوهام كان يقول لنفسه: "هما" هى ابنتى العزيزة، كل من تحبه ينبغى أن أحبه، لابد أن هذا الشاب لديه مزايا ، وبناء عليه

سيكون هو أيضًا ابنى. أى سعادة لى أكثر من أن أرى هما سعيدة، فالأب لا ينبغى أن يتمنى إلا هذه الأمنية، أنا والدها، وهى ابنتى......

على جانب آخر أخذ ضميره يتمتم ثانية وعلا أنينه وتأوهه قائلاً "هما" ما أقساها! تحب شخصًا آخر، يا لها من خائنة، التقت بـ"منوچهر وتقر بذلك ولا تخجل، يجب أن أنتقم منها........ لقد نسى "حسن على خان" أن تصرف هما" فى هذا الموضوع ينطبق تمامًا مع التربية والتعليم اللذين تلقتهما على يديه، فقد علمها أن مقابلتها مع "منوچهر والذى يعُدُّه اليوم أساسًا لملامتها هو الأساس الذى علمها إياه، فدائمًا كان يقول عن طريقة الزواج أن أساس سعادة الأفراد والأقوام والشعوب مبنى على تقوية أواصر الأسرة وتكوينها، ودوام سعادتها مقترن بتوافق الزوج والزوجة ولن يتم كشف هذا الحال، إلا عن طريق المعاشرة والاختلاط فقط. هم كيانان يريدان أن يقضيا العمر كله فى رباط متين يتقاسما الحياة بحلوها ومُرها، فإن لم يكونوا متوافقين فى الفكر ولو لم يكونوا متوافقين فى الرأى من كل جانب، فبدلاً من أن يحملوا أعباء الحياة معًا فتكون أسهل، كل منهما يشد من ناحية وتتزايد آلام كل واحد منهم، فالمعاشرة غير الجنسية، أصعب العقوبات.

الأبناء الذين يولدون فى أسرة غير متآلفة، محرومون من نبل الأخلاق وسمو الروح التى هى من سمات العشق والأدب، لأنهم يتخيلون دائمًا منظر الفراق والهجر أمامهم، ويشكلون أمة لا تعرف أمور العشق

وحب المجتمع نتيجة فقدان الأخلاق الكريمة، التى تستلزم الرشد والشجاعة وتحمل المصائب والتضحية التى هى أساس الرفعة.

زيادة كل واحدة من تلك المشاعر تضعف الأخرى. ولأن شعور الحب فى حالة حسن على خان وصل إلى حد الجنون والعشق، وتغلّب على سائر عواطفه ومشاعره فقد أنساه ملكاته الأخرى.

فجأة وجد نفسه أمام رئيس المدرسة الأمريكية الذى كان يقول مباركًا: "لقد كان "منوچهر تلميذًا طيبًا، يؤدى واجباته دائمًا، ويسعدنى بسلوكه، ليت كل الشباب الإيرانى كان مثله، إنه تاجر شريف ولن تستطيع أن تجد مثله كثيرًا.....

* * * * *

قضى حسن على خان" فى البحث عن أحوال "منوچهر" عدة أيام متتالية فى كل مكان وناحية، وفى كل مرة كانت الإجابات تطفئ نار رغبته، فلم ينكر أحد على "منوچهر" الصدق وحسن السمعة، كانوا يقولون إن كلامه كالجنيه الذهب، وأنه لا يخلف وعده مطلقًا. خاصة ذلك الوسيط الذى كان يحكى ذات يوم بعثُ له مقدارًا كبيرًا من السكر، ورغم عدم المباركة باصطلاح السوق، مع هذا حين انخفض فى صبيحة ذلك اليوم سعر السكر انخفاضًا شديدًا، إلا أن منوچهر قام بدفع الثمن المتفق عليه فى اليوم السابق، وخسر ألفى تومانًا بسبب ذلك ولم يتعكر صفوه عن سابق عهده، لهذا فإن تجارته كل يوم فى ازدياد.

انقضيت ثلاث ساعات بعد منتصف الليل و حسن على خان" يجلس على الكرسى يفكر.

كان يظن أن أسرار الطبيعة فقط هى التى تخفى عليه: لا يعرف هذه النجوم كيف تتعلق هكذا، العالم اللا محدود والزمان اللا نهائى فى تفكيرنا نحن المحدود كيف يكون، طاعة ذرات هذه الدنيا فى حفظ نظام هذا الكون إجبارى أم اختيارى، معلوم أم مجهول ؟ ما الهدف من ذلك ؟ أين نهايته، كل هذا التحليل والتركيب والتغيير فى الشكل ما هدفه؟

لكنه لم يكن يعرف أن ظلمة الجهل تحيط به أكثر من هذا، وإذا كانت الطبيعة أحيانًا تضىء حياتنا بشعاع خافت من الفهم والإدراك فذلك كى نرى الظلمة الموحشة المحيطة بنا، ونشاهد بصورة أوضح مدى عجزنا وذلنا.

كان من الإنصاف إذا لم تستطع أيدينا أن تصل إلى السماء أن تسمح لنا أن نعرف على الأقل أسرار وجودنا. طبيعة ظالمة، وضعت فينا قوة التعقل، لكن ليس بتلك القدرة التى نستطيع بها أن نتغلب على فطرتنا، وتجعل حياتنا وفق نظام تُقره فيكون العجز والذل، لكن ليس بقدر العجز الذى يواجه فطرة الإنسان. قوة الإدراك أوُجدَت صراعًا داميًا بوجودنا، فلا نحن حيوانات حتى لا نميز الخير من الشر، ولا نحن ملائكة حتى نسلم للأبد من الشر.

أحيانًا كان ينهض ويمشى، يقول كلمات متقطعة وأحيانًا يسكت، كالذى ينتظر جواباً، متحير من أمر هذا العشق، أين كان يختفى وفى أى ركن من أركان وجوده، ويضغط اليوم بهذه القوة على حلقه، وهذه المشاعر التى تجادل العشق من أين جاءت، والحق مع أيهم؟ دمر حياته صراع العشق والعقل، اضطرب وجدانه، وجُرِحَ قلبه عند رؤية أستار خداع العشق، كان يرى أن القمر يستمد نوره من جبين "هما" الأبيض، تلك القامة الرعناء هى وحدها أساس الحياة، وتلك الشفاه الوردية هى ناموس الحياة. هل يستطيع أحد أن يتيه دلالاً بهذا اللطف؟ وهل توجد أخرى بها كل هذه الرقة والحكمة فى الدنيا؟ وهل تستطيع الطبيعة مرة أخرى أن تأتى بمثلها؟

هو متأكدٌ أنه إذا ذهبت "هما" لأحضان رجل آخر فسوف تكون الحياة مستحيلة بالنسبة له، ولا يوجد فى الدنيا سعادة تعادل وجود المعشوقة. كل مكان ليست به، فهو خالٍ، وكل شخص ليست هى، فهو العدم

ليس هناك عداوة دامية أكثر من ألا يكون المعشوق يميل إليه، وإراقة دمه حلال فى مذهب العشق.

جلس خلف منضدة الكتابة، وبعد لحظ تفكير كتب:

سيدى العزيز، قبلت طلبكم وأودعكم ابنتى "هما" العزيزة، لكن حالى يشبه حال الشخص الذى وضع روحه وحياته رهن اختيار الآخر، لهذا أتقدم لكم بالتماس فإننى أتوقع منكم الالتزام والمحبة والمودة.

لم يستطع أن يُوَقِّع، وعليه أن يكتب ورقة أخرى لأن الكلمات قد اختلطت ببعضها، من دموعه.

* * * * *

كانت الشمس تضحك من خلف الزجاج على سوء حظ حسن على خان"، الطيور تسخر منه فوق أشجار المنزل بصوت مرتفع، وهو يبكى بهدوء من ألم وعذاب وضغط شَرَك غير مرئى، حقًا فإن هذه الشبكة كانت لذلك تحث روحه الوقورة على الخفقان، ذهنه الذى هو أساس اطمئنان باله وكان قد شيَّده منذ سنوات تهدَّم ، كأنه منزل من الورق المقوى أمام الريح. كان يفكر:

"سقراط" ذلك الفيلسوف، تجرع كأس الموت بابتسامة وهدوء بال، كأنه يشرب كأس شراب لذيذ، فهل لو كان يرى محبوبه أى ذلك الشخص الذى هو منتهى سعادته وواهب الحياة وقد ارتبط برباط المحبة مع شخص آخر وذهب وراءه، فهل كان سيفقد سروره وهدوءه، سيتغير خفقان قلبه؟ لن يشحب لونه؟ لن يضطرب ويخجل؟ يا له من سعيد أنه لم يقع تحت هذا الاختبار، وبسهولة حاز هذه الشهرة الكبيرة....

طرق الباب، مسئول التوزيع، أحضر مظروفًا يحمل شعار وزارة المالية. فنظر حسن على خان إلى المظروف جيداً وكأنه ورقة بيضاء، ثم وضعه على المنضدة دون أدنى اهتمام، حلَق ذقنه ورتب ملابسه ثم توجَّه إلى منزل صديقه.

كان مفتوح العين لكنه لم يكن يرى حوله، فقوة الإبصار كانت وراء فكره تساعده لزيادة هذا الحظ السيئ. فجأة سمع صوتًا يقول: السلام عليكم سيدى، سيادتكم لم تكن تهتم بهذه المناصب، ولن تعرفنا ثانية، ستنظر لى متحيراً وتمضى! ماذا تقصد؟

قال حسن على خان معذرة فأنا لم أرك من قبل.

محدثكم "غلام رضا خان " المعروف، أحد موظفى وزارة المالية والذى يقضى كل وقته فى معرفة المعلومات من تعيين وعزل الأعضاء والندم عند ترقية شخص إلى درجة آخر ورصد عيوب كل واحد منهم. ثم قال "غلام رضا خان" بابتسامة مصطنعة حسن، سيادتكم وبحق الجيرة ينبغى أن تكون معى بكل لطف، أنا مستعد لخدمتكم، سآتى إلى إدارتكم خاصة وأننى لابد أن أعرفك ببعض الأشخاص.

تعجب حسن على خان"، أراد أن يسأل عن الموضوع لكن المتحدث لم يمهله، قائلاً: مثلاً هذا قاسم خان هو شاب مؤذ ومتقلب، ورث عن أبيه سدس ممتلكاته، ولم يمتنع عن العمل والخدمة. مثلاً ذلك المدعو "ميرزا حسين خان" رجل متملق ومنافق للغاية، دائمًا ما يخلق له فرصة عمل ويدفع للرؤساء، فى حين أن العبد لله بما لدى من صدق وأمانة، عندما يتحدث معى أحد بما لا يليق، أعطى له ما يستحق وفوراً!

عجز حسن على خان "وقال: أما أنا فلا زلت بعيداً، من الأفضل أن توضح لى، لأننى كنت أعمل لعدة سنوات قبل ذلك فى وزارة المالية،

كانت سهام نظراته تغوص فى أعماق روح "هما" فاصفرّ لونها وارتعشت شفتاها، كان صوته ملىء بالغرور والصلف. وقفت "هما" بلونها الشاحب كتمثال من المرمر، مبهوتة ومتحيرة وقد سُمرت عيناها الجامدتان على "منوچهر" وأحيانًا كانت تحرك يدها لتبعد هذه الملامة عن نفسها.

بعد لحظة من الصمت، عاد "منوچهر" يقول بغضب وضيق: يا أمانىّ لماذا لا تقولين شيئًا! هل هذا صحيح؟ أكانت كل هذه الأحاديث والمودة كلها مزيفة، وهذا العشق الذى كنت تثمنيه غاليًا، كان كالحُباب على وجه الماء، وذهب؟ أهناك شخص آخر......؟

فتلوَّن جبين "هما"، ولمعت عيناها. قالت: لو كنت تظن بى ذلك، فلماذا تحط من قدرك وتتحدث معى. ألستُ شخصًا غير جدير بالمحبة والحديث! تلك هى الريح التى دمرت بنيان عشقك. أنت الآن قلت إنك لن تصدق منى الخيانة، لماذا تتهمنى بعدم الثبات؟ أتعرف ماذا تقول وأى ذنب ترتكب!

اقترب "منوچهر" وأمسك يدى "هما" وقال بصوت منخفض ملتمسًا: سامحينى، ورقتك أذهبت عقلى، لا يمكن الاستهزاء بالعشق! أنتِ التى تعرفيننى، لستُ من أهل المزاح، ولم أتوقع اختبار كهذا، فقدت وعيى وأعترف أننى لا أتمتع بالوقار والهدوء الذى تريدينه منى، فأنتِ يجب أن تؤدبينى. الآن فلتختبرينى مرة أخرى، لكنك "هما" العزيزة لا تعرفين ماذا فعل بى ذلك المزاح الذى لا وقت له..........

حين وصل حسن على خان إلى منزل صديقه، كان حبيب الخادم يأتى من الجهة المقابلة، اعتبر نظرة حسن على خان" سؤالاً فرد قائلاً: لا شىء، كنت قد ذهبت لأعطى ورقة السيدة هما" للسيد "منوچهر خان"

ضعُفت ساق "حسن على خان"، وضاق صدره، ووقف متسمراً، مرت لحظات وهو على هذه الحال، ثم استجمع كل قواه وسيطر على أعصابه، ودخل المنزل ثم الحجرة.

شحب لونه وغاصت عيناه فى بئر عميق، برزت عظام وجهه، جفت ابتسامته على شفتيه، وصمت، عيناه كأنهما مصباح بلا وقود، يحكى عن الموت والفراق، يحمل لحن صوته رسالة من العالم الآخر. اضطربت السيدة "طلعت" لرؤية هذه الحال، وسألته كثيراً عن أحواله، رغم رفض "حسن على خان " احتساء الشاى، لكنها انشغلت بإعداد الشاى والطعام، ظناً منها أنه ربما يكون جائعاً.

أما "هما" فقد أدركت بنظرة واحدة سبب هذا الانهيار، وهذا الدمار ما سببه. رأت أثر الآلام المبرحة للعشق على جسد وروح "حسن على خان"، وطأطأت رأسها من شدة الخجل والشفقة عليه. انعقد لسانها كانت تخاف أن تتحدث لكن كل لحظة صمت كانت بالنسبة لها دهراً كاملاً.

لم يكن "حسن على خان" يجرؤ على أن يرفع عينيه إلى وجه "هما"، كأنه اقترف إثماً عظيماً. رغم يقينه من أن " هما" لا تعرف شيئاً عن

الاحترام والتقدير، الذى هو أساس أخلاقنا، فإذا اهتز هذا الأساس، فسوف يتزلزل يومًا ما صرح عشقنا ويهدم. لو كنت أستطيع أن أخبرك بسبب هذه التضحية، لو كان من الممكن أن أطلعك على دمار قلبى بسبب هذا الصراع، لكنت تبارك لى هذا الفوز والنصر على الأمل وتحبنى أكثر. ما أكثر الليالى التى جفانى فيها النوم حتى الصباح، وما أكثر الساعات والدقائق التى مرت علىّ كجبال ثقيلة! على كل حال لو كنت تعتبر أن تحقيق هذه الرغبة هو واجب مقدس، لى أمنيتان إحداهما، أن تنسانى والثانية ألا تتألم لهذا الفراق، فكلما أسرعت بنفسك لأحضان أخرى فستجد العزاء.

"الإمضاء: هما" مسكينتك.

كان الخط والإمضاء من "هما"، لكن" منوچهر" لم يكن يصدق، حينما يضيع منا عزيز، لا نصدق أنه رحل تمامًا وتركنا، مر بخياله أنه ربما أصاب " هما" خللاً فى حواسها، أو ربما تمزح حتى تختبره. ومرّ بخياله ألف ظن آخر كسُحُب السماء المظلمة فى الليل الحالك، ولم يترك مكانًا قط.

أخذ قلبه يخفق من الاضطراب وكان كل جسمه يرتعد، لم يكن يعرف بأى قطعة من الملابس ينبغى أن يبدأ كى يرتدى ملابسه. ينظر هنا وهناك، كالمجنون فلا يرى شيئًا إلا ظنون فنائه. فجأة تفتق ذهنه عن فكرة مخيفة دامية فأحرقت روضة أمله دفعة واحدة! أحبت "هما"

فأشرقت ابتسامة خفيفة على شفاه "هما"، والتى تعلن عن عالم من عدم التوفيق، خَفَّ بريق عينيها، غاصت بفكرها ولم ترد.

كان "حسن على خان" فى خياله يبث كل كلمة من كلماته، بألف شكوى وملامة، يتمنى أن تسمع "هما" أنين روحه عبر هذه الكلمات، لكنه متأكد وسعيد أن هذا الأنين، لن يخرج مع الكلمات.

كان يتخيل لو أن "هما" اطلعت على روحه بلا حُجب، فلن يمحو سواد هذا الخجل من وجهه، إلا الموت لكنه كباقى أسرى رباط العشق، كان قد تولد لديه حالة خاصة خليط من الخوف والأمل بداخله، ورغم وجود كل هذا اليأس، لديه أمل أن تشتعل هذه الشعلة بطرف ثوب المعشوق.

دخلت السيدة "طلعت" وهى تحمل صينية الشاى والطعام، جلست أمام "حسن على خان" كانت تتكلم، وهى مشغولة بالتقديم: بالتأكيد أن الجلوس دائمًا بالمنزل وقراءة الكتب، تضعف الإنسان وتجعله مريضًا، عليك أيضًا أن تقضى وقتًا جميلاً. ثم أنك أصلاً لست كباقى الناس، لا أعرف أى وقت تسعد ومتى، أحيانًا تأتى إلى هنا وتنشغل بالحديث والدراسة مع "هما"، فلا عجب إذاً أن تتعب، السيدة "رقية" ما شاء الله ربنا يحفظها ،لا تعرف كيف تسعد حياتك.

فابتسَّم "حسن على خان" ابتسامة جافة وقال: معك حق، لكننا هذه الأيام سيكون لدينا عرس، نتبادل الزيارة ونقضى وقتًا جميلاً، وسوف نعوض ما مضى، بشرط أن ترفعوا عنا ما يذهب هذا المرض. أُبَشركم

"منوچهر" أيضًا لم ينم الليلة الماضية، مثله كمثل "حسن على خان" بسبب الاضطراب لأن تأثير الشعور المفرط سواء فى السعادة أو الحزن، واحد على مزاج الإنسان. كان قد احتار بصره وتشتت فكره أمام حجب المستقبل، كان يرى المستقبل منزلاً سعيداً و متلألئًا، خاليًا من الحرمان وعدم التوفيق، هناك حيث لا تسقط قطرات الدموع على المحيا الوردى، ولا يحرق نسيم الآه المحرق، بيدر الوجود. كل من ليس له رفيق فهو طائر كسير الجناح، لا يحلق فى السماء، ولا يغرد مع الملائكة. سيأتى هذا الطائر الجريح إليه، فهل يمكن النوم، عشية السفر إلى السماء؟

قضى الليل كله يخطط للحياة الجديدة، يفكر فى وسائل توفير سبل المعيشة لمحبوبته العزيزة، وعندما كان يعتقد أن ضربات القلب تزداد وتقل فى هذه الدنيا، وأن روحًا تحلق حوله فى سماء الوجود، فيشعر بالهياج من شدة الوجد.

الهياج يمنع النوم، وعدم النوم يولِّد الفكر والوهم، يتخيل أنه ذات ليلة جاء إلى المنزل، وأجلس محبوبته فوق ركبته، كان يحكى لها أمور العمل، وكان يختم كل جملة بقُبلة.

كل واحد منهما كان يقرأ الكتاب مرة، كانا يتناقشان، وكان لديهما كل يوم فكرة جديدة، لزينة البيت وكانا يتشاوران فى اختيار ملابس السيدة.....

كان النوم قد أخذ "منوچهر" قرب الصباح، فكان يحلم أنه فى حديقة غناء، محبوبته تنام تحت ظل شجرة اللوز، على المروج الخضراء،

فابتسم حسن على خان" من اليأس وقال: تريدين أن تعرفى ماذا كتبتُ، لا مانع، اقرئى، فكل ما كتبتُ هو عين الحقيقة.

لم ترد "هما" على هذا الكلام وسألت: ماذا عن وزارة المالية؟

فتذكر لقاء الصباح وقال: شىء مضحك جداً، رأيتُ اليوم شخصاً، ربما يكون مجنوناً، كان يقول أنهم عينونى رئيساً لإدارة كشف التبذير، ولأن هذه الإدارة ليست موجودة أصلاً، فكان يتحدث بكلام لا أساس له.

تهللت "هما" من السعادة وقالت: ربما يكون ما قاله صحيحاً، ألم يصلك هذه الأيام رسالة من وزارة المالية؟ فكر حسن على خان " وقال: صحيح صباح اليوم أحضروا لى ورقة تحمل شعار وزارة المالية على عنوانى لكن لم أفتحها. بالتأكيد هذه الورقة هى قرار تعيينكم. أتوقع ذلك بقلبى. فابتسم" حسن على خان"ابتسامة حزينة وكل فكره يتجه صوب نقطة واحدة قال: لابد أن "منوچهر خان" قد أبلغك ذلك.....

احمر وجه هما واحترق قلبها لحاله، لأن تفكير" حسن على خان" دائماً مشغولاً بهذا الأمر

بعد أن تحدث "حسن على خان " قليلاً عن أحوال المنزل بكلام متصنع، نهض وذهب.

* * * * *

بأن "منوچهر خـان" جـدير وكفء من كل النواحى. ولد طيب ينبـغى أن يُضـاف إلى عداد الأسـرة، بالطبع عـزيزتى هـمـا " قد رأته وأعـجبت به فأحبته بشدة. ماذا أفضل من ذلك؟ هذا هو منتهى أملى.

كان يتخيَّل أن التوبيخ الذى تتضمنه الجملة الأخيرة، هو فقط الذى يفـهـمـه. لو كـان يعلم أن روح هـمـا قـد تلقت هذه الضـربة القـوية، لغاصت به الأرض من الخجل.

لكن حـالة " هـمـا" كانت شـبيهة بحالة شخص فى الحلم، على حافة بئر هاوية، ليس لديها قدرة على الحركة، لا تستطيع الكلام ولا تتحـرك، فعدَّ حسن على خان" ذلك السكوت دليل الرضا والسعادة فتضايق.

قالت السيدة "طلعت الحمد لله أننى استرحت من هذا التفكير، أنا أيضًا كنت أعرف هذا الولد، نبيل، مـهندم، لكن مـادمت لم تتم بحثك عنه كنتُ قلقة، أتصور أن تراه وتتحدث معه، هو شاب وسيم وأنيق جداً.

كـان حسن على خان" يكره هذا اللقـاء، كمـا يكره سيئ الحظ لقـاء الإنسان الموفق. رغم أنه كـان لابد فى النهـاية أن يمـر بهذه المحنة، لكنه ولكى يؤخـره قـدر المسـتطا ع قـال: لا أرى من الضـرورى التـسـرع فى مقابلته، لقد كتبت له خطابًا فأرسلوه.

فـقـالت السـيـدة "طلعت": حسن جـداً، الآن أرسله. فـقـامت "هـمـا" وأخذت المظروف من يد أمـهـا ووضـعـتـه على المنضـدة، وقـالت: لا ينبـغى العجلة.

والبراعم البيضاء تتساقط كحبات الجواهر على وجهها وجدائلها، وضوء الشمس كان يداعب من خلال الأغصان كل هذا الجمال. كان يتمنى أن يلتقط قطرات الندى التى تستقر على جبينها بسبب الحرارة بشفتيه، فجأة هبَّ النسيم فالتقطها، أيقظوه وسلموا له ورقة "هما"، كُتب فيها:

الصديق العزيز

إن أردت أن تعرف حالى، فهو شبيه بحال شخص يمزق قلبه بيده. الأفكار التى دفعتنى لكتابة هذه الورقة، تحرق عقلى كالفتيل المشتعل. ليت سن هذا القلم المذنب، يمزق القلب فقط ثم ينثر دمه على هذه الورقة. أعرف أن هذا السيف، له حدان وسوف يمزق قلبين.

ماذا يمكن أن يفعل، الشعور بالواجب، أمر صعب، أضحى بحياة روحين من أجله وأريقُ دم قلبين فى سبيله. خسارة إن حلم الوصال، لم يكن أكثر من حلم. لم نكن قد تجرعنا بعد، قطرة من كأس الأمل، حتى وصلنا إلى مرارة اليأس. حقًا ينبغى أن نجعل هذا الأمل فى قلوبنا ونرحل بعيداً. لم نأكل من ثمار الجنة بعد وعلينا أن نخرج

تريد أن تسأل عن هذا الواجب الذى ترجح كفته على العشق، أو ما هذا العشق الذى يستسلم أمام الواجب؟ نصيبى من الألم أكبر من نصيبك، لأننى أحمل عبء السر الثقيل وحدى. لو كنت أستطيع أن أبوح بسر هذه التضحية، فسوف تعرفه قبلى، وترضى بهذه التضحية أسرع منى، فأنا أعرف أخلاقك الكريمة وروحك العالية. فعشقنا أساسه

شعوره الداخلى، إلا أنه كان منفعلاً وخجلاً. كان يخاف من أفكاره ويهرب من نفسه، غالبًا ما يقول لنفسه: وا أسفاه عليك، هذه المحبة الظاهرة، هى عشق خفى وأنا لم أكن أعرف! اتفو على هذه الخيانة!

مرت لحظات لم ينظر أحدهم للآخر ولم يتحدثا، لكن يا لها من لحظات ثقيلة مرت على الاثنين.

كان حسن على خان" حين يلتقى بـ"هما" غالبًا ما يُقبِّل جبينها، ويحتفظ بيديها بين يديه، ويتجول فى قاع عينيها، ويسعد بمتعة الصداقة الصافية الصادقة أما اليوم فهو يتجنب هذا القرب، فلم يعد جديراً بهذه النعمة، كالخائن الذى يضطرب ويضيق من خياله، يخاف من تحمل سهام نظرات "هما" كان يعانى من البقاء وحده معها، كان ينتظر مجىء السيدة "طلعت بفارغ الصبر وينتهى هذا الشعور المفزع بالوحدة معها.

فقالت "هما" بصوت مرتجف حزين: منذ عدة أيام لم تحضر إلينا، اشتقنا إليك.

كان حسن على خان" ككل العشاق، قلبه رقيق يبحث فى ذهنه عن حجة يعتذر بها. اعتبر هذا السؤال بصفة الملامة وروحه جريحة، فقال بقليل من الحدة: كنت مشغولاً بدراسة أحواله..... فإذا كنت قد تأخرت فى الرد، فليس هذا التقصير منى.

لكنه أدَّب نفسه فوراً وقال بابتسامة: حقًا لقد أتيتِ لى بولد طيب، لا أحد ينكر شهرته الطيبة، فإن كان شكله كسيرته فهو إذًا إنسان ممتاز.

شخصًا آخر ومنحته قلبها!... منافس! شيطان ظهر بصورة إنسان، نعم منافس! متى وأين؟ ينبغى أن أقوض قواه وأريق دمه!

ليس هناك موضوع أهم من المنافسة فى العشق للكراهية، بينما ليس هناك عداء وحقد بلا منطق أكثر من هذا الموضوع، أساس النزاع هنا طائر حر فى روضة المحبة، يقف على أى غصن حيثما أراد، لو أن هناك اعتراض، فهو على رغبة وإرادة المعشوق وليس على آخر، بالطبع وجود المنافس فرصة حتى يعرف قيمة العاشق ومقدار أهمية المعشوق، لكن ليس للعشق منطق.

المسافة حتى منزل المعشوق ليست بعيدة، لكنها بالنسبة لـ"منوچهر" بضع أعوام

* * * * *

حينما رأت "هما" "منوچهر" أمامها، انهارت قواها، انتزعت منها كل قوة للفكر والحركة، فاختلط بفكرها غبار أسود محى الماضى والمستقبل. ضاق "منوچهر" ذرعًا بحالة الدهشة والصمت هذه، ودون مقدمات وقبل أن يجلس قال: هذه الورقة بخطك؟ مستحيل! هل تمزحين؟ بعيد عنك ذلك. لو كررت أنتِ نفسك هذا الكلام فلن أصدق، لا أستطيع أن أصدق أنك كنت تكذبين! أنتِ خائنة! ربما تخطئ عينى الرؤية وتخطئ أذنى السمع، لكن عقلى لا يقبل ذلك.

لكنى الآن بعيد عن العمل تمامًا. فابتسم "غلام رضا خان" وقال: "لكننى قرأت قرار تعيينكم برئاسة إدارة كشف التبذير. بأجر شهرى مائتى تومانًا...... ليس سيئًا، فراتبك الآن يعادل راتبى أربع مرات رغم أنى أعمل منذ خمسة عشر عامًا..... مبارك إن شاء الله، بالأمس تعاركت من أجلك مع بعض الأصدقاء المعادين لك. لكنها إدارة جيدة، تحتاج شخص مثلى خلال أسبوع واحد، يستطيع ترشيد نصف نفقات الدولة. آه وا أسفاه....

الآن أريد منكم وعداً قاطعًا لمنصب المساعد لهذه الإدارة، إذا كنت تريد أن أكتب عدة مقالات براقة فى مدحكم فى الجرائد، لن يتكلف الكثير، فأنا صديق حميم لكل الصحفيين.

تأكد حسن على خان" أن محدِّثه إما مجنون وإما مخطئ، لكن ذلك لم يكن موضع نقاش، فقال: أنا شاكر فضلكم جداً على ذلك الخبر، إن شاء الله نراكم ثانية. أستودعكم الله، لأننى يجب أن أذهب سريعًا إلى مكان ما. ثم صافح "غلام رضا خان" بحرارة و ذهب.

كان "غلام رضا خان" ينظر وراءه لحظة ويحرك رأسه ويقول بصوت منخفض: اتفو على هذه الدنيا الحقيرة، بالأمس كان معى ولا تفارق الابتسامة شفتيه، كم كان رحيمًا ومتواضعًا، كم كان لنا من أسرار معًا، اليوم لم يجلس بعد على الكرسى وصار فرعونًا! أين ذهبت تلك الابتسامات؟ ماذا حدث لتلك المحبة الكاذبة؟ أيتها الدنيا، كم أنت حقيرة!

ذاب قلب "هما" رقة وكان الدمع يتدحرج من عينيها على وجنتيها . جلسا ومرت لحظات من الصمت. تأوهت هما وقالت: للأسف فإن ما كتبت لم يكن مزاحًا، لماذا، فالمزاح هو الذى تفعله معنا الطبيعة حتى نمتع به أنفسنا فنستريح من الألم والتعب.

فكان ذلك ضربة قوية على رأس "منوچهر"، فأظلمت عيناه وأخذت الحجرة فى الدوران.

فمد يده وقال: هذا كافٍ، لا تتحدثى ثانيةً، امنحى لى دقيقة هدوء.....

كان قلب هما" يصرخ للدفاع عن منوچهر" ويئن قائلاً: مزقى أمر العقل الظالم! فأنا لا أستطيع أن أرى محبوبى بهذه الحالة، زخارف الدنيا كلها لا تساوى دمعة من عين المعشوق، أنا منزل العشق، طالما لا يدمرنى فلن يكون له سيطرة عليه..... لكن العقل القاسى كان يحدث ضجة ولم يدع أنين القلب، يصل إلى مسامع عقل هما

بعد عدة دقائق من التفكير والسكوت، قال "منوچهر العدل هو أن تروى لى كل ما حدث. فجأة وكأن ذهنه أضاء، ابتسم وقال: عرفت، عمك العزيز لم يوافق، لماذا؟ لا أعرف.

لم ينتظر الرد وأضاف: ربما المعلومات التى جمعها عنى، لم تكن فى صالحى. لابد أنه ذهب إلى أعداء لكنى لا أظن أن يكون لى أعداء. لأنى أتعامل مع الجميع بصداقة ومحبة قدر المستطاع، فلماذا يعادوننى!

كيف تكون الحياة فى هذا العالم إذًا، ماذا يمكن أن أفعل مع هؤلاء الناس الحاقدين، وما فائدة الخير؟ أو إننى أنا شخصيًا لم أعجب حسن على خان" لم يروق له اسمى مثلاً! كل شىء جائز، هى تقلبات قلوب البشر، مليئة بالشر، عند البعض، أحيانًا حقود، وأحيانًا سيئ النية، هذا أمر طبيعى ولا يحتاج إلى أى دليل أو سبب.

قالت "هما": لا تظن أى ظن بحق المسكين عمى العزيز فهو منزه عن هذه العيوب ، خاصة أنه كتب خطابًا لك وهو على المنضدة. فأخذ المظروف لكن يديه كانت ترتعد من التردد. أخرج الورقة من المظروف وقرأ، كتب له فيها:

سيدى العزيز، قبلت طلبكم وأودعكم ابنتى هما" العزيزة، لكن حالى يشبه حال الشخص الذى وضع روحه وحياته رهن اختيار الآخر، ألتمس منكم الالتزام دوام المحبة

حسن على

كانت دموع هما" تنهمر من الوجد والرقة.

قال "منوچهر بنظرة مليئة بالتعجب والحيرة: إذًا ما حقيقة الأمر، لماذا تخفين عنى! أقسم لكِ بحبك أن كل ما سيكون بيننا من خير أو شر فلن يعلم أحد قط به.

قالت "هما": عزيزى "منوچهر"، بحياتك وهو عندى قسم عظيم لو تطلب روحى، فلن يكون لها كل هذا القدر والقيمة لكن فى ذلك الموضوع

هناك سر لشخص آخر، لا أستطيع إفشاءه ولسوء الحظ، أننى لا أستطيع أن أحكى لك عنه وأشركك فى أحزانى. يا إلهى ما أثقله من حمل وضعته فوق كاهلى!

فقال "منوچهر" لو لم تتكلمى أنتِ أتكلم أنا، عشقك لم يكن صادقًا قويًا، فالعشق ليس له حجب تخفيه ولا يعرف الموانع، العشق، كل شيء فداء له. نتكلم ببساطة، رأيتِ شخصًا آخر وفضلتيه عنى، أكان هذا وفاؤك ، لابد أن توضحى لى بكل أخلاق وصدق!

قالت "هما" بعيون باكية: لا تتحدث ثانية، قلبك يحترق لحالى، أنا بريئة، أنا لا أستحق هذه التهم، ماذا أفعل؟ إن هذا الألم، يمزق قلبى ولا أستطيع أن أعلن، والله لقد امتزج عشقك بروحى، ولن يحل شخص آخر مكانك بقلبى. كانت تتحدث وتبكى وهى تتألم........

اضطرب "منوچهر"، من هذه الأحوال وتساقط الدمع من عينيه وأمسك بيد" هما" وقال بضعف: عزيزتى هما" لا تمزقى قلبى أكثر من ذلك، اطردينى من المنزل أفضل لى حتى لا أراكِ بهذه الحال، ثم ما ذنبى، هذا القلب الصامت لماذا تحرقينه كل هذا القدر، إننى سوف أجن من تخيل هذا اللغز، إذا كنتِ تحبيننى، لماذا تعذبيننى، حسن، احك لى آلامك ربما نجد المساعدة والدواء أيضًا.

هنا تمنت "هما" أن تأتى صاعقة، فتصعقها وتتخلص من هذا البلاء العظيم. نار العشق، كانت تحرق روحها فتتألم روحها، بهذا الأنين

الداخلى. رأت أن بنيانها يكاد يهوى ووجدت أن العشق ما زال مستوليًا على رحاب قلبها، سيطرت على نفسها بقوة خارقة وقالت: كلما تحدثنا فى هذا الموضوع أكثر تزداد آلامنا، من الأفضل أن نؤجل ذلك إلى الغد لأن قواى قد انهارت اليوم

اندفع كل الدم الموجود فى جسد "منوچهر إلى وجهه، وقال بلهجة تنم على نفاد صبره وآلامه الشديدة، لا يؤجل مثل هذا الأمر إلى غدٍ، أنتِ تعرفيننى أعتبر الشك والتذرع بالحجج هو كفر، تكلمى هل تحبيننى أم لا؟ قالت هما" أحبك كثيراً. فقال" منوچهر طالما الأمرهكذا ينبغى أن نتزوج هذا الأسبوع

تزلزلت هما" لسماع هذا الكلام، كالذى فُتح أمامه باب من الجنة وفى نفس اللحظة أغلق للأبد، فتأوهت.

تضايق" منوچهر وقال بغلظة: أجيبى على هذا السؤال حتى أعرف ما واجبى، هل تتمنين الحياة معى أم لا؟ تمهلت هما" وطأطأت الرأس وقالت بصوت خافت ويائس: لا.......

نهض منوچهر بعنف وأسرع ناحية باب الحجرة، قال: وداعًا لن ترينى ثانيةً........ وحينما رفعت "هما" رأسها كان "منوچهر قد رحل.

كأنها استيقظت من النوم، فرأت أن "منوچهر" قد رحل وليس هناك أحد فى الحجرة، فصرخت:" منوچهر تعال، أخطأت! لكنه كان قد ذهب ولم يسمع صوتها. فقبض قلبها من الحزن وانهمرالدمع من عينيها،

وركعت أمام الكرسى الذى كان "منوچهر يجلس عليه منذ لحظات، ووضعت يدها على الكرسى ورأسها على يديها كانت تنوح قائلة: وا حسرتاه يا عزيزى "منوچهر" لماذا ذهبتَ، وأخذت روحى، أخطأت، لم أفهم، اللعنة على أوهامى هذه! فلتعد، أنا جاريتك، روحى ملكك، يا "منوچهر ، يا حبيبى، مَن فى الدنيا مثلك! وما الواجب الأعلى من العشق، وما الأمر الأعلى من أمر الطبيعة. تعال، خذنى بين أحضانك، تعال نجنى من نفسى، تعال! فالعشق أعلى من الجمال والشرف.

كانت السيدة طلعت" عادة تخرج من الحجرة قليلاً حين يأتى "منوچهرخان" وتتركهما معاً. هذه المرة عند مجىء "منوچهر" كانت هى بالخارج عندما دخلت الحجرة فزعت: خرج "منوچهر خان" بهذه السرعة ووقعت هما مضطربة وكانت تبكى! أفاقت على الصوت الحانى للأم حبيبتى هما"، مصفرة الوجنات ووجهها وثوبها مبلل بالدموع.

قالت أمى الحبيبة لقد قلت الصدق، الحياة صعبة، أنا لم أكن أعرف. الأم ذلك البحر الذى يحتوى سيل آلامنا حتى آخر قطرة ولا يفيض، القاضى العادل الذى يرى الاحتيال والحقد فى كل مكان، ودائماً يفتى بأننا غير مذنبين.

الأم المرآة الصافية التى تعكس روحنا وتتكدرمن أقل غبار يصيبنا، الطبيب الذى يضع بيده البلسم على جراحنا، نَفَسها يبعث الحياة فى روحنا الميتة ولا تطلب أجراً إلا سعادتنا، خطوة وتخرج من طريق الحب

وركعت أمام الكرسى الذى كان "منوچهر يجلس عليه منذ لحظات، ووضعت يدها على الكرسى ورأسها على يديها كانت تنوح قائلة: وا حسرتاه يا عزيزى "منوچهر" لماذا ذهبتَ، وأخذت روحى، أخطأت، لم أفهم، اللعنة على أوهامى هذه! فلتعد، أنا جاريتك، روحى ملكك، يا منوچهر ، يا حبيبى، مَن فى الدنيا مثلك! وما الواجب الأعلى من العشق، وما الأمر الأعلى من أمر الطبيعة. تعال، خذنى بين أحضانك، تعال نجنى من نفسى، تعال! فالعشق أعلى من الجمال والشرف.

كانت السيدة طلعت" عادة تخرج مِن الحجرة قليلاً حين يأتى "منوچهرخان" وتتركهما معاً. هذه المرة عند مجىء "منوچهر كانت هى بالخارج عندما دخلت الحجرة فزعت: خرج "منوچهر خان" بهذه السرعة ووقعت هما مضطربة وكانت تبكى! أفاقت على الصوت الحانى للأم حبيبتى هما"، مصفرة الوجنات ووجهها وثوبها مبلل بالدموع.

قالت أمى الحبيبة لقد قلت الصدق، الحياة صعبة، أنا لم أكن أعرِف. الأم ذلك البحر الذى يحتوى سيل آلامنا حتى آخر قطرة ولا يفيض، القاضى العادل الذى يرى الاحتيال والحقد فى كل مكان، ودائمًا يفتى بأننا غير مذنبين.

الأم المرآة الصافية التى تعكس روحنا وتتكدرمن أقل غبار يصيبنا، الطبيب الذى يضع بيده البلسم على جراحنا، نَفَسها يبعث الحياة فى روحنا الميتة ولا تطلب أجراً إلا سعادتنا، خطوة وتخرج من طريق الحب

أحيانًا حتى تعرفى كيف عاش عمك العزيز المسكين الفترة الماضية، ومع أى شيطانة قضاها، لكن هذا الرجل كم هو طيب حيث لم يشك، مهما فعلنا أنا وأبوكِ حتى يطلقها لم يأتِ بفائدة. كان يقول هذه المسكينة السيئة الطباع، ليس لها أحد إلا أنا وإذا طردتها فربما تموت من الجوع. وعلى كلٍّ فقد انفصل عنا حتى لا يصيبنا ضرر، ويتحمل هو وحده كل المصاعب. والدك كان طبيبًا وكان عمله حديثًا وسيأخذ فى الشهرة، لم يشأ الله ورحل عنا، ليتنى كنت رحلت أنا أيضًا، لكن لا، ماذا كنت تفعلين أنتِ الطفلة! كان عمرك ثمانية أعوام حين التزم حسن على خان" بكل مصروفاتنا ولم أرَ وجهه عبوسًا ذات مرة، ذات يوم قال لى: "هذه الشهرية التى أعطيها لكِ هى قرض أعطاه لى"محمد على خان" لكنى أعرف أنه يكذب، حتى لا أخجل. هل تذكرين منذ سنتين حين أصبتِ بالحصبة، لم يخرج من الحجرة حتى شُفيتِ؟ حين نكون معًا، كل حديثه عنكِ، يندم لأنه لم يستطع أن يرسلك إلى الخارج، لم يستطع أن يجعل حياتك أكثر راحة، أعتقد أنه لو كان بوسعه، أن يفعل أكثر من ذلك لمساعدتنا لفعل. الآن يفكر أن يزوجك إن شاء الله من رجل طيب، الحمد لله أن "منوچهر خان" أعجبه، لكنى أعتقد أنه أحيانًا يبدو حزينًا، لابد أن ذلك بسبب أنكِ لم تتحدثى معه عن معرفتك بـ منوچهرخان أنا أيضًا لم أخبره قط، حقًا أنا كنت أخجل من هذا الموضوع، لقد أدى لنا هذا الرجل خدمات تجعلنا أسرى معروفه، لو أتعبنا قلبه ذرة واحدة، نكون قد اقترفنا ذنبًا عظيمًا.

كان نَفَس "هما" يضيق بصدرها، قطعت حديث أمها وقالت: أمى الحبيبة، زواجى من" منوچهر لا يوافق رغبة عمى العزيز، لعله لا يرغب فى ذلك، ربما تصبح حياته لهذا السبب حزنًا للأبد، وعلى هذا هل أستطيع أن أشترى سعادتى على حساب حزن رجل كما قلتِ أسرنا بفضله؟ هل يكون قتل هذا الرجل على يدى؟ من ناحية أخرى، فأنا أحب "منوچهر جداً، فآلامى ليست لها أهمية، هو يتألم، آه يا أمى الحبيبة، ما هذه الآلام التى ابتليتُ بها، ألا تفعلين لى شيئًا، ليس لى علاج إلا الموت!.......

كانت السيدة " طلعت" قد فتحت فمها وعينيها، كأنها تقف أمام صورة أو خيال مفزع، ظلت هكذا بلا حركة، من الحزن والتعجب. بعد لحظة أفاقت وقالت: لم أفهم، كيف يكون عُرْسِك لا يوافق رغبة عمك العزيز، أخطأتِ، ألم تسمعى مدح عمك اليوم فى "منوچهر"، وخطابه الذى كتبه، لابد أنه راضٍ.

حَرَّكَت هما" رأسها بالإثبات. فسُرت السيدة طلعت" وابتسمت قائلة: عزيزتى لقد أخطأتِ، إن أمنية عمك العزيز أن يزوجك من شاب أنيق كهذا، ابعدى عنك أوهام الطفولة هذه.

فقالت "هما": أمى الحبيبة، أنا لم أخطئ، هو كما قلت، زواجى يعنى سوء حظ هذا الرجل المسكين!

اندهشت أمها وقالت: من أين فهمتِ أنتِ الأخرى؟ أخبرينى. لو أردتِ أذهبُ وأسأله، شىء كهذا مستحيل، أنتِ ما زلتِ طفلة وأخطأتِ جداً.

كأنها تريد أن تنهض وتذهب إلى منزل "حسن على خان"، منعتها "هما" وقالت: أمى الحبيبة، أنا كنت أعرف ولم أستطع أن أقول شيئًا عن شعورى حتى تلاحظين، لكن الحقيقة هى ما أقول، كأننى سمعت هذا منه نفسه. يخاف إن تزوجتُ، نادراً ما سيرانى لأنه يحبنى كثيراً .

حركت السيدة "طلعت" رأسها من التوتر وقالت: والله أنا لا أفهم ماذا تقولين، زواجك لن يكون سببًا فى عدم رؤية عمك العزيز، هو ما قلتُ، هى أوهام الطفولة وتريدين أن تفقدى زوجًا حسن الهيئة كهذا، اعلمى أن "حسن على خان" سيحزن جداً لهذه الفعلة. الآن تكلمى، لأرى ماذا قلتِ لـ "منوچهر" حتى ذهب بهذه السرعة.

"هما" كالذى يتحدث مع نفسه، لم ترد على هذا السؤال وقالت: مسكين، أدى لى كل جميل، وقضى كل عمره أسير زوجة كهذه، والآن ينبغى أن أكمل سوء حظه!

أرادت أمها أن تتحدث، فامتنعَت و قالت: أمى الحبيبة لى رجاء عندك، هو ألا نتحدث فى هذا الموضوع عدة أيام.

قبَّلت السيَدة " طلعت" وجه ابنتها بكل عطف وحنان، وقالت: "هما" حبيبتى لتعرفى أى شىء تفعلينه أو تريدينه، أنا لن أتحدث، لكن هنا الأمر صعب جداً، انتبهى فإنك تضيعين حياتك.

سكتت أمها عن هذه المجادلة والوهم الشديد، حين أدركت أن "هما" كادت تغيب عن الوعى تقريباً .

* * * * *

عُيِّنَ "حسن على خان" رئيسًا لإدارة كشف التبذير، وكان متحيراً، مَن أمر هذا الشخص الذى قدم له هذه المساعدة، ومَن هذا الصديق المخلص الذى أخفى صنيعه الطيب، لم يكن يعتبر الموضوع مهمًا إلى هذه الدرجة أصلاً، لكن هذا النبل والعظمة، حطم عزة نفسه وكان يحقر نفسه. توقع كل لحظة أن يعرف صاحب هذا العمل الطيب ويتمنى ألا تصبح هذه الصفات الملائكية نادرة على وجه الأرض.

فى أول لقاء لـ "حسن على خان" مع وزير المالية قال له: ألا تتذكر مطلقًا أننا كنا تلاميذ معًا فى المدرسة والفصل وخاصة أن عشقك للتعليم كان مضرب المثل، أنا أيضًا لو تتذكر كنت أحب التعليم جداً، وأخيرًا أعانك الله ومنحك وقتًا كبيرًا لتكمل هذه المعرفة، لكن أنا ابتليت بالعمل الحكومى ولم أستطع أن أستمتع بهذه المعرفة كما كنت أتمنى، فى النهاية تغلبَ علىَّ الحقد وأردت أن أبتليك أنتَ أيضًا مثلى، شغلنى هذا الموضوع وتأكدت أننى لن أجد أفضل منك. فقال "حسن على خان" أنا ممنون جدًا لهذا اللطف، خاصة أننى أحتاج هذا العمل فى الوقت الحالى لكنى فى السنوات التى لم ألتحق فيها بالخدمة وأنت أيضًا لم تكن تعرف شيئًا عن حالى، وأود أن أعرف مَن ذكرك بى لهذه الوظيفة.

ابتسم السيد الوزير وقال: كما تفضلتم، كنت محرومًا من رؤيتكم، مهمومًا وأعبائى كثيرة، ولا أعرف شيئًا عنك، فذكرنى بك ملاك لا أعرف له اسمًا، فازدانت هذه الإدارة الجديدة بوجودكم فيها، أتمنى ألا تسأل عن كيفية ظهور هذا الملاك لأننى لا أملك حق القول......

لكن حسن على خان" كان يحاكم نفسه كل ليلة بمحكمة العدل، وأصدر على نفسه حكمًا، فقرر أن يترك العمل فى اليوم التالى لأنه لا ينبغى أن يعثر على وظيفة كهذه، ولم يكن يستطع أن يكتشف شيئًا من التبذير إلا فى الإسراف فى جمال شكل وحسن خُلق "هما"، كل شكل فى رأيه هو مجرد تغيير في الشكل يخفى وراءه جمال محبوبه، لحن صوتها الجميل يشدو فى أذنه ويمحو كل شكل آخر، لم يكن يقرأ شيئًا مكتوبًا فى الدفاتر إلا شرح حظه العثر. حينما كان يتحدث مع الناس خاصة أوقات مجلس الإدارة، كان يهتز، لا إراديًا بسبب اضطرابه، وأحيانًا يضطرب حين يعتقد أن الجميع يعرفون سره لكن هؤلاء الذين يستمعون إلى أحاديثه القوية وألفاظه المعتبرة ويرون صمته وبشاشة وجهه، لا يتخيلون هذا السر مطلقًا، ويتصور لسوء الحظ أنه صاحب عز ومال.

* * * * *

السيدة " طلعت" فى هذه الأيام، حين تريد أن تفتح الموضوع مع "هما"، تؤجل هما" ذلك لأنها كانت تعرف أن أمها لا تستطيع أن ترى الأمور من وجهة نظرها وفكرها لا يصل إلى سمو روحها. تفكيرها عن التعليم لم يكن طيبًا، ولا تدرك معنى التضحية والتغاضى عن مصلحة الشخص من أجل الآخرين. كانت تعرف أن الحديث فى هذا الموضوع معها لن يجدى، وتقول إننى فهمت خطأ وأخطأت، حسن على خان" ليس له أمنية إلا هذا الأمر حقًا، لكنى أنا التى لا أرغب فى الزواج.

الأم مسكينة، في الماضي والحاضر ترى وليدها في خطر وكانت مضطربة وغاضبة. قصة أن حسن على خان" لا يرغب في زواج "هما في رأيها أمر لا يُصدَّق ولا تفهم شيئًا عن هذا الموضوع، لكنها أيقنت بعد طول فكر وسهر ليالي متتالية، أن هناك مناقشة تمت بين "هما و"منوچهر فانفرط عقد المحَبة، واعتبرت أن مهمتها أن تسعى لدرء هذا الأمر. وأنها لن تجد شابًا أكثر استقامة منه لابنتها، خاصة أن "منوچهر كان يقدرها ويحترمها، وأنه قد أسر قلبها.

لم تكن السيدة طلعت تخالف رغبة ابنتها مطلقًا، ولم تقم بأى عمل مهم إلا في هذا الموضوع حين ذهبت ذات يوم سرًا إلى منزل "منوچهر خان" سعد "منوچهر" لرؤية السيدة " طلعت سعادة فائقة، كان يتمنى أن يضمها بين ذراعيه، ويخر على قدمها ويقول لها الكثير فيستريح صدره من ألم الكمد، لكن عزة نفسه تغلبت ولم يفقد إرادته شحب لونه وأصبح نحيفًا. استقبل السيدة طلعت" كعادته بأدبه واحترامه المعهودين، قال: إن شاء الله تكون هما قد تراجعت عن فكرها، فأنا لا أنتظر إلا هذا، أنا أعرفها أكبر من أن أظن في حقها الخيانة وعدم الوفاء.

تأوهت السيدة "طلعت" وقالت: "هما" لا تعرف أنني جئت إلى هنا لكني أردت أن أعرف ماذا حدث بينكما، وماذا دفعها إلى هذا التصور، كلما سألتها تقول لم يحدث شيء، لهذا جئت أسألك.

أفسد ضبط وتحفظ "منوچهر الأمور حتى أنه لم يشعر مما حدث بالاطمئنان بالفوز والنصر، كان قد تخيل أن أم هما" جاءت لتبدى الندم وتصل ما انقطع. لكن ظهر عكس ذلك التصور من نظرة السيدة "طلعت المتحيرة واضطرابها ولم يبقِ أمل أو مجال للخطأ. فقال بصوت مرتعد: لم يحدث بيننا شيء، الآنسة هما" تقول لن أستطيع أن أقول أى مبرر لأننى صرفت النظر عن فكرة الزواج، لكننى أحبك ومهما حاولت فهم الحقيقة لكن دون جدوى، وها أنا مندهش ومتحير، لا يستطيع أحد سوايَ أن يعرف كيف مرت علىَّ هذه الأيام، فكرت بكل ما لدىَّ من قوة تفكير، ظننت ألف ظن لكنى دائمًا أعود إلى أن هناك شخصًا آخر قد ظهر فى الموضوع، وهى تفضله على

تحركت السيدة " طلعت" حركة متشنجة، كان خيالها وراء فكرة ما، ثم قالت بعد لحظة تردد: أنا متأكدة أن هما" ليس لها أحد قط إلا أنت، أنت قد أخطأت، فقال منوچهر يا رب أكون أنا مخطئ، فما ظنكِ إذًا؟، وماذا ينبغى أن نفعل

لم تجد السيدة طلعت ببساطتها وسيلة أو طريقة، تخيلت أنها إذا وضحت الحقيقة لـ "منوچهر ربما يحل لها هذا اللغز. خفضت صوتها وقالت: ينبغى ألا يخرج ما أقوله لك من بين شفتيك، لو عرفت "هما" أننى حكيت لك ستغضب منى، وأموت أنا من الحزن لكن ماذا أفعل، ليس هناك حيلة، ينبغى أن أنجيها من هذا البلاء. فقال "منوچهر

على الفور باضطراب: أقسم بحياة " هما" أن كلامك لن يخرج من بين شفتى، تكلمى بسرعة لأعرف ما التفاصيل.

فقالت السيدة طلعت": مع أنه كان يجب أن أتحدث أولاً مع حسن على خان" لكنه لم يأت إلى منزلنا منذ أربعة أيام، ذهبت ذات مرة إلى منزله لم يكن هناك، علمت أنه يذهب إلى وزارة المالية، واليوم الجمعة جئت إليك أولاً وإن كان لابد من زيارته فسوف أذهب.

خلاصة الموضوع أن " هما" تقول لى" إن زواجى سيكون سبباً فى حزن "حسن على خان"، أخشى أن يشقى " أنتَ تعرف كم تحب هما" عمها العزيز، فهى تعتبر هذا الرجل حقًا مكان والدها، والأفضال التى أسداها لنا لا تحصى، لكنى لا أفهم كلام هما" ولا أصدق أن زواجها سيكون سبباً فى عدم رؤية عمها، "حسن على خان" يعرف أنك ستظل فى طهران"، فلا داع للقلق، خاصة أنه يريد أن يزوج " هما" من زوج طيب، وكان سعيداً بك منذ عدة أيام لأنهم تحدثوا عنك بالخير فى كل مكان

لمعت عين "منوچهر وأخذت نار الحقد، التى كان يكنها لمنافسه المجهول، تضطرم فى قلبه . كان جسده يرتعد ويعض شفتيه تحت أسنانه، قال: الآن فهمت أن تلك الورقة، خطابى كان مزوراً! اتفو على هذا الإنسان الذى لا يخطو خطوة بلا مقابل وأجر، لو أن هذا الرجل كان يساعدكم من أجل هذا الهدف الفاسد. ويعتبر نفسه بجانب الحق

لأنه لم يكن يجرؤ على إظهار ذلك، حتى حان الوقت وأعلن عن سوء نيته. فهمت، و فهمت جيداً! هؤلاء الأشخاص الذين يظهرون الاستقامة، يشبهون الثعابين الملونة، يجب الخوف منهم أكثر، ألم يفكر المسكين إن عمره يعادل ضعف عمر هما"، ألا توجد ذرة رحمة فى قلبه، ليصبح حائلاً بين هذه الفتاة المسكينة وبين الحياة والسعادة. يا له من لص، منع هما" رغم كل هذا الحب والإرادة عن هذا الأمر إننى متأكد أن هما" تترك الدنيا كلها من أجلى وإلى هذا الحد وجدت فيه القوة والإرادة، كنت أتصور أنّه لا توجد قوة مطلقًا تمنعها عن حبى، حقًا، صدقت هذا رجل قاتل، شيطان فى هيئة إنسان!

لو لم تكن السيدة طلعت ، لامتد حبل هذه الشكوك طويلاً، فقالت: لا تعتقد هذا فى حق "حسن على خان"، أنا على يقين بأن هناك خطأ ما، سأذهب من هنا إلى منزله وأحل المشكل، عندئذ سترى أن هما قد فهمت خطأ.

ابتسم "منوچهر من اليأس وقال: أنتِ تعتبرين أن كل الناس مثلك طيبين بسطاء، تتخيلين أن حسن على خان" سيقول لكِ حقيقة الأمر! بالتأكيد سوف ينكر ويمانع فى الظاهر لكن فى الباطن، لن يتخلى عن قذارته، فـ "هما" ليست صيداً بالنسبة له يستطيع أن يمسك به مرة أخرى.

غاص بفكره لحظة وكأنه وجد طريقة للحل، قال بغبطة وسرعة: لا، لا ينبغى أن يستيقظ حسن على خان" من النوم و إلا يفسد الموضوع، لا تتحدثى معه مطلقًا، اتركيه لى، سأتصرف أنا معه بنفسى. يجب أن يلطخ هذا الرجل أمام هما"، أنا أعرف هما" وأعلم أنها لو تلوث شرف حبيبها، ستبتعد من نفسها، يجب أن تظهر وضاعته أمام عينيها حتى تعرفه جيداً، ولا تصاب هى بألم.

فاضطربت السيدة طلعت" وقالت: لا أفهم ماذا تريد أن تفعل، لكنى غير مستعدة أن يصطدم حسن على خان بهذا السر المحرق، لو تخيلت هذا.......

توتر "منوچهر" وأدرك أن السيدة طلعت" لا تستطيع أن تحفظ الأسرار، فقال: ليس لدىَّ أى فكر إلا أن أُفهِّم هما" بأن هذا الرجل.....

قطعت السيدة " طلعت" كلامه وقالت: لا، يجب أن تجعل "هما تُفيق وتدرك أنها فهمت خطأ، وأن عمها العزيز لم يقل أبداً أنه سيتزوجها. فى النهاية وبإصرار من "منوچهر"، وعدته ألا تتحدث فى هذا الموضوع مع حسن على خان"، وعادت إلى منزلها مطمئنة البال بأن الأمر سيتم تداركه سريعًا.

* * * * *

ظـل حـسـن عـلـى خـان" يذهـب إلى وزارة المـاليـة لبـضـعـة أيام ولم يسـتطـع أن يلتـقى بأسـرة رفيـقـه. هيـأ هذا العـذر ليـحـفظ الشكل الخـارجى، لكن فى الحـقـيـقـة، أنه لا يحـتـمل رؤيـة هـمـا"، "همـا" التى سـرعـان مـا صـارت عـالم من الحسن والجمال وستتزوج من آخر! لـم يستطـع أن يسمـع اسم المنافس، فـرؤية إعداد مراسم زواج " هما" كأنه يشاهد منظر محاولة قبض روحه، لكن قلبه كان يخفق للقاء هما" كالطائر الأسير.

اليوم الجمعة وليس هناك عذر لاستمرار الغياب، كالتلميذ الذى سيذهب إلى المدرسة يوم السبت، أوصل نفسه بكل عناء ومشقة إلى منزل المحبوب، لم تكن السيدة طلعت" بالمنزل (كانت قد ذهبت إلى منزل "منوچهر خان") حينما وجد "حسن على خان" نفسه مع هما" وحده، أخذ قلبه يدق، كالطفل المقصر حين يقف أمام المعلم، كان مضطرباً ولم يجد كلاماً يدافع به عن نفسه.

رأت "هما" أحوال العشق على وجهه وتصرفاته واضطرابه، سلَّمت وقبَّلت يده.

كانت كأنها نار، وضعوها على يد حسن على خان"، فارتعد جسده كله هذا ملخص ما فعله لمس شفاه البنت له! لقد انقشعت غيوم السماء السوداء من أفق خياله، وتبدل حال الدنيا فى عينه ، ضحكت الشمس، عجبًا.. هذه الدنيا يا لها من جنة! الحياة ما أعذبها، العمر ما أغلاه،

بشـرط أن يكون مـعنا حـبيب القلب، لكن هذا الحلـم الجمـيل لم يسـتمـر سوى لحظات، تذكر أن "هما" ارتبطت بعشق آخر وسوف يتحول قلب المنافس بصفاء وجودها، إلى الفردوس الأعلى!

كانت "هما" تلاحظ تغير الأحوال في عين "حسن على خان"، وترى كم يعاني، لم تستطع أن تتركه يتعذب أكثر من هذا، ابتسمت وقالت ضاحكة: عمى العزيز، أنا لن أتزوج!

كأن هذا الصوت قد جاء من عالم آخر، فخاف كل منهما، ولم يصدق أحدهما أنها حقيقة، فهاجم العشق وجود "هما" فهزمها وغلبها، كان "حسن على خان" كالسجين الذى وصلته بشرى خلاصه، فتسمر مكانه ولم يتأكد بعد أنه تحرر.

بعد لحظة، قال "حسن على خان" بقلب مسرور مضطرب ووجه هادئ: هل حدثَ من "منوچهرخان" شيء؟ ليس مهمًا، لو لم يكن هو فآخر، لكنني تأكدت أنه شابٌ مستقيم من كلّ النواحي وبخاصة أنه وفق هواك، لو أن هناك بعض المشاكل فهي قابلة للحل.

كان تفكير "هما" في موقع آخر، خارت قواها من أثر تلك الجملة التي قالتها. تغير لون وجهها وعينيها، فتأوهت وقالت بصوت ملىء باليأس: حقًا يا عمى العزيز، لن أتزوج من "منوچهر" لكن دموع الحسرة والألم كانت تسيل في قلبها، وكانت تقول بلغة القلب: مسكين "منوچهر"، هو حظى السيئ......

فقال حسن على خان": ابنتى العزيزة، كل رغباتك مقدسة عندى، لكن من الأفضل أن تخبرينى ما سبب هذا القرار.

"هما" نظراً لأسلوب تربيتها، كانت تهرب من الكذب والرياء، قالت: لو تزوَجت فلن أحظى بعد ذلك بنصيب من لقائكم كما ينبغى، لهذا فقد صرفت النظر تماماً عن هذا التصور، ثم إننى أتمنى أن أقضى عمرى كله فى الدراسة والعمل فى تربية البنات، ويجب أن تساعدنى.

فأمسك حسن على خان" يدى "هما" وقبَّلها بلا وعى، قال: عزيزتى، هذا تفكير الرهبانية، خاصة أنك تريدين أن تهبى نفسك لتربية الأخوات، لكنى لا يمكن أن أوافق لأن الشرط الأولى لى هو سعادتك وسرورك، فكيف أوافق أن تقضى عمرك كله فى حرمان وألم!

فكرت هما" وقالت: أنت تعرف أكثر منى أنه فى العالم المتحضر هناك الكثير من البنات ذوات المال والجمال، لا يتزوجن ويهبن حياتهن للخدمة وعمل الخير، أنا متأكدة أنهن يتمتعن جداً بهذه التضحية وهذه الحياة المقدسة.

كان حسن على خان" لا يستقر داخله من الوجد. لأن محبوبته إلى هذا الحد لم تعد تحب هذا الغريم، عزاؤنا، أننا لم نتوسل إليه.

فقال "حسن على خان": تعرفين أننى لا أستطيع مقاومة منطقك، دائمًا أقتنع بكلامك، لهذا فلا حاجة للكلام. بالطبع سيعلن الزمان عن

نفسه وسيمحو عنك أوهام الشباب هذه، على كلٍّ فأنا موافق على رأيك وراضٍ به.

فقالت هما": أنا أيضاً سعيدة فقط لسعادتك.

قال "حسن على خان": ألا تعرفين أن رقية مريضة؟ من الأفضل، أن تسألى عن أحوالها.

قررت هما" أن تذهب اليوم لزيارة المريضة، ثم تناقش لبعض الوقت عمل حسن على خان" الجديد. كان تعجبه أن فاعل الخير قد أخفى نفسه، يبعث على ضحك "هما"، قالت: لا تتعجب، فإذا كان صديقًا ينبغى أن يخفى نفسه حتى لا تتحمل على عاتقك عبء الشكر. فاعل الخير لا يحتاج إلى أجر، ربما يجد هذا الشخص متعة أكثر فى اختفائه، أكثر من تقديم الشكر له.

فقال حسن على خان": بالتأكيد أن كل ما قلت صحيح لكنى متشوق لأن أعرف هذا الشخص لأُقبِّل يده ووجهه. قالت "هما": ربما تعرفه يوماً ما، لا يجب أن تيأس.

قررت "هما" أن تذهب بعد ظهر ذلك اليوم، لتسأل عن أحوال السيدة رقية"، عاد حسن على خان" بعد فترة إلى المنزل مسروراً.

* * * * *

كان حسن على خان" مليئًا من كأس السعادة، كطفل كانت أمنيته أن يمتلك عصفوراً صغيراً وها هو بين يديه، أو كـ"الإسكندر الأكبر حين هزم"داريوش للمرة الثالثة وأحكم قبضته على إيران كمنديل يضغطه فى يده. كان يضحك للشمس ويغرد مع الطيور التى تشدو فوق أغصان الشجر، ويمزح. كانت أبواب وجدران المحلة تبادله التهنئة. روحه كانت ممتلئة بغرور النصر، كأنه يملك الدنيا بأسرها. كان يسير نحو المنزل وهو ثمل بشربة لذيذة من محبة "هما" للأسف لم يستمر هذا الحال، تبدد ذلك الحال الجميل ومناظر الخيال، أمام الواقع كالدخان أمام الريح. كان يفكر كيف ستكون عاقبة هذا العمل؟ على فرض أننى وافقت على قرار "هما" بسبب الأنانية، ولم تفضل أى زوج ووافق هذا الحرمان هواها، فى النهاية يد الطبيعة قوية وسترضخ لها، لو لم يكن "منوچهر فغيره، سيكون عشقى لـ"هما" هو سبب شقائها، وربما لا أجد لها خطيباً بهذه الاستقامة، "هما" هى أمل حياتى، إذا كنتُ حقًا أحبها، يجب أن أضحى بحياتى من أجل سعادتها و إلا فقد كذبت فى العشق، كنتُ حقيراً ووضيعًا! ينبغى أن أصرف هما" عن هذا الفكر بكل وسيلة. آه مَن الشعور بالمسئولية، فالعدل من ظلم الوجدان، أى شعور هذا الذى لا يتحقق رضاه إلا بحرماننا! ثانيًا: لو أن هذه القوة كانت مسيطرة على كل الناس بنفس القدر، لمنعت الشرور والمصائب عن الجميع، خسارة على هذا الحاكم غير المرئى الذى نطلق عليه اسم الضمير، موجود مع كل شخص ووفق مقتضياته، لكن أحكامه مختلفة. الضمير أيضًا كالعقل الإنسانى، لا يمكن الاعتماد عليه.

عادت السحب الداكنة،تحلق فى أفق خيال "حسن على خان"، وانطفأ النور الذى كان يلمع فى عينيه، وطأطأ رأسه وكان يسير باقى الطريق بتأن ولا يرى شيئًا إلا أوهامه المبهمة، ولا يسمع صوتًا إلا أنينه الداخلى.

* * * * *

السيدة "رقية" لا تؤمن بوجود الميكروبات، ولا تشرب من الماء المغلى الذى يعدوه لزوجها، تسخر من هذا الكلام وتلعن وتسب مخترعى هذه الأكاذيب. الماء الذى يأتى من النهر ويبقى فى خزان الماء هو نظيف ومستساغ فى رأيها. اختلاف وجهات النظر بين زوجة وزوج، تفصلهم تمامًا عن بعضهما البعض، كل منهما يعيش بمعزل عنَ الآخر. منذ بضعة أيام أصيبت بالحصبة، وحالتها تسوء من يوم لآخر، لا تشرب دواء الطبيب فهى لا تلوث حياتها بهذه القذارة.

كانت "هما" وأمها مشغولتين بتمريض "رقية"، يذهب "حسن على خان" إلى الإدارة نهارًا، بينما كانت "هما" تقضى أحيانًا أوقات الفراغ فى التفكير والبكاء، وأحيانًا فى قراءة الكتب، ليلاً يتحدثون معًا. أشار "حسن على خان" مرة أو مرتين إلى قصة "منوچهر" لكن "هما" لم يكن لديها القدرة على سماع هذا الاسم، وتطلب سريعًا ألا يتحدث فى هذا الموضوع.

كلما بحثت "هما" فى هذين اليومين، عن دفتر مذكرات "حسن على خان" لا تجده، كانت تؤدى كل الأعمال حتى عرفت فى اليوم الثالث أين هو وفى أى مكتبة، وأين يخفى مفتاحها. سعدت بهذا، لأنها تحب أن تعرف فيم يفكر الآن وما شعوره، كانت تعرف أن "حسن على خان" يبث آلام قلبه بهذا الدفتر.

فى اليوم الرابع خرج "حسن على خان"، فأحضرت الدفتر، وفى عجالة فتحت آخر صفحاته، كتب فيها:

يوم.....

أتمنى أن يجرى سيل الحزن المهيب الذى يجرى داخل روحى، من سن القلم على الورق، أتمنى أن أضع هذه الألغاز التى يعانى منها عقلى وقلبى وأصبحت مبهمة، فى معادلات وأقوم بحلها، لأرى أى تغيير سيتم فى الخارج، ما سبب هذا التردد، هذه الهمهمة التى برأسى. لا أعرف من أين أبدأ وماذا أكتب، كأنى أقف على شاطئ البحر وأريد أن أحلل هذه الأمواج المتلاطمة وأعرف قدر كل واحدة على حده، وسبب مجيء وذهاب كل منها. عندما أغمض عينى بسبب هبوب النسيم، يتبدل شكل البحر، تتلاطم أمواج قلبى كل لحظة بسبب طوفان الحزن ولا تدع لدىَّ فرصة للتفكير....

هى.... واهبة الحياة لى، لماذا؟... تذهب... إلى أين؟ لماذا ترتبط حياتى بها؟ لماذا أتخيل أن وجودى من وجودها؟ لو لم تكن هى فلا سعادة، ولا حياة، بل العدم

نعم تلك هى الحقيقة، لا أناقش بلا مشاعر، بالمنطق لا يمكن أن نقلل من قوة الحقائق، على الأقل رغم صعوبة التباحث والمنطق، لن أقلل من متعة آلامه، من ذا الذى لم يعان من الوهم؟ لقد كنت فريسة آلاف الأوهام والظنون الأخرى طوال حياتى لكن لم يكن قيد ضميرى بهذه القوة، ولم أشعر بهذا القدر من المتعة. الآن أفهم أن العشق للإنسان، أمرٌ طبيعى وسائر العشق بعدهِ مزوراً. أى متعة هذه التى تحترق روحى، من آلامها؟ أمر عجيب، لو أنه ألم فلماذا لا أتمنى الخلاص منه! لِمَ أتذوق طوال حياتى هذا الألم الممتع؟ كأن شمع حياتى بدلاً من أن يحترق شيئًا فشيئًا فى محفل موت القلوب، انتهى فى ساعة واحدة بنار سرور مجلس العشاق. هذا الموت أفضل.

نعم هى..... روحى، تذهب فى أحضان آخر، أى أن غيرى سيأخذ روحى....

حالة غريبة. ربما يكون هناك آخرمبتلى بهذا الألم فى الدنيا، هل يعانى كما أعانى أنا؟ يجوز، لكن كل شخص يتأثر بشكل ما. لكننى أعتقد أن أحداً لم يعانِ بهذا القدر.. يدعى كل عاشق ذلك وله الحق.

أيها الموت لا تأت، لا تأت، عمرى كله كانْ حرمان، دعنى أحترق قليلاً وأستمتع.

هذا التغيير فى حالى، متى بدأ؟ منذ بضعة أيام؟ لا أعرف، لم أعد أعرف النهار من الليل، وما تلك الأوهام التى ظهرت بداخلى؟ لأكن طفلاً يرى ملكه ويتمنى تاجه، يا لها من رغبة مستحيلة!"

قرأت " هما" هذه المذكرات عدة مرات، وأخذت تبكى على عجز "حسن على خان"، و "منوچهر"، وعجزها

* * * * *

كان الوقت ليلاً، و"حسن على خان" يجلس مع " هما" يتحدثان. قال "حسن على خان": "هما" العزيزة.. هذا الخيال الذى راودك يؤلمنى جداً، لا أستطيع أن أتخيل لماذا سيطر هذا الخيال الطفولى على رأسك. أكبر خدمة للوطن والبشرية هى أن تسعدى نفسك وشخص آخر، تتمتعى بنعمة العشق والمحبة ثم تعدى أطفالاً لخدمة الوطن، وبالتأكيد فى نفس الوقت تستطيعين أن تقومى بكل أنواع التربية والخدمة أيضًا، إننى متأكد أن "منوچهر خان" لن يكون بالشخص الذى يهدم أحلامك.

لم ترد "هما" وكانت تتأوه لا إرادياً. فاعتبر "حسن على خان" صمتها دليلاً على الرضا، ومد حبل الكلام، وزاد فى كل ما يزيد رضا "هما"، فاضطرب قلبها، وانهارت روحها، لكنها لم ترفض النصيحة، فى النهاية قال: عزيزتى "هما" لماذا لا تتحدثين ولا تجيبين؟ فاحمرَّ وجه "هما" وتسمرت عيناها بالأرض، قالت: سعادتى هى أن أكون معك، وتكون لى كل الناس، ولا أحد يهم بعد ذلك....

ظل "حسن على خان" للحظة لا يتحرك، عند سماع هذه الجمل، ثم حرك نفسه تأكد أنه ليس حلمًا، ومد يده بهدوء وأمسك يد "هما" وركع تحت قدميها، ووضع رأسه على طرف ثوبها وأخذ يبكى بحرقة، فكانت قطرات

دموع "هما" تتساقط على رأسه بينما تداعب "هما" شعره، مضى بعض الوقت على هذه الحال، رفع حسن على خان" رأسه وقال: لا أتمنى شيئًا من الحياة بعد ذلك، ما أجمل أن أموت الآن تحت قدميك.

مسحت "هما" دموعها، وأجلسته على الكرسى، وقالت: لكنى أتمنى أن تعيش للأبد.

تأوَّه حسن على خان" وقال: حقًا ما أقول، إن حياتى كانت سببًا فى شقاء كل أهلى، كيف أربط حياتى بعمرك اللطيف! أنتِ أصغر منى بخمسة عشر عامًا، أنتِ متجهة للشباب وأنا متجه نحو الشيخوخة، كيف أقترف ظلما كهذا فى حقك؟ أعترف بهذا الذنب وهو أننى حلمتُ بامتلاكك وأعتبر نفسى مذنب وأستحق العقاب. يعنى حقًا لا أعرف ماذا حدث، حينما تحدثوا عن زواجك، طرأ علىَّ شعور جديد، ومهما فعلت كى أبعد هذا الخيال المخجل عنى لم أستطع، لكننى كنت أرى هذه الأمنية كم هى بعيدة! كأننى كنت أتمنى نجمًا من نجوم السماء، ربما تألمت كثيرًا، لا أتذكر جيدًا، لكن سعادة هذه اللحظة مسحت كل الآلام من ذاكرتى.

ابتسمت "هما" وقالت: لقد فكرت كثيرًا خلال هذه الفترة حتى أننى كبرت ما يقرب من خمسة عشر عامًا، لهذا فليس هناك فارقًا فى السن بيننا.

فقال "حسن على خان" بعد لحظة تفكير: عزيزتى "هما" تكلمى لأعرف هل عرفتِ شيئًا عن حالى خلال تلك الأيام؟ اللعنة علىَّ! ربما

تصرفت بطريقة فهمتِ أنتِ منها شعورى، كم أنا ضعيف، كم أنا صغير وضيع، فاحترق قلبك لحالى وأردتِ أن تضحى بروحك من أجلى، لا يا عزيزتى، لو أن هناك من يجب أن يضحى فهو أنا، فوجودك اللطيف من الظلم أن يصاب بأذى، والتضحية لا تزال بعيدة عنك، فهل عرفت أننى بهذه الوضاعة والأنانية؟ هل تتصورين أننى مستعد لأن تكون سعادتى على حساب سعادة الآخرين! والذى لابد أن يصل وجودك الجميل فقط هو أنكِ سبب حياتى. بالطبع لا تعرفين كم أحبك، لأننا لم نتحدث فى هذا الموضوع إلى الآن، ولم يصدر عنى فعل تعرفين منه درجة محبتى لكِ.

قالت "هما": سعادتك فقط ستكون هى سعادتى.

فقال" حسن على خان": سعادتى هى أن تكونى سعيدة وإن لم تنتبهى، فأنا أعرف جيداً، سعادتك فى أن ترتبطى بـ منوچهر الذى تحبينه ويتناسب مع عمرك ومن كل الوجوه. لأننى أعرف أنكِ لا تستطيعين الكذب فأخبرينى ألا تحبين منوچهر خان" ؟

تأوّهت هما" وقالت بصوت ضعيف: أحبه. كأن الحجرة قد انهارت فوق رأس حسن على خان"، كان يعرف الحقيقة لكن أن يسمعها من فم هما" فلها تأثير خاص. قال: إذاً تريدين الشقاء لكِ ولى معًا! على الأقل دعينى أسعد لسعادتك.

قالت "هما": لقد قررت ولن أتراجع، و"منوچهر خان سرعان ما سيجد أخرى، أما أنتَ.....

أقبح الأعمال، الإساءة إلى شرف شخص، أسوأ من قتله، مادام لم تثبت إدانة الشخص لا ينبغى الكلام حتى حين تثبت الخيانة، فإن أهل الأخلاق يخفونها عن عيون الآخرين، ويكتفون فقط بتنبيه الخائن لأنه من الممكن أن يندم الإنسان المذنب، ويقوم نفسه لكن حين يُدنس شرفه فإن ذلك يولد لديه شعور الانتقام من المجتمع ويستمر فى أعماله السيئة لأنه يرى أنه لا فائدة بعد ذلك من الندم. فيكسب المجتمع عدواً ويخسر إنساناً.

يا لها من ذاكرة جيدة لدىَّ، كان ذلك كلام المدير بالنص، لم أنس كلمة واحدة، اصبر إن شاء الله سأصدر أنا جريدة وأكتب بها كل هذا الكلام، حينئذ سنرى ما يمكن أن أفعله لكَ، وحياتك ستصبح وكيلاً، هذه الدورة القادمة أنا وأنتَ سنصبح وكيلين، لكن ينبغى أن ننفق مقداراً من النقود، لا يضر، ثم ينفقون بضعة آلاف تومان لهذه الوكالة، ويكون راتبهم الشهرى مائتا تومانٍ؟ سيكون هذا هو أول إجراء لى أن أجعل الأجر الشهرى المقرر للوكالة خمسمائة تومانٍ! بالتدريج سيكون هذا.

تأكد أن معلوماتى أكثر من ذلك كثير جداً، المعلومات التاريخية والسياسية والعلمية ليست مهمة للوكالة، يجب أن يكون كل هذا طبيعياً وبديهياً. رأسى هذه مليئة بالسياسة، أتكلم هكذا، وأصرخ خلف منصة الخطابة حتى يندهش الجميع! أقول: السادة الوكلاء، أيها الممثلون لخمسة عشر مليوناً من الشعب، مدة ستة آلاف وثلاثة عشر عاماً!....

كان "منوچهر خان" يمشى فى حجرته بشكل عصبى ينتظر شخصًا ما، فُتح الباب، ودخل شيخ، لاهث، متعَب،عاجز، يغطيه الرماد والتراب، زجاج نظارته ملتصق من أسفل بوجهه ويحفظ قطرات العرق، وقع على الكرسى وقال: منذ أول أمس حتى الآن وأنا أبحث لك عن رجل. فسأل "منوچهر" بسرعة وما النتيجة؟ فابتسم الشيخ ببرود وقال: كيف تريد أن تكون! الأمر الذى يسند إلىّ ستفاجأ فيه بما لم يكن فى الحسبان؟

انفرجت أسارير "منوچهر خان" وقال: حسن جدًا، تكلم لأعرف ما النتيجة، فقط بنعم أو لا تكفى.

خلع الرجل العباءة من على كتفه، وألقى نصفها على الكرسى ونصفها الآخر على الأرض وقال: أخبر"محمد تقى" بأن يحضر لى كوبًا من اللبن الرائب بسرعة، لأننى أموت عطشًا، الآن لا تتعجل، اجلس، لكن أقسم بحياتك كان الأمر صعبًا جدًا، كم تحدثت بكلام مزيف حتى عجز لسانى، ربما يوافق مدير "صوت الأمة" كان يقول: الجريدة هى وسيلة لتنوير أفكار الشعب، وهى أيضًا المربى والمعلم لأخلاق المجتمع.....، لا أتذكر، لا أستطيع أن أنطق بالقبح مثله، كأنه يقول: "ينبغى القضاء على مساوئ المجتمع بنور فكر الكُتاب بالجريدة.

كان يقول الكثير، من هذه الجمل الإنشائية، مثلاً قال: الجريدة هى درس فى الأخلاق، ينبغى أن تكون نموذجًا للجميع، الكذب والبهتان من

قطع "حسن على خان" كلامها وقال: على فرض أننى وافقت أن تضحى بحياتك من أجلى أيجب أن تنسى أننى متزوج ولا أستطيع أن أتزوج من أخرى! هل توافقين أنتِ بعد كل هذا الكلام فى الموضوع، أن أتعامل بعكس مبادئ أخلاقى؟ هل ستعتبرين الرجل الذى يتزوج من امرأتين رجل محترم؟ هل ستشعرين بأى طمأنينة فى الزواج من رجل كهذا؟ بالطبع لقد كانت السيدة "رقية" مصيبة حياتى، لكن ليس هناك تقصير معها، كان ينبغى أن ننفصل عن بعض، لكنى رحمتُ ضعفها، لكن بالتأكيد ليس هذا سببًا لأن أتزوج من سيدة أخرى فى وجودها، كأن زوجتى ستتزوج من زوج آخر، هى الأخرى إنسانة ولها مشاعر، هل تعرفين أى ألم سيصيبها؟ هل ترضين بهذا الظلم؟ بالتأكيد إن السيدة "رقية" بعيدة عن هذا الاحتمال، لكن الشخص الذى يتزوج من زوجة ثانية، كيف يمكن أن يكون مطمئنًا على عفة زوجته الأولى؟ وربما تكون الزوجة الثانية غير وفية كالرجل وتفكر فى المستقبل. وأخيرًا فإننا يجب أن نراعى أولاً المبادئ التى يمكن أن نتقبلها.

رفعت "هما" رأسها وقالت: حقًا ما قلت، كنتُ قد نسيت هذه النقطة تمامًا، ولكن على أية حال أنا لن أتزوج، وأتمنى أن أكون معك دائمًا.

فقال "حسن على خان": أنتِ ملاك، لم يخلق الله أفضل منكِ، دعينى أُقبِّل يدكِ.

* * * * *

أصاب "منوچهر خان" الملل فقال بعصبية: لقد نفد صبرى، ليس هذا وقت هذا الكلام، تكلم لأرى ماذا حدث فى النهاية!

فقال الشيخ فى النهاية تم ما ينبغى أن يكون، تركت مدير"صوت الأمة " وإجابته الطيبة، عندئذ قلت هذه المقالة ليست كذب وافتراء، ليطمئن بالك، هو كما قلتَ، تذكير فقط حتى يندم المذنب ويقوِّم نفسه. أولاً أعطيته مقالاً مع خمسين تومانًا، فدس المبلغ فى جيبه بسرعة وألقى نظرة على المكتوب وقال: هو كما قلتَ، ليس هناك ضرر، غداً سيدرج فى الصفحة الأولى، سأضيف أنا سطر أو سطرين من أجلك.

لكن مدير صوت الإيرانيين مسكين، لونه مثلنا شاحب من الجوع. لم يسأل أصلاً ما هذا أو يتعلق بمنْ، لم أدفع له أكثر من تومانات عشرة، مسكين لم يعترض،لا يفضح العيوب مثل مدير جريدة صوت الأمة ، لا يلاحظ أحد عليه شيئًا.

* * * * *

غداً فى الصباح الباكر دخل "غلام رضا خان" عضو مجلس الإدارة ، حجرة حسن على خان "، بوجه طلق وطريقة تدل على الفتح والنصر، ووضع على المنضدة، عدداً من جريدة صوت الأمة وكانت موشاة بخطوط حمراء حول أحد الأعمدة لجذب الانتباه، وقال بابتسامة خاصة: تفضل، لقد كتبوا مقالاً يتعلق بسيادتكم. أتذكر سيادتكم ذلك

اليوم حين التقيت بكم فى المحلة، ماذا قلتُ؟ لم تهتم بكلامى، بسرعة لم يمض الوقت بعد، من الممكن أن أجعلهم يكتبون عكس ذلك غداً . ثم قرَّب رأسه من أذن حسن على خان " وهمس بصوت ضعيف قائلاً: لكن يجب أن تتم لى إجراءات منصب "المساعد حتى نعمل معًا، وسنمنع إن شاء الله هذه الحوادث.

أخذ حسن على خان" الجريدة وقرأ فى الصفحة الأولى:

هو محرك عجلة جهاز المملكة، المالى والاقتصادى، لم يبق كثيراً وتتوقف هذه العجلة عن العمل بسبب الإهمال وغفلة أولى الأمر. المصالح المختلفة تجذبها إلى كل ناحية، فيمنعها عن التقدم. هذا الشعب تتعلق أنظاره بقلب ملىء بالاضطراب والخوف بيد المصلح السيد...... وزير المالية الجديد وهو متأكد أن ربان السفينة يستطيع أن ينقذ هذه السفينة بلا دفة، هم كذلك. للأسف يبدو أن هذا الأمل ليس هناك ما يدعمه، وقد استولت ظلمة اليأس من جديد على قلب الأمة، حين أسندت هذه الأمور إلى يد أشخاص غير جديرين وسيئى السمعة! من بينهم إدارة كشف التبذير، التى استحدثت فى وزارة المالية، كانهم قد أسندوا عمل الخبز المنزلى إلى شخص غير شريف مجرم، إسناد مهمة كشف التبذير إلى شخص سابقة السرقة والاختلاس عنده أوضح من ضوء الشمس أمر عجيب ومضحك، كل الناس يعرفون أن هذا الشخص كان يعمل سابقًا فى وزارة المالية وفُصِلَ نتيجة خيانته وعمله المشين، والآن إسناد العمل إليه مجدداً، هذا العمل العظيم المهم مرة ثانية، يقطع الأمل دفعة واحدة

من كل الشعب. السيد الوزير، أنا أحكى لك ذلك للإصلاح،من الأفضل لكم أن تأخذوا بالنصيحة.

توقيع أحد الوطنيين

وصلتنا أيضًا معلومات خاصة بشأن هذا الشخص وسوف نوصل رأى الشعب على الرقم التالى. صوت الأمة"

احمرً وجه حسن على خان" ونهض من مكانه، قال: أنا واثق من نفسى، هذا الشخص الذى كتب هذه الأكاذيب غير شريف، لو أن هناك فى المملكة عدالة، لو أن المجتمع يعتبر الشرف محترمًا، لكان قد وضع قانونًا لحفظ الشرف، وسيعاقب الكاتب بما يستحق من عقاب.

فابتسم "غلام رضا خان" وقال: ماذا أقول، واضح أنكم لستم من أهل هذه المملكة، ولا تعلمون شيئًا عن الأوضاع.

لم ينصت حسن على خان وأخذ الجريدة فى يده، ثم ذهب مسرعًا ناحية حجرة الوزير.

* * * * *

كان السيد الوزير قد استنبط من المقالة السابقة، ومن حالة الاضطراب التى أصابت حسن على خان" وجعلت الجريدة ترتعش فى يده أن القذف قد أثر عليه، فتكلم الوزير قبل أن يتكلم هو قائلاً: يبدو أنك متأثر بالمقالة الجميلة لجريدة صوت الأمة "، معك حق، لأنك أول مرة

تتعرض للاتهام والقذف. هذه أحد عيوب المناصب الحكومية، لكنك ستتعود وبعد ذلك لن تهتم بهذا الكلام

تحير حسن على خان"، وكأنه تصور أن الجميع قد ثاروا ضده! فقال بلهجة حادة وجادة: أنا واثق من نزاهتى، لكن يجب تنبيه الكاتب لأنه أجرم، ربما تكون سيادتكم موضع شك لهذا السبب. أرجو أن تأمر باتخاذ الإجراءات اللازمة للتنبيه على هذا الشخص.

ضحك السيد الوزير وقال: حل هذه المشكلة هو أن تفترض أن هذه الواقعة كأن لم تكن، وتتصور أن هذا الإفك يتعلق بشخص اسمه حسن على خان" يعمل فى وزارة المالية على كوكب المريخ.

اضطرب حسن على خان" وقال: إذا سمحتم سيادتكم أقيم دعوى بوزارة العدل. فكر الوزير وقال: أرجو أن تشرف منزلنا الليلة الساعة الثامنة والنصف أو التاسعة تقريبًا، عندى صندوق خاص أحتفظ فيه بكل ما كتب من هذه المذكرات، سأعطيها كلها لك لتقرأها. رغم أن قراءة كل المقالات المليئة بالقذف والسب فى حقى، يستغرق بضعة أيام لكن لا أعطى لها قيمة. بعد أن تقرأها كلها، عندئذ لو رأيت الصلاح وأردت الرجوع إلى المحكمة، فأنت حر لكننى متأكد أنك لن تعطى الموضوع أى اهتمام. مَن فى هذه المملكة لم يتعرض للتهم والسب من فاضحى الأسرار. خاصة أن هناك الكثيرين يحبون هذا البلاء ويعتبرونه سببًا لشهرتهم. لو أن للشرف قيمة ما كان أحد يتعرض للهجوم والسخرية بهذه السهولة، وكانت هناك قوانين صارمة تحفظه.

المتحدث والمستمع، الكاتب والقارئ لا يهتم أيهم بهذا الكلام. كما تعرف فى "إنجلترا" لو أن شخصًا قتل أو أذنب، فإن كل أعضاء أسرته يتم إعدامهم، ويتركون محل إقامتهم وشهرتهم، لكن هنا فالقتل والجرم لا يترك أى أثر سيئ فى حياة الجانى تقريبًا، بل يتعلق الأمر بمقدار ما يملك من ثروة ونفوذ. فى هذه المملكة الاهتمام فقط بشيئين المال والمقام، وتسير الأمور فى الماضى والحاضر كما تريد. وعلى كلٍّ الليلة تأتى إلى منزلى لنتحدث ثانية فى هذا الأمر.

* * * * *

جاء "حسن على خان" إلى المنزل ظهرًا لتناول الغداء، شاحب اللون تبدو على وجهه آثار الاضطراب. فأحست " هما " بهذا التغيير فى أحواله، وسألت عن سبب ذلك، حكى لها "حسن على خان" ما حدث. سكتت "هما" وغاصت فى التفكير.

فقال "حسن على خان" فى النهاية لا توجد تهمة بلا تأثير، الأشخاص الذين لا يعرفوننى، لابد أنهم سيصدقون ويقولون لأنفسهم لو لم يحدث شىء لما قالوا هذا، وهؤلاء الذين يعرفوننى سيضطرب ذهنهم، وربما أطهر وأنقى القلوب أيضًا........

فلم تدعه "هما" يتم حديثه، قالت: ليتنى كنت أعرف ذلك الشخص الذى كتب هذه الأكاذيب وأستطيع أن أطلق على رأسه رصاصة لكن لا، أنا لست قاتلة، فقط أكتفى بنظرة احتقار. هذه الدنيا غريبة، هل هناك

أشــخــاص يرتـدون مـلابس كـســائر النـاس، لهم مكان فى كل مـجلس، يتـحدث معهم سـائر الناس ويعـاشـرونهم ولا يـخافون منـهم. لو أننى كنت حاكمـة لشـعب، لوضـعت السب وهتك الشـرف على رأس كل الذنوب ولا أرحم مطلقًا من يرتكب هذا الذنب.

لم يجد حسن على خان المواساة فى حديث وزير المالية مطلقًا، وهدأ لمواساة " هما

قـال: عـزيزتى هـمـا"، لقـد خلصتِ روحى من الألم، مـحبـتك لى أفضل من حماية الملك، لو أن العالم كله ضدى وأنتِ معى، لن أخاف.

* * * * *

ساءت حـالة السيـدة رقيـة"، جاء الطبيب قرب الغروب ولم يقرر لـها دواءً، قال: انتهى الأمر.

قضت "هـمـا" و"حسن علـى خان" والسيـدة "طلعت" الليل مستيـقظين فى حـجـرة المريضة. كـانت فى حـالة إغـمـاء. فى الصبـاح تقريبًا،تخلصت من الألم والتعب.

كان الجميع متأثرين من بكاء حسن على خان" وكانوا يبكون. كان يقول: لقد خجلت من وجهها، لم أتصـرف وفق رغبتـها، كان قلبها يتألم بسببى. ماذا أفعل الذنب ذنب طبيعتى الأنانية التى تريد كل شىء وفق إرادتها.

* * * * *

بعد شهر، ذات يوم قال حسن على خان لـ هما" ضاحكًا: لم يتركنى بعد هؤلاء الأشرار لكن كلامهم لم يعد يؤثر فىَّ ثانيةً، الآن أفهم أن حساسية ومحبة الأشخاص للشرف، من الممكن أن تتغير بهذه الطريقة، تجعلهم فى برود و بلا خجل، حتى نفس الأشخاص من الممكن أن يصبحوا ذات يوم هم أنفسهم مذنبين وكاذبين. حينما ينشغل أفراد مجتمع بسب وقذف كل منهم الآخر طوال الوقت، فإن شعور الشرف والأخلاق الذى هو أساس اطمئنان الناس وسبب بقاء وترقى الأمة يضيع، ونصبح هكذا كما نحن الآن.

لكن "هما" لم تكن تنصت جيدًا وكانت مشاعرها فى مكان آخر. فأدرك ذلك "حسن على خان" وقال: "هما" العزيزة منذ بضعة أيام تفكرين كثيراً، أعرف فيم تفكرين، لأننى دائمًا أراقب تفكيرك، فكرى دائمًا متوجه لكِ حتى أصبحت مشغولا بكِ. تتعجبين لماذا لا أتحدث عن ذلك الموضوع، لأنه حقًا ينبغى قول، أعترف أننى حتى اليوم فى صراع مع نفسى، لكنى هزمت اليوم نفسى وتغلب عقلى ؛ أريد أن أقول إن عشقى قد تغلب، والآن أنا مستعد أن أضحى بنفسى فداء للحب، ولم يبقَ لدىَّ أى تردد.

حقًا يا "هما" العزيزة تتوقعين أن أقول لقد رحلت "رقية" المسكينة وتحررت وليس لدىَّ ما يعوق السعادة، وأخلصك من الشك،لا، ليس كذلك يا "هما" العزيزة، هذه السعادة الظاهرية ستكون شقائى للأبد. ليس لشقائى أهمية، أنت ستكون تعسة، وذلك بيدى! شىء كهذا مستحيل،

بعد شهر، ذات يوم قال حسن على خان لـ هما" ضاحكاً: لم يتركنى بعد هؤلاء الأشرار لكن كلامهم لم يعد يؤثر فىَّ ثانيةً، الآن أفهم أن حساسية ومحبة الأشخاص للشرف، من الممكن أن تتغير بهذه الطريقة، تجعلهم فى برود و بلا خجل، حتى نفس الأشخاص من الممكن أن يصبحوا ذات يوم هم أنفسهم مذنبين وكاذبين. حينما ينشغل أفراد مجتمع بسب وقذف كل منهم الآخر طوال الوقت، فإن شعور الشرف والأخلاق الذى هو أساس اطمئنان الناس وسبب بقاء وترقى الأمة يضيع، ونصبح هكذا كما نحن الآن.

لكن "هما" لم تكن تنصت جيداً وكانت مشاعرها فى مكان آخر. فأدرك ذلك حسن على خان" وقال: "هما" العزيزة منذ بضعة أيام تفكرين كثيراً، أعرف فيم تفكرين، لأننى دائمًا أراقب تفكيرك، فكرى دائمًا متوجه لكِ حتى أصبحت مشغولا بكِ. تتعجبين لماذا لا أتحدث عن ذلك الموضوع، لأنه حقًا ينبغى قول، أعترف أننى حتى اليوم فى صراع مع نفسى، لكنى هزمت اليوم نفسى وتغلب عقلى ؛ أريد أن أقول إن عشقى قد تغلب، والآن أنا مستعد أن أضحى بنفسى فداء للحب، ولم يبقَ لدىَّ أى تردد.

حقًا يا "هما" العزيزة تتوقعين أن أقول لقد رحلت رقية" المسكينة وتحررت وليس لدىَّ ما يعوق السعادة، وأخلصك من الشك،لا، ليس كذلك يا "هما" العزيزة، هذه السعادة الظاهرية ستكون شقائى للأبد. ليس لشقائى أهمية، أنت ستكون تعسة، وذلك بيدى! شىء كهذا مستحيل،

ليس له نتيجة إلا تعذيب النفس. لو كان ممكنًا أن أبيع روحى وأشترى قلبك ما كنت أتأخر لحظة، لكن القلب لا يباع.

كانت دموع "هما" تبلل طرف ثوبها، فأمسك "حسن على خان" يدها وقبَّلها، قال: إذا كنتِ تحبين عمك المسكين فلابد أن تسمعى كل ما يقول، سعادتك فى هذا.

فقالت "هما" بصوت ضعيف مرتجف: أنت مخطئ، أنا سأنساه، لا أستطيع أن أراك تتألم، الموت أفضل لى من هذه الحياة. آه لو تعرف كم أعانى!

رأى "حسن على خان" أنه لم يبق شىء ثم تهوى على الأرض، العشق يُعمى عين العقل تقريبًا، فنهض وقال: عزيزتى "هما" أعرف كم تعانى وتتألمى، وأى صراع يدور فى ذهنك بين عواطف مختلفة، فلتدعى حل هذه المشكلة لى، قرارنا سيكون كالتالى لن نتحدث فى هذا الموضوع أسبوعًا، أنا متأكد أننى سأجد الحل، لى شرط أن تكونى راضية وسعيدة. فقالت "هما": أشترط أن تكون راضيًا وسعيدًا أيضًا.

* * * * *

صباح يوم الجمعة وكان قد مر ستة أيام على هذا الحوار، كان "منوچهر خان" يجلس مهمومًا على الكرسى يشاهد زهور الحديقة وهو فى حيرة. عندما قال خادمه: "حسن على خان" يريد أن يقابلك، فقفز من مكانه، واحمرَّ وجهه وتلاحقت أنفاسه. مرّ بمخيلته فى لحظة آلاف

الظنون لسماع هذا الاسم، قال: قل له تفضّل، أراد أن يذهب لاستقباله، فمنعه شعور الحقد، أراد أن يفر من الخجل فلم تساعده قدمه. لم يتخذ قرارًا بعد حتى اقترب حسن على خان " وسلّم، فردّ "منوچهر خان السلام بجفاء وقال: بم تأمر؟

لم يكن" حسن على خان قد رأى منوچهر مطلقًا، وحين رآه ممشوق القوام طلق الوجه فصدّق هما"، وشاهد أثر غارة العشق فى شكله الحزين، فالتمس العذر لخشونة لهجته. قال: أعتقد أنه لا مبرر للمقدمات، لقد جئتُ لأسأل لماذا لا تذهب لرؤية السيدة "هما"؟ كل منكما يحب الآخر، وأنا موافق أيضًا، وليس هناك مانع فى الموضوع.

فسلب حُسن بيان هذه الجملة منه كل قواه، وضاع كل ما كان قد جمعه من قوة طوال الأيام، عقب هذه الجملة، فتغير لونه، وخارت أعصابه.

تحير "منوچهر خان" كالصقر حين ينظر إلى الحمامة وقال: ما غرضك من هذا الكلام؟ ما الجديد الذى نسجه خيالك؟ ماذا تريد أكثر من شقاء شخصين؟ فهمت، تريد أن تنتقم، معك حق. لقد قمت أنا بحيلة و جئت بحيلة أمامها. الذنب ذنبى، لو تعاملت برجولة كنت الآن أعطى نفسى الحق أن أرد عليك برصاصة.

جلس حسن على خان" على الكرسى وطأطأ رأسه، وظل صامتًا برهة يفكر، تأكد أن هناك خللاً فى حواس "منوچهر"، فتفتق ذهنه بنور

الأمل، وفكر إذا كان "منوچهر" قد جنَّ إذًا فلم يعد صالحًا للزواج من "هما"، وسيفنى عشق "هما" بمرور الزمان. يا لها من صدفة سعيدة! كان يقول لنفسه حدث ما أتمنى، دون أن أقترف ذنبًا!

هذا الأمل لم يستمر أكثر من لحظات، واستولى عليه ظلام اليأس فمرَّت بخياله صورة أخرى؛ تخيل أن "هما" قد روت لـ "منوچهر" ما حدث وقالت " إن "حسن على خان" مستعد من أجلى لأن يصرفَ النظر عن عشقه " والآن هذا المسكين يعتبر أننى سبب شقائه، ولأنه شاب حاد الطبع، لم يستطع أن يخفى شعوره. معه حق، لا يصح التلاعب بأحاسيس أحد.

بعد هذه الأفكار، رفع رأسه مبتسماً، بسمة حزينة وقال: فأنا أقبل كلامك الردىء، لأننى أعرف حالتك لكن وقع هنا خطأ كبير، أقسم لك بحياة " هما" أننى لم أكن يومًا حائلاً بين العشق وحياتك ولن أكون، خاصة أننى أعرف أن كل منكم جدير بالحياة مع الآخر من كل الجوانب. أثناء ذلك اقترب من "منوچهر" ووضع يده على كتفه وقال: أنتَ أيضًا ستكون ابن عزيز لى.

كأن "منوچهر" قد استيقظ من النوم، وعرق بارد قد استقر على جبينه، فجففه بالمنديل وتعلق بصره بكتف "حسن على خان" وقال بصوت منخفض كله رجاء: أنتَ رجل عظيم، لقد سمعت عن سمو أخلاقك لكنى لم أصدق أن يكون هناك إنسان بهذه الطيبة! أنا حقير ووضيع لكنى

كنت قد فقدت عشقى، أى بلاء عظيم لنا بسبب العشق، لقد قتل عقلى وضميرى، لا أعرف ماذا فعلتُ وأى جرم ارتكبت، الآن وقد تفتحت عينى أخاف من شكلك المهيب. لحسن الحظ أن شرفك لم يلطخ بسبب هذا الكلام...... لكنى كنت طيب الخلق فيما سبق وأفهم دقائق الأمور، لكنك لم تتحدث عن ذنبى حتى لا أخجل......

رجع "حسن على خان" لا إراديًا خطوة إلى الخلف وارتعد جسده من رأسه إلى أخمص قدميه، وبدت الوحشية فى نظرته وقال: أنت الذى فعلت تلك المصيبة! لم أكن أعرف! لو قال لى شخص آخر ذلك لَمَا صدقت، أنتَ الجانى، ليس عندك شرف!....

أدرك "منوچهر" أن "حسن على خان" لم يكن يعرف بفعلته، هذه المرة ورأى أن وضعه فى خطر. فقال بصوت باكٍ: معك حق فى كل ما تقول، لقد أخطأت، أنا مذنب، لكنك عظيم، فسامحنى، العشق أعمانى وأصمَّنى، سامحنى، وحياة "هما" سامحنى. سماع اسم "هما" جعل قلب "حسن على خان" يرق، وأخمد ناره، وتمالك نفسه. بعد لحظة تفكير، قال: أنا أسامحك، ولا يُكِن لك قلبى أى حقد، لكن المشكلة هى أننى لم أعد أعتبرك جديراً بالزواج من "هما" لماذا؟ أولاً لأن العشق الحقيقى يجعل الروح رحيمة، والقلب نبيل. الإنسان الذى يحب حقًا يرى وجه المحبوب فى كل الموجودات ولا يستطيع أن يؤذى أحداً، فقلبه ملىء بالحب لا مكان به للحقد. ثانيًا: أنتَ إنسان غير متحضر، إنسان متحضر أى يتخذ لنفسه مقاماً ويُكوِّن له شخصية و مبادئ حازمة فى

السلوك والتعامل، يعتبر الاحترام والأدب وحفظ أعراض الناس أول واجباته هتك أعراض الناس بالكذب جناية أبشع وأفظع من كل أنواع القتل. لو كنت قتلتنى علنًا لالتمست لك العذر، لكن هذا التصرف لا يمكن إغفاله، وقد لطخ شرفك. الإنسان الشريف لا يمكن أن يدفعه إلى عدم الشرف، لا العشق ولا الخوف على المال والروح ولا أى شعور آخر. فالمال والمقام وحتى العشق الذى يُشترى بعدم الشرف وحقارة النفس، شيء لا قيمة له. عذرك بأن العشق قد أعماك وأصمك، عذر غير مقبول. وعلى هذا فأنت لست إنسانًا حقيقيًا ولا تملك مقومات الزواج من "هما" ثم سار إلى باب المنزل.

حين أفاق "منوچهر كان حسن على خان" قد خرج من المنزل تقريبًا، فجرى وأمسك بذراعيه ونظر إليه، قال: لدىَّ كلام، اسمعه ثم اذهب.

عاد حسن على خان" وقال "منوچهر": أنا مسكين، خلصنى من هذا الضياع. فى الحقيقة أنا لست سيئًا بهذا القدر كما تتصور، ربما يكون من الممكن أن أكون طيبًا، لا تمنع عنى نظرة عطفكم، لو لم تسامحنى فاذهب، سأقتل نفسى، أنت لا ترضَى بقتل أحد، سامحنى من أجل "هما"، سأفعل كل ما تقول. حقًا أنا لم أعد جديرًا بالزواج من "هما"، ولن أطلب ذلك ثانية لكنى أريد أن تكون قد عفوت عنى، أعِدُكَ أن أصبح إنسانًا شريفًا مرة أخرى، أقسم بالله، فالتوبة تقبل عند كبار الرجال، أنا تُبْتُ.

احتدم صراع كبير فى ذهن "حسن على خان"، كان يظن أن هذه التوبة والإنابة لـ "منوچهر"، كاذبة للوصول إلى هدف، من ناحية أخرى كان يقول إن هذا النوع من المحاكمة، ليس محايداً، إساءة "منوچهر إنما هى بسبب صراع العشق. عندما كان يحاكم نفسه ويوبخها لأننى كنت أتحدث عن الشرف، هل ينبغى أن أكون أنا نفسى عديم الشرف والنزاهة؟ لا، مستحيل، الاحتراق أفضل من هذه الوضاعة. وترقرق الدمع فى عينيه لحاله المتألم وقال بصوت منخفض: سامحتك، لكن، لتقسم بالله والضمير أنك من هذه الساعة، حتى نهاية العمر، لن تخطو خطوة مخالفة لمبادئ الشرف والرحمة.

فصاح "منوچهر من الفرح وقال: حقًا، عفوت عنى! أقسم بالله والضمير بأننى لن أحيد عن الطريق المستقيم حيثما كنت وفى كل زمان وأن أضحى بروحى من أجل الصدق.

قبَّل حسن على خان" وجهه، وبعد لحظة صمت قال: الآن اذهب لمقابلة " هما " ورتبوا أموركم، أنا سأسافر ولن أكون حاضراً فى هذا الوقت، آسف جداً لكن لابد، لدىَّ مأمورية ولابد أن أذهب، لكن لا تتحدث مطلقًا مع هما" عن لقائنا، إن شاء الله سنرى بعض قريباً.

فقال منوچهر سيدى دعنى أُقبِّل يدك.

خرج حسن على خان" من المنزل، وأسرع ناحية منزله، أراد من هذه السرعة فى السير أن يخمد ثورته الداخلية، لم يستطع أن يفصل

مشاعره عن بعضها، كان يتعجب قائلاً لماذا يحرم نفسه من أعظم الملذات، ما الذى يجبره على هذه التضحية، ما هذا الشعور الذى يُضحى من أجله بالحياة والسعادة والأمل جميعًا! كان يبكى ويتضرع لكنه زين ظاهره بابتسامة حزينة تدل على رضا الضمير وألم القلب.

* * * * *

حينما ارتفع صوت بوق السيارة، ارتعد" حسن على خان"، وانصرف عما يشغل قلبه، شحب وجهه، أغلق آخر حقيبة وخرج من المنزل، لم يفهم بعد ما حدث وجد نفسه فى طريق "قزوين" منذ فترة، حتى شاه آباد ، لم يفكر بهذا المعنى حتى لا تأخذ ظنونه شكلاً محدداً. حين توقف السائق، لتغيير مياه الرادياتير، نزل هو الآخر وذهب خلف القهوة. فاستدعى منظر الجفاف وحزن الصحراء آلام قلبه، كأنه وجد رفيقًا يبث له آلام قلبه المؤلمة، كانت دموعه المحرقة تنهال على الأرض الجافة. ابتعد عن العمران، ليهدئ من نفسه، كان أحيانًا يمشى وأحيانًا يقف. أخذت صور معشوقته تتلاحق أمامه، رأى فجأة فى إحدى المرات أنها تضع يدها حول عنق "منوچهر وشفاههم تقترب من بعضهما البعض! فانقطعت دموعه واحتفظ بشكله الجاد ، فكر لماذا أقضى هذه الأيام من العمر فى شقاء وعدم توفيق بسبب أوهامى وأعلق سعادتى بيد شخص آخر! يا لها من حماقة وجهل! الأخلاق، الشعور، الله، كلها أشياء تسمح لى بالسعادة. حينما لا تسمح ماذا يحدث! حقًا أنا مجنون،

حياتى هذه كيف أعتبرها؟ هل سأعيش الحياة مرة أخرى؟ وأحب "هما" أخرى ويكون قلبها مع آخر، لا يفرق فى نجاحى، كيف يؤثر على حالى، أن لديها كل ما تريد أن تتخيل! هؤلاء الأشخاص الذين يشترون النساء ولا يهتمون أدنى اهتمام بحالها و حالتها النفسية أى ذنب يقترفون؟ هل يجب أن يتأثر الشخص عند أكل الدجاجة؟ هل ينبغى عليه أن يحصل على موافقة الدجاجة مسبقًا؟ هل أعود من هنا إلى المدينة، أضعها فى السيارة وأحملها معى، ينبغى أن نسرع بالعودة؟ يا للعجب لقد أخطأت خطأ فادحًا ووهبت روحى طواعية إلى شخص آخر! إلى عدوى، إلى شخص لئيم، عديم الشرف! طالما الوقت لم يمض ينبغى الرجوع.

أسرع الخطى وكان قد وصل بالقرب من القهوة حين نادى السائق لماذا لم تأتِ سيادتك، تأخرنا. حلَّ الظلام بنا، فأطاعه "حسن على خان" كتلميذ المدرسة المقصر الذى يخشى عقاب معلمه وركب سريعًا، أراد أن يقول للسائق ارجع إلى "طهران"، كأنه نائم، لم يستطع أن ينطق هذه الكلمات بلسانه، وكانت السيارة تسير مسرعة إلى "قزوين"

* * * * *

كان قد كتب إلى "هما" قبل أن يرحل عن "طهران":

ابنتى يا أعز من روحى لم أتخيل مطلقًا أننى ضعيف إلى هذا الحد، لم أعرف أن رغبة وقدرة القلب عبث إلى هذا الحد، تقريبًا ذهب

العشق بعقلى، كم كنت منزلقًا إلى حافة بئر عميق خطير! يا لها من دقائق مرت علىّ!

لو لم يكن مدد العشق، لكنت الآن أسير ورطة ملوثة وقذارة الأنانية وأسير عذاب الندم وهو أسوأ الآلام على النفس فأنا رهن العشق، ممتن لك.....

نعم ممتن لك لأنك عرّفتنى أكبر أسرار الحياة.

هناك محرك واحد يقف وراء كل صراعات البشر، ونجد أنفسنا أسود علم بسبب الهجوم، فى الأفق البعيد للخيال الإنسانى، الجنة الطاهرة هى الخالية من الأغيار، البعيدة عن الملل الذى امتزج أمل وصالها بأقوالنا وأفعالنا. أنت عرفتنى بالمحرك الحقيقى للحياة أى "بالعشق" وفتحت باب الجنة أمامى؛ هذا طائر روحى يحلق عاليًا حتى أرى أفكار الشيخ" سعدى من هذا الارتفاع وأقول لماذا قال حيثما تقام خيمة العشق فلا مكان إذن للعقل. العقل هو خادم العشق لا يساويه فى الدرجة، وشرف العقل يكمن فى أنه قنديل طريق العشق، وهو يحفظ كيانه اللطيف والرقيق من اغتصاب لصوص الهوى والهوس. العقل السليم هو الذى يضىء منزله بوجود العشق ويقف كالعبد رهن خدمته، وكل قلب لا يزدان بصفاء العشق وحراسة العقل، هو سفينة بلا دفة ألعوبة طوفان الحوادث، أسير الأمواج المتلاطمة لرغبات النفس.

نعم ابنتى العزيزة، إذا كنتُ إزاء هذه العناية قد ضحيت بوجودك اللطيف فداء الطبيعة الظالمة، فهذا هو عين الصواب، فروحى كانت

تعانى ألم الخجل! لكن الآن أُحلق فى سماء الهمة وليس فى وضاعة الأنانية، متأكد أنكِ لن ترضى مطلقًا بذلى وسواد أيامى.

انتزعت جسم الغرور وفررت حتى تلتئم جروحه بعيدًا عن النار، وأستريح بالتفكير فيك.

قابلتُ "منوچهر" وأرسلته إليك، فكلاكما يحب الآخر بشدة. أملى الوحيد فى الدنيا هو سعادتك، فقط هذا الأمل، ليس لى رجاء أو متعة غيره. إذا كنتِ تحبيننى؛ ابذلى كل ما تستطيعين من طاقة أكثر فى السعادة. قلقى وأسفى لأننى ذهبت ولم أركِ لآخر مرة، خشيت من سهم نظرتك، فأظل مكانى، بلغى سلامى إلى والدتك العزيزة الرحيمة، أبلغيها اعتذارى لرحيلى دون وداع، لأنه كما تعرفين......

لا تنسى عمك العزيز، فداؤك حسن

* * * * *

لم يستطع شىء أن يهدئ من روع " هما " والأثر المحرق الذى تركه هذا الخطاب، إلا رؤية "منوچهر" بعد قراءته، لم يكن قد مر أكثر من بضع دقائق حتى دخل "منوچهر" الحجرة، التقت نظراتهما.

فى تلك النظرة، حكت آلام الهجر وقدمت اعتذارًا عن الأخطاء. كان قلب "منوچهر" يخفق، ولون "هما" قد اكفهر وأخذ جسدها يرتعد.

فسلَّم منوچهر ثم قال: لو أننى عدت ثانية، فهذا ليس ذنبى، أمرنى عمك العزيز و إلا ما كنت أجرؤ ؛ و الآن أذهب أم أبقى؟ سأفعل ما تقولين. لم تكن هما" تتحدث وغاصت فى خيالها. اقترب "منوچهر خائفًا و مرتعدًا، وبهدوء أمسك يدها وقال: قولى اذهب؟ لا، أنا متأكد أنكِ ما زلتِ تحبين "منوچهر ولن تطرديه مرة ثانية، مثل ذلك اليوم. يا له من يوم! ألقى بستارة سوداء على كل حياتى السابقة !

جلست "هما" على الأريكة وجلس هو بجوارها . كانت "هما" كالشخص الذى ينام تحت تأثير تنويم مغناطيسى، ناعمة مطيعة. قال "منوچهر حبيبتى "هما"، تكلمى بشىء، كل ما تقولين طيب. لا تعرفين كيف مرت علىَّ الشهور الماضية، يا له من ظلم وجور؟ الدنيا كلها لن تعوض ألمى إلا نظرة صغيرة منكِ، وابتسامة. فنظرت هما" إلى "منوچهر" لا إراديًا، كانت عيناها مليئة بالبسمة والود، فانفرجت أسارير "منوچهر من السعادة، وتأوَّه آهة عالية أزاحت الغم عن صدره. ضحك الاثنان.

خجلت هما" من عملية النسيان هذه، طأطأت رأسها وغاصت مرة أخرى فى التفكير، رأت حسن على خان" وهو ينظر بعيون مليئة بالحسرة واليأس، إلى هذا المجلس، فارتسمت على شفتيها ابتسامة، وأخذت دموعها تتساقط من وجنتيها وتسيل على الأرض. أرادت أن تنهض وتفر، فلم تستطع أن تذهب من جوار "منوچهر ، كالحديد حين يقترب من المغناطيس.

قال "منوچهر" عزيزتى لماذا تفكرين، هذه المرة أرسلنى عمك العزيز حتى نرتب معًا عُش سعادتنا، فليس هناك مجال للتردد ثانيةً. سألت "هما" لم يكن عمى العزيز يرفض مطلقًا؟ فقال منوچهر كنتُ أعتقد ذلك لسوء حظى.

فاضطربت "هما" وقالت: وهل قلت مثل هذا الكلام وهذا الكذب؟ هو لا يتمنى سوى سعادتى، يتحدث عنك دائمًا بالطيب، ودفعنى إلى هذا الأمر، الآن أرسلك المسكين بنفسه، لو كنت تعرف كم يصر على هذا الأمر، لاستغفرت لهذا الظن السيئ به.

امتلأت عين "منوچهر" بالدموع، وألقى بالرأس لأسفل ثم تحدث بصوت منخفض كأنه يتحدث مع نفسه قائلاً: أنا حقير، والله أنا سيئ، حسن على خان" عظيم، أنا ذليل تحت قدمه وحقير، هل يكون، وأستطيع أن أتدارك الأمر. فسألت "هما": تدارك ماذا؟ فتأخر "منوچهر" فى الرد ثم قال بتأنٍ: هذا الظن السيئ الذى كنت أظنه. فهزت "هما" رأسهابحسرة وقالت: لا أعرف كيف يمكن أن نتداركه.

كانت "هما" تتحدث هى أيضًا مع نفسها وتجيب على سؤال داخلى لها.

عشق و ندم، كانت أوهامهما تسحبهما إلى كل الأرجاء ولم يطَّلع أى منهم على حقيقة أفكار الآخر.

سألت "هما" من أين عرفت أن "حسن على خان" إنسان طيب؟ فكر "منوچهر" وقال: معرفة ذلك ليست مشكلة، اليوم كانت المرة الأولى التى

نلتقى فيها، كأن الله قد أرسله لى هاديًا ومرشدًا،كان قلبى مقبوضًا فانفُتح، فهمتُ كيف ينبغى أن يكون العشق وما مواصفات الإنسانية، حقًا نجوت، الآن أحبك لشخصك وليس من أجلى، سأفعل كل ما تريدين. الآن أعرف كم أن مشاعرك رقيقة، فقد تربيت على يد هذا الرجل الشريف.

تأوّهت "هما" وقالت: لم تعرف "حسن على خان" بعد، هو ليس إنسان، هو ملاك، لديه تسامح، رأيت منه الكبرياء، ليتنى أستطيع أن أساعد فى سعادته، فأقدم له جزء من آلاف أفضاله. فقال "منوچهر": أقسم بحياتك أننى أيضًا مستعد أن أضحى من أجله بكل ما أستطيع لأقدم له خدمة.

لا يزال صدى هذه العبارات، فى أرجاء الحجرة حتى أخذ العشق بتلابيب الاثنين واضطرا للتسليم، بنظرة ألغيت كل مشاعر الشهامة ولم يتحدثا ثانيةً بعد هذه المقولة. قَضَيَا بعض الوقت فى شرح أيام الفراق، وفى النهاية، قال" منوچهر "هما" حبيبتى كلما أسرعنا فى إعداد ترتيبات حياتنا كان أفضل، نستريح من كل الظنون والفكر.

نظرت "هما" إلى الأرض بضع ثوانٍ فى حيرة ثم قالت بصوت رقيق: لا نتحدث اليوم بهذا الشأن.

فلم يرد "منوچهر" من الخوف.

* * * * *

نلتقى فيها، كأن الله قد أرسله لى هاديًا ومرشدًا،كان قلبى مقبوضًا فانفُتح، فهمتُ كيف ينبغى أن يكون العشق وما مواصفات الإنسانية، حقًا نجوت، الآن أحبك لشخصك وليس من أجلى، سأفعل كل ما تريدين. الآن أعرف كم أن مشاعرك رقيقة، فقد تربيت على يد هذا الرجل الشريف.

تأوّهت "هما" وقالت: لم تعرف "حسن على خان" بعد، هو ليس إنسان، هو ملاك، لديه تسامح، رأيت منه الكبرياء، ليتنى أستطيع أن أساعد فى سعادته، فأقدم له جزء من آلاف أفضاله. فقال "منوچهر" أقسم بحياتك أننى أيضًا مستعد أن أضحى من أجله بكل ما أستطيع لأقدم له خدمة.

لا يزال صدى هذه العبارات، فى أرجاء الحجرة حتى أخذ العشق بتلابيب الاثنين واضطرا للتسليم، بنظرة ألغيت كل مشاعر الشهامة ولم يتحدثا ثانيةً بعد هذه المقولة. قَضَيَا بعض الوقت فى شرح أيام الفراق، وفى النهاية، قال "منوچهر" "هما" حبيبتى كلما أسرعنا فى إعداد ترتيبات حياتنا كان أفضل، نستريح من كل الظنون والفكر.

نظرت "هما" إلى الأرض بضع ثوانٍ فى حيرة ثم قالت بصوت رقيق: لا نتحدث اليوم بهذا الشأن.

فلم يرد "منوچهر" من الخوف.

* * * * *

اهتمــام بشىء لبـضـع دقـائق، أحكى لك هذه الحكاية: جلس عـالم فى حجرته وكان مشغولاً بالقراءة، دخلت الحجرة طفلة صغيرة وقالت: جئت لأحمل قطعتين من نار المدفأة. فقال العالِم: يا بُنية كيف وأنتِ ليس معك إناء.

ضــحكت الطفلة وذهبت بالقـرب من المدفـأة، ثم غطت كف يدها بالرمـاد أولاً وبعـد ذلك، وضـعت النـار المُحـرقة على الرمـاد وخـرجت من الحجرة، فظل العالِم متحيراً، أنا أيضًا معرفتى ليست لها أهمية أكثر من عمل تلك الطفلة لكنى سأضيف إلى معلوماتك.

تاريخ حيـاة المرأة من البداية حتى النهاية ومحـور خيـالاتها هو العـشق. فـالمرأة خُلقت للحب بالشكل الذى يتـصــوره الرجل، صـرا ع وتفوق. هـو نفس فكر التفوق عند الرجل، ويتخذ له شكل العشق، العشق أيضًا عند الرجل، أحد متغيرات المشاعر هو الصرا ع، عندما تستطيع كل امرأة أن تسهل أصعب المشاكل، فإن نارها تخبو.

الرجل صياد، وكلما كان الصيد صعبًا ومكان الصيد أصعب تزداد رغبته أكثر لصيده. المحرك الرئيسى للعشق عند الرجل، جمال المرأة، هذا هو الشـرط الذى لا يمكن أن تحل محله أى صـفـة مطلقًا، المرأة بالنسبة للرجل صيد لا أكثر، ولعبة العشق وسيلته للصيد. الآن أنتم معشر الرجال تريدون أن تقيسوا إحساسات عشقنا نحن النساء من ناحية الأحوال النفسية، وتقدروا تأثر قلوبنا الرقيقة بسبب اضطراب

اهتمام بشيء لبضع دقائق، أحكى لك هذه الحكاية: جلس عالم فى حجرته وكان مشغولاً بالقراءة، دخلت الحجرة طفلة صغيرة وقالت: جئت لأحمل قطعتين من نار المدفأة. فقال العالِم: يا بُنية كيف وأنتِ ليس معك إناء.

ضحكت الطفلة وذهبت بالقرب من المدفأة، ثم غطت كف يدها بالرماد أولاً وبعد ذلك، وضعت النار المُحرقة على الرماد وخرجت من الحجرة، فظل العالِم متحيراً، أنا أيضًا معرفتى ليست لها أهمية أكثر من عمل تلك الطفلة لكنى سأضيف إلى معلوماتك.

تاريخ حياة المرأة من البداية حتى النهاية ومحور خيالاتها هو العشق. فالمرأة خُلقت للحب بالشكل الذى يتصوره الرجل، صراع وتفوق. هو نفس فكر التفوق عند الرجل، ويتخذ له شكل العشق، العشق أيضًا عند الرجل، أحد متغيرات المشاعر هو الصراع، عندما تستطيع كل امرأة أن تسهل أصعب المشاكل، فإن نارها تخبو.

الرجل صياد، وكلما كان الصيد صعبًا ومكان الصيد أصعب تزداد رغبته أكثر لصيده. المحرك الرئيسى للعشق عند الرجل، جمال المرأة، هذا هو الشرط الذى لا يمكن أن تحل محله أى صفة مطلقًا، المرأة بالنسبة للرجل صيد لا أكثر، ولعبة العشق وسيلته للصيد. الآن أنتم معشر الرجال تريدون أن تقيسوا إحساسات عشقنا نحن النساء من ناحية الأحوال النفسية، وتقدروا تأثر قلوبنا الرقيقة بسبب اضطراب

أما الرجل حين العاشق...

نحن لا نعتبركم رجال فقط أنتم ملائكة.

بعد ذكر هذه المقدمة، أقول إنكم لا تعرفون مشاعر النساء لأنه فى الوقت الذى تتألم فيه أنت وتتصور راحتى، هذه الأمور وتلك الصفات توضح أنكم تأسرون قلوبنا أكثر.....

مشكلتى صعبة جداً، فقلبكم يحترق من أجلى! أعمالكم الطيبة تبعث هذه الأحوال فى نفسى، ينبغى لكم نوع آخر من المعاملة. كن قاسيًا، تعامل بغلظة، تكلم بحدة، كن ظالمًا، وأعلن عن وضاعتك، تلك الأمور هى التى تمحو المحبة من قلب المرأة، إن حالى يدعو للشفقة.

جاريتكم هما"

لو استطاع رسام أن يرسم صورة مليئة باليأس والأمل، الحزن والسعادة، الخجل والتمنع، لكان هذا هو حال حسن على خان" بعد قراءة هذه الورقة. كانت روحه مضطربة، بسبب صراع المشاعر المختلفة، قضى الليل كله يناجى ضوء القمر، يشدو مع طائر الحق بنغمات موزونة. كان يتخيل: هذه المرة، لم يعد هناك أساس لملامة الضمير، خير أم شر، أراد أم لم يرد، اشتعل العشق فى قلبه، متردد بينى وبينها، على هذا، لماذا لا أكون أنا ويكون هو! لا مناص ينبغى أن يخفق واحد منا وينجح الآخر، أى دليل لديه لأكون أنا محرومًا! ما وجه تقصيرى فى هذه الدنيا والحياة؟ لقد كبرت "هما"، وتحملت عنها المتاعب، تربيتها هى نتيجة

أما الرجل حين العاشق...

نحن لا نعتبركم رجال فقط أنتم ملائكة.

بعد ذكر هذه المقدمة، أقول إنكم لا تعرفون مشاعر النساء لأنه في الوقت الذى تتألم فيه أنت وتتصور راحتى، هذه الأمور وتلك الصفات توضح أنكم تأسرون قلوبنا أكثر.....

مشكلتى صعبة جداً، فقلبكم يحترق من أجلى! أعمالكم الطيبة تبعث هذه الأحوال فى نفسى، ينبغى لكم نوع آخر من المعاملة. كن قاسيًا، تعامل بغلظة، تكلم بخدة، كن ظالمًا، وأعلن عن وضاعتك، تلك الأمور هى التى تمحو المحبة من قلب المرأة، إن حالى يدعو للشفقة.

جاريتكم هما"

لو استطاع رسام أن يرسم صورة مليئة باليأس والأمل، الحزن والسعادة، الخجل والتمنع، لكان هذا هو حال حسن على خان" بعد قراءة هذه الورقة. كانت روحه مضطربة، بسبب صراع المشاعر المختلفة، قضى الليل كله يناجى ضوء القمر، يشدو مع طائر الحق بنغمات موزونة. كان يتخيل: هذه المرة، لم يعد هناك أساس لملامة الضمير، خير أم شر، أراد أم لم يرد، اشتعل العشق فى قلبه، متردد بينى وبينها، على هذا، لماذا لا أكون أنا ويكون هو! لا مناص ينبغى أن يخفق واحد منا وينجح الآخر، أى دليل لديه لأكون أنا محرومًا! ما وجه تقصيرى فى هذه الدنيا والحياة؟ لقد كبرت "هما"، وتحملت عنها المتاعب، تربيتها هى نتيجة

الحاد يفر من عقلى كلما تخيلتك أمامى ويمتنع القلم عن السير. فهل إذا استطعتُ، أن أفعل مثل هذه الجرأة، هل تصدقين؟ الدرس الذى ورد على لسانك، هو وحى من السماء، وضعته حلقة فى أذنى وأُقبِّل يدك شكرًا من بُعد، لكنى لن أفعل ذلك.

لو أننى بجميع ذرات وجودى، التى تتمنى سعادتك، سأكون سببًا فى شقائك، فينبغى أن أعتقد فى قدرة أهريمن" الدنيا مظلمة، وكلنا عميان لا نرى طريقنا فنسقط كل لحظة من حفرة إلى بئر عميق. ربما يكون ذلك تفكير العقل، فهو مصاب أكثر بداء القلق. يسير مستقيماً للأمام، لا يعرف الجهل ومشقة الشك وما أكثر ما وصل إلى المنزل، أكثر راحة. صحيح أن الاعتقاد الحسن فى الأمور هو العزاء، حقًا لقد كان حكم تقديرى أنك تتألمين بسببى وأنا ما زلت حيًا.

رغم أنه لو لم يكن هذا الخيال المؤلم، لكنت أنا الآن فى غاية السعادة ولا تعوضنى الدنيا كلها عن هذه السعادة. لقد طهرت نار محبتك روحى وجعلتها رقيقة حتى أنه سيرى نزهتى الآن فى السماوات، فلم تعد عينى ترى قبحًا لأنها تراكِ فى كل شىء، وأغفر كل الذنوب من أجلك، وأصبح اهتمامى كله راحة الآخرين حتى يسعد قلبك ليت هذا الشعور يصيب كل إنسان، فلا يحدث نقاش بيننا ثانية ويعود الأذى والمشقة، إلى جسد الشيطان.

هنا تركت الرسالة ناقصة، لأننى ذهبتُ لأرى ما سبب هذه الأصوات التى تأتى من الخارج، فانتهى اليوم كله، لهذا السبب. ولأن

هذه الحادثة مهمة فسوف أكتبها لكِ، خاصة لأنها فى النهاية، موضوع يشغلكِ.

رجل وامرأة من أهل القرية يصرخان ويبكيان، "أبو القاسم محصل الضرائب كان مشغولاً للغاية بأن يخرجهما من الحديقة، حين وصلتُ هدءا قليلاً، سألت ماذا حدث؟ فأصر "سيد أبو القاسم" قائلاً لا يا سيدى، يقولان كلام فارغ! فى النهاية كان الموضوع كما يلى:

ذهب "سيد أبو القاسم" منذ شهرين، لتحصيل الضرائب من قرية "زهرا" وكان قد طلب من هذا الشيخ، اثنتى عشرة تومانًا نقدًا وحِملى حمار من البضاعة، لم يستطع المسكين أن يقوم بدفع هذه الضرائب، بعد صراع طويل، تقرر أن يتزوج سيد أبو القاسم "، من ابنة الشيخ التى تبلغ من العمر تسع أو عشر سنوات حسب قوله، على أن يدفع هو الضرائب من ماله. لم يمض شهر حتى ذهب محصل آخر، ليحصل نفس الأموال، كان يطلبها بإلحاح أكثر حتى أن الرجل والمرأة، قد فرا إلى المدينة ليلاً، وقد جاءا إلى المدينة. وجدا "سيد أبو القاسم فقالا له ما حدث، وطلبا أن يقابلا ابنتهم. فى البداية لم يعرفهما "سيد أبو القاسم فقام بسبهم لكن بعد بضعة أيام من المباحثات ، خوفًا من أن تصل شكواهما إلى رئيس الضرائب، فأعلن "سيد أنها هربت من المنزل ليلاً ولا يعرف أين ذهبت.

طبعًا ارتفع صراخ الأم والأب وكان "سيد يبحث عن البنت مضطرًا. بعد عدة أيام من البحث، علم أن الابنة قد لجأت إلى منزل

عـلاف جار لهـم، وعقـد عليـها العـلاف. بسـرعـة تراضى الأب والأم و سيد أبو القاسم "والعلاف، ثم قام القرويان بحساب أموال الضـرائب بما يعادل قيمة الابنة مع "سيد أبو القاسم وكانا يطلبان تلك الأموال من "سيد نفسه أو من العلاف حتى يستطيعا العودة إلى منزلهم، لكن أحدًا لم يرضخ.

فأرسلتُ وأحضروا العلاف والبنت، العلاف تقريبًا فى الستيـن من عمره، ذو لحية طويلة، قذرة، تشبه كيس العليق القذر حين يعلق فى رقبة الحمار. وقطعة من القماش الملوث، ملفوفة حول رأسه، لم يُخْرج يديه السمراء من تحت شاله. كان يقول بكل وقاحة: أرسل لى ربى هذه الطفلة، فى نفس الليلة التى جاءت فيها إلى منزلى، حملتُها إلى السيد "الشيخ رمضان إمام المسجد، عقد عقدها، فأنا لا أفعل الحرام مطلقًا، وحتى الآن ما زالت لم تتعود علىَّ، أم الأولاد من رحمة قلبها لم تكن تتركها......... كانت تنام ليلاً فى أحضانها. لقد غيرت اسمها، أطلقتُ عليها اسم "خدا داده"، الآن هذه القروية وهذا الرجل جاءا وبدلاً من الشكر، يطالباننى بأموال! لم يكن بقدمها حذاء، فاشتريتً لها حذاء، فى ليلة العقد، أرسلتها إلى الحمام مع أم الأولاد، تأكل معنا فى طبق واحد الغداء والعشاء

سألتُ: حين جاءت هذه الطفلة إلى منزلك، لم تسألها مَن هى ومن أين؟ ربما تكون زوجة لآخر. قال: ليس لى شأن بهذا الأمر، هى نفسها كانت تقول إن رجلاً جاء وأخذها بالقوة من أمها وأبيها، بكت كثيرًا،

فلم يُجد ذلك البكاء، والدها أيضًا كان يضربها حتى لا تبكى، أحضرها ذلك الرجل إلى منزله بالمدينة، وذات ليلة أراد أن...... فهربت البنت فى الصباح من ذلك المنزل.

سألت: لم تكن تعرف من أى منزل هربت؟ وتمسكن ونظر حوله وقال: ليس لى شأن بهذا الأمر.

سألتُ: الشيخ رمضان" ألم يسأل عن والد ووالدة هذه البنت؟ لم يسأل عن علاقاتها السابقة ؟

ابتسم العلاف وقال: الآن لا يسألون البنت الرشيدة عن أمها وأبيها، واضح أن البنت عمرها تسع سنوات حينما قالت "نعم" هذا يكفى.

الآن كل ما أريده هو أن أنبه العلاف بأن العقد الثانى باطل، فلا يقتنع ويلتصق بها بقوة حتى أن قوة ثلاثة أشخاص أو أربعة لا يخلصونها من بين مخالبه. والطفلة المسكينة تصرخ: لن أكون زوجة هذا!.....

فى النهاية أعطيت للعلاف خمس تومانات ثمن الحمام والحذاء وغذاء البنت لمدة بضعة أيام وأرسلتها لذويها. ثم دفعت "سيد أبو القاسم" بعد ذلك لطلاق البنت، فطلقها، والتزمتُ أنا بدفع ضرائب القروى. يقولون إن البنت فى التاسعة أو العاشرة من عمرها، لكن من شدة النحافة والضعف تبدو كطفلة فى السابعة، أصابعها أغلظ قليلاً من قدم

العصفورالصغير، تبكى دائمًا وترتجف لأنها تعتقد أنها فى النهاية سوف تباع إلى أحد هذين الرجلين.

ثم ابتعد سيد أبو القاسم والعلاف بعد ذلك، فاستراحت قليلاً لكنها كانت تلجأ إلى أمها، خوفًا من أبيها مرة أخرى وتخفى نفسها وراءها، تألم قلبى لحالها جداً، تأكدت أنه لن يمضى كثيرًا حتى تباع مرة أخرى إلى بهاء مختصرى ولن يعرف المشترى، هل سيكون أفضل من" سيد أبو القاسم أو العلاف..... رأيتُ أن أخلص هذه الطفلة المسكينة من شر البهائم وأرسلها لكِ كهدية ونقوط العرس، وتكون حقل تجارب تظهرين فيها كل ما لديكِ من فكر فى تربية البنات. فى خلال هذه الأيام أرسلها مع أمها إلى طهران"، وبقدرما تعوديها عليك، لن تريد العودة إلى أمها.

الآن نكمل حديثنا، ابنتى العزيزة، سعادتى وراحة بالى، ستصل إلى منتهاها حين أعرف أنك ناجحة وسعيدة، بالطبع تعرفيننى، ومتأكدة أننى لن أقبل مطلقًا أن تضحى بحياتك من أجلى وفى هذا الإطار ستكون كثرة ترددك وبحثك باعثًا عن حزن وألم القلوب. أقسم بحياتك الغالية وهو عندى أعظم قسم لو لم تسرعى فى ترتيب شئون الزواج ولم تكتبى لى البشرى بذلك، أحزن ولن أرسل لكِ خطابًا آخر. لقد أرسلت لكِ عقد منزلى، الذى كتبته باسمكِ وأيضًا أرسلت لكِ حوالة بخمسمائة تومان نفقة للزواج، تأخذيها من الحاج عبد الله" التاجر الزنجانى. هذا هو كل ما أملك. ليتنى أستطيع أن أهبك ملك الدنيا.

يكون جميلاً لو استطاع "منوچهر خان"، أن تأتى معه إلى "قزوين" نقضى بضعة أيام معًا ، نسعد ونقضيها فى سرور، وبالطبع ستأتى والدتك العزيزة معكِ.

فداء ابنته العزيزة" حسن على خان"

* * * * *

هاجم العشق قلب هما" مرة واحدة، وطلب المدد والعون من كل القوى فأتى على جسدها ، وها هى نصائح الأم كلها تأتى بالرأى السديد المحكم، وأن التأخير فى إتمام أمنية المعشوق، شقاء وقسوة، استُقبِل ترحيب وإصرار حسن على خان" برضا خاطر وشغف القلب. المقابلة اليومية مع "منوچهر" أثمرت نتائجها الطبيعية وتنحى وسواس الخاطر واضطراب وجدانها جانبًا، كانت تقول بقلبها سراً: " لو كان حسن على خان" مغروراً وقبِل تضحيتى، ماذا كنت أفعل! لابد أننى كنت سأفنى العمر كله حزنًا، لأننى قضيتُ على منوچهر"، كيف سيكون تأثير شقائى هذا على حسن على خان"! فى الحقيقة لقد أشقيته وأبليت روحه الحساسة بألم دائم، ما تلك القوة التى أستطيع بها أن أُبعد عنى "منوچهر وأجعله ييأس! هل أحب حسن على خان" أكثر منه؟ لا أعرف، كأننى أحب كل منهما بنوع خاص من الحب، بحيث لا يتشابهان ببعضهما. فـ حسن على خان" له على حق التربية، فضلاً عن هذا، فإن صفاته وأخلاقه جعلتنى مغرمة به، فأسلوب تفكيره توحَّد معى، وهذه

النقطة مهمة فى ارتباط روحين. فى هذا الخصوص، قام بتضحية كبيرة، أنا أعرف أنه من السهل أن يضحى بروحه، عن أن يدع عشقى. لكن هل من حقه أن يصبح عاشقًا لى؟ حقًا لقد أحسن صنعًا أن أصبح عاشقًا، أتمنى ألا يقل حبه لى مطلقًا لكن أتمنى أيضًا ألا يتألم، كيف يمكن ذلك؟ مسكين بعد كل هذه الأعمال الطيبة ينبغى أن يصاب بالألم والحزن بسببى؟ آه كم أنا سيئة الحظ، سعادتى تقضى على سعادة أعز موجود!"

من شدة ألم هذا التفكير، أصبحت عاجزة. هنا طلبت العشق والوجدان لمساعدتها وتستحضر القرار بأذنها، فقال الوجدان لـ "هما": حسن على خان" لا يكذب، يقول الصدق لأنه يجد السعادة فى سعادتك، ويحبك أكثر من هذا حتى يضحى بنفسه، وكما هو مكتوب، وصالك بـ "منوچهر" سيكون باعثًا على راحة قلبه، وسيكون "منوچهر ابنًا له وأنتِ ابنته. سيقضى عمره لخدمته. فـ حسن على خان" لا يجرى وراء رغبته وشهوته، ولن يقل من محبته له ذرة من محبته لكِ، لن يكون هناك أى قلق، ثلاثة أفراد، ستكون حياة مليئة بالمحبة وممتعة. على فرض أنه سيتألم قليلاً، لكن فى النهاية سينسانى. الروح الإنسانية ليست لديها القدرة على تحمل محنة واحدة لفترة طويلة. أشد الأحزان تقل وطأتها بمرور الزمان وتصبح ذكرى،لا يمكن للعشق أن يكون مقيداً بهذه الجزئيات، اطمئنى، فأنتِ غير مذنبة، انظرى منوچهر" كم هو جميل، ما أجمل طريقة سيره، ملابسه دائمًا مرتبة، ما أجمل رابطة عنقه! هل من الممكن أن يكون شخصًا آخر بهذه الأخلاق والوسامة؟ استفيدى من

الشباب والعشق، لن تأتى إلى الدنيا ثانيةً، وكل من يمنع سعادتك، يعانى الألم والمشقة.

رفعت "هما" رأسها من على صدرها وكانت هناك ابتسامة فى أعماق عينيها تدل على صفاء القلب. حقًا الوجدان ابنِ الوقت، حيثما يرى قوة الهوس، يتدخل فى الأمر، يطلق لسان التملق، ويجعل الأسود أبيض، ويجمِّل القبيح.

جاء "منوچهر خان" كعادته يوميًا، بعد الظهر للمقابلة، فوجد "هما" سعيدة، فسُرَّ. كان يقوم باختصار كل حديث حتى يتحين فرصة لكلام القلب، لم يعرف كيف يبدأ وماذا يقول. فى النهاية استفاد من لحظة صمت وقال: عزيزتى.. كيف فكرتِ فى ترتيبات الزواج؟

طأطأت "هما" رأسها وبعد تأمل قالت: وصلنى خطاب من عمى العزيز، وهو يصر على أن نتم كل شيء أسرع و إلا سيغضب منى.

فاحمرَّ وجه "منوچهر من السعادة، وأخذ يدى "هما" وقال: ربنا يطيل عمر عمك العزيز، لماذا لم يكتب هذه الرسالة قبل ذلك؟

فقالت "هما": هو كتب أن نذهب أنا وأنتَ لقضاء عدة أيام فى "قزوين"

فعبرت سحابة سوداء بأفق خيال "منوچهر ، لكنها سريعة حتى أن أثرها لم يبد على وجهه. جاءت فكرة حضور "حسن على خان" على باله

غير مناسبة. فتحرك لديه شعور التنافس، لم يكن يتمنى أن يرى حسن على خان" "هما" مرة أخرى...... العاشق، أنانى، يرضى من أجله بخراب الدنيا. ثم ابتسم وقال: بالتأكيد إذا كان لدينا وقت، الأفضل ألا تفكرى فى ذلك فهذه الأوقات إنما هى للشراء الكثير لكن فى النهاية سنذهب، الآن لا تتعجلى، ولم يعط هما" فرصة التفكير والرد وقال بالمصادفة معى بعض النقود، أدفعها لإعداد بعض اللوازم. وضع يده فى جيبه وأخرج مظروفًا ووضعه على المنضدة. فقالت هما" ضاحكة نقود لماذا تدفعها؟ إلا أن تريد أن تشترينى؟ نحن نريد أن نكون فى هذه الدنيا رفيقين فى الحياة، نعيش معًا، لا ينبغى أن يكون هناك انفصالاً بيننا، ليس لمالى أو مالك شأن فى هذا الأمر، ما فائدة أن أنفق مبلغًا من رأس مال حياتنا فى شراء أشياء غير لازمة وفى الواقع ننفقها بعيداً. فقال منوچهر هذه هى العادة.

ابتسمت هما" وقالت: نعم العادة أيضًا ألا نرى بعضنا البعض. نختار، عندئذ تتعامل أنتَ مع صاحب المحل، فتقلل الثمن وتزيد، هم يطالبون أكثر وأنتَ تعطى أقل، وتشترينى، وتدفعون تلك النقود مع إضافة مبلغ آخر لشراء بعض الأمتعة الأخرى والتحميل للمكان، ويحضرونها إلى منزلك. لكننا بدأنا بطريقة أخرى، نحن تعرفنا على بعض ورأينا بعضنا البعض وأُعجب كل منا بالآخر، ونتمنى أن يصبح كل منا شريكًا للآخر، على هذا فمصالحنا واحدة، ولا ينبغى أن نرضى لأنفسنا بالضرر والألم. أنا معى مال لشراء الملابس، أرسل لى عمى خمسمائة تومانًا

لهذا، ووهب لى منزله. فهل يكون فى الدنيا شخص أفضل منه؟ لا تتصور مطلقًا كم يحبنى؟

فحوَّل "منوچهر رأسه ولم يدع تأثير هذه الجملة من هما" تؤثر على نفسه، ونظر فى وجهها، فالعاشق يتوقع أن المحبوب لا يتصور أن إنسانًا آخر يحمل نفس صفاته ومميزاته إلا هو. وا أسفاه، لو شعر قلب المعشوق بمنافس.

بعد لحظة صمت قال: ليس لدىَّ كلام. حسن على خان" رجل طيب، أى أن طيبته التى أعجبتكِ، لكن لو توافقين، قررت أن نعقد العقد يوم الجمعة ونتم القصة. بالأمس قررت ذلك، وجاءت أمى من "أصفهان"، وستأتى عصر اليوم لرؤيتك. ملابسها قديمة ولهجتها أصفهانية، بالطبع ستسامحين، لأنها أم "منوچهر

فقالت هما": هى أمى، كل ما ستفعله طيب، سأكون صديقة لها.

* * * * *

مضى أكثر من نصف ساعة، هناك مظروف أزرق، فوق المنضدة، كانت عين حسن على خان" تتعلق به، فى النهاية مدَّ يديه وأخذه وفتح بتأن، كان مكتوب به:

حرَّض ربى كل الحواس ضدى وغلبتنى، من التهديد الذى كان بخطابك الأخير، علمتُ أن رضاك ورغبتك فى هذا الأمر، لهذا أطعت

صاغرة. يوم الجمعة القادمة أى بعد أربعة أيام، سيتم عقد القران، لكنى أذهب إلى الحفل بقلب ميت، لم أتوقع ولم أكن أتخيل مطلقًا أن يمر هذا الحدث الذى هو أمل كل فتاة شابة، بهذه المرارة والحزن، كدتُ أتصور أننى سيئة الحظ، أخشى أن يتكدر صفوك ولا تكون تحبنى. أنت حر لكنى وطالما حييت سأحبك كالروح الجميلة، هل هذا ممكن حقًا، ألا تكون تحبنى؟! لو أن هذا صحيح سأموت من الحزن، سعادتى بيديك ، فإذا كنت تحب سعادتى، فينبغى أن تبعد عنك كل حزن وضرر حتى أرى وأتأكد أنك سعيد ومسرور، هذا فقط هو شرط سعادتى. فهل ستحزن؟ لا أتوقع، مع هذا وطالما لم تثبت لى ذلك عملاً، سأعيش فى أسوأ حالاتى، كم كان جميلاً أن كنت بيننا، فتُطمئن قلبى المهموم الميت، وتواسينى.

جاريتك "هما"

كان صوت ناى يسرى، من خلف حائط الحديقة، فخرج حسن على خان" من الحجرة حتى يسمع الصوت بوضوح أكثر، فوافق صوت الناى صدى أنين قلبه، وكان يتجول بين أرجاء الحديقة، وكأن حفيف أوراق الشجر يهمس فى أذنه ويشرح له بهدوء حكاية شقائه. نسيم ربيعى، وكانت آهة قلب الزمان تغطى على شقائه.

حين انقطع صوت الناى، تشتت فكره وأفاق إلى نفسه، فتأوه بصوت منخفض وقال: حسن، كم كان جميلاً أن تفنى روحى فى نعومة نغمة هذا اللحن. فدخل الحجرة، وأمسك بدفتر الذكريات وكتب:

آه من الموسيقى! لماذا ترسم لى هذه اللوحات الملائكية؟ أنا الذى لن تصل يدى إلى هذا الارتفاع. ما هذه اللوحات التى تعبر عن روحى، ما تلك الحروف التى تناجى قلبى، أنا الذى لم أستطع مطلقًا أن أجد شاهد صدق على ذلك فى هذه الدنيا.

حملتنى أمواجها على أجنحة رقيقة وأوصلتنى إلى منزل الملائكة، ما هذا العالم الذى ما كنت أحلم به، أنا ونحن لا شأن لنا فى ذلك الأمر، لا نرى أثرًا أو علامة للهجر والوصال، كله رضا وتوفيق ما هذه الدنيا التى ليست لها حد أو عائق، يمنع العين والأذن، أفهم سر العشق أسمع همهمة الروح نعم عرفت جيدًا، أن مكانى نقطة البداية، وأجد روحى فى مهد الأثير تربى هناك، رفقائى فى اللعب كانوا ملائكة بيض الأجنحة، كنا نجرى فى مروج السماء الخضراء خلف بعضنا، نملأ جيوبنا وأطراف ثوبنا بالنجوم.كنت أرى رفاقى مرة أخرى، يسعدون لعودتى، التفوا حولى يضمدون الجراح التى أصابت قلبى وروحى، يسألوننى عن رحلتى..........

قلت الحياة هى انتظار بلا نهاية، لأمل الغد. ذكرى الأمس، كلها حسرة وألم. الماضى هو طفولة فجة بلا فائدة لنا، أودعتنا بوادى الغم وعدم التوفيق. مطرودين عن وجودنا القديم، قولاً وفعلاً، هربًا من تلك المناظر المظلمة المفزعة. وقد ارتبط نقش منظرها بوجداننا بخطوط الندم والحسرة المُذَهبة.......

الحـاضـر.. ملىء بـالحـيـرة واليـأس. تلك الصـورة التى كنا قـد رسمناها بوحى الخيال، لم تكن كما نراها الآن، المعشوق الذى كان واضحاً لنا فى الخيال جميلاً، صار قبيحاً حين أصبح واقعاً. بكاميرا الخيال، كنا نرى المعشوق بكل لطفه وكماله بمرآة وجداننا، نراه الآن بين أحضان الآخرين. حين يسقط الطائر فى الشبكة، يصيبنا الاضطراب والقلق، فنسير فى كل اتجاه من أجل خلاصه، فنجرح روحنا.......

المستقبل..... هو ملجأنا من ظلم الماضى والحاضر، يأتى لنا الغد بيلسم آلامنا. المستقبل، تضع آلهة الحظ أجنحتها العريضة تحت أقدامنا. المستقبل، ينزع قيود السجن والحرمان من على عاتقنا ويحملنا إلى طريق الحرية والنجاح....

مائة خسارة! جاء المستقبل بوجه أسود خجل، خالى الوفاض! لا ، ملىء بالشقاء.

إلى متى ننتظر المستقبل؟.......

يسألون بعد هذا الخداع ماذا هناك؟

قلت: تصور العشق والحب، هو ما يساعدنا على تحمل كل هذه المصائب، لكن لسوء الحظ فإن شعاع هاتين القطعتين فقط من النور السماوى هو الذى يصل إلينا على الأرض، نحن كالطفل الرضيع الذى يبحث عن صورته فى المرآة، نسير خلف شعاع هذا الضوء، متعبين لاهثين، عاجزين، نسير حتى الرمق الأخير، نسحب أنفسنا ونحن نعرج، نضحى بأنفسنا. فإذا وصلنا، كالمحترق حين يصل إلى الماء،

نلقى بأنفسنا على الأرض، نُقتَل فى أحضانها، لكن ما تلك الحسرة وسوء الحظ! فلم نجد فى قبضتنا شىء إلا الوهم والخيال.......

قلوب رفاقى القدامى، تألمت لسماع هذه القصة وتحيرت، وناجى كل منهم الآخر، فسال الدمع على صدورهم كحبات اللؤلؤ، حين تتدحرج مسرعة على حافة جبل من المرمر.

آه من الموسيقى! ما أسوأ ما فعلتِ بى، حملتنى إلى هذا الارتفاع، فرأيت مناظر العشق والرحمة، تجولت فى ذلك العالم بلا أمل، فتجردت نفسى وتطهرت، ثملت بشراب الوجد، كنت مع ملائكة السعادة. كانت شياطين الأرض قد كفت يدها لحظة عن الضغط على رقبتى، فغابت عن عينى صورة الدنيا الموحشة، يا لها من سعادة، حقًا فعلَت شراً، لماذا أنزلتنى درجتين لأسفل، ألم تكن تستطع أن تتركنى على هذه الحال؟

* * * * *

صباح ذلك اليوم، لم أكن قد كتبت رداً على خطاب "هما" بعد، وصلت رسالة بخط "خليل" الخادم، على لسان السيدة "طلعت" كُتِب فيها: أقول لكم على أمل أن يقترن وجودكم بالصحة والعافية إن شاء الله تعالى، منذ أمس ظهر المرض على السيدة "هما"، حالها سيئ للغاية. بالأمس كانت تقول أتمنى ألا أموت وأرى عمى العزيز مرة واحدة، الحمى لم تفارقها، حالها سيئ جداً، أتوسل إليك، لتأتِ بسرعة، لنفعل شيئًا.

لن أقول أكثر"طلعت"

سافر حسن على خان إلى طهران فوراً.

وجد "هما" فى الفراش وشاهد صورة روحها فى وجهها، متعبة وضعيفة، عينها ترقب طائر الأمل فى الفضاء اللا محدود للخيال. لأنه كان مصابًا بالألم ومجرب، فقد شَخَّص المرض بسهولة. أصرت السيدة طلعت" أن تشرب "هما" دواء الطبيب من يديه، كانت تعتبر مجيئه فرصة، لهذا الغرض.

رفض حسن على خان" ملعقة الدواء وقال: مادمت أنا نفسى لا أعرف ما المرض، لا أستطيع أن أنفذ أمر الطبيب. فلتستريحى ودعيها لى.

فشكرته "هما" بنظرة مليئة بالمحبة.

قالت السيدة "طلعت الطبيب يقول ينبغى أن نصبر عدة أيام حتي تبدو علامات المرض. اليوم الأول أمر بالأعشاب، فساء حالها أكثر. يظن أنها الحصبة، لو كان الأمر هكذا ماذا نفعل! سيدى حسن على خان" أتوسل إليك، كان من المفروض أن يكون عرس ابنتى غير الموفقة بالأمس! منذ ثلاثة أيام، جاءت أم منوچهر خان" إلى هنا، ورأت ابنتى، لم تكن قد ذهبت بعد وانقلب حال هما" كما ترى، اصفرَّ لونها، ارتعدت، عندئذ أصابتها حمى شديدة وهاجمتها، كانت تبكى لعدة ساعات، قمتُ بعمل كل ما أعرف من طلاسم وأدعية، عندى دعاء مجرَّب نقعته بالماء لكن كل ما فعلت كان بلا جدوى. أعرف والله أن إصابتها هى نفس شفائها، افعل شيئًا، أتوسل إليك.

ارتسمت بسمة مليئة بالحزن والشفقة على وجه حسن على خان" و"هما" قال حسن على خان": أنا لم أتناول الغداء. هل أعددتِ لى طعام الغداء؟، فسوف ينالك ثواب عظيم ويتم الله شفاء ابنتك بسرعة.

عندما خرجت السيدة طلعت" من الحجرة، قال حسن على خان": ابنتى العزيزة، قولى لى ماذا دار بينك وبين أم "منوچهر" حتى أصابتك هذه الحالة، أنا أعرف أن مرضك من اضطراب الفكر، لابد أن هناك جديداً حدث.

كانت حبات الدموع تتدحرج على وجنتيها البيضاء وتتساقط على وسادتها، قالت: ماذا أقول؟، إذا كان قد أصابنى بلاء، فهو تقصير منك لأنك لم تقل لى أنه من الممكن أن يكون فى هذه الدنيا إنسان بهذه الدرجة من الشر، كنت أظن أن الناس كلهم مثلك. دائمًا تقول لى أنه ينبغى الصدق، وها هى النتيجة التى رأيتُها. لماذا لم تُعِدَّنى لصراع الحياة، لماذا لم تخبرنى بأنه من الممكن أن يكذب الأشخاص الطيبون. لا أعرف ماذا أقول، فالإنسان الطيب هو الذى لا يكذب.

كأنها غضبت، أدارت رأسها وصمتت. فقال حسن على خان": أنا معترف بخطئى، دون تبرير، أقبل كل عقاب تفرضينه، الآن اشرحى لى ما حدث حتى أعرف مدى تقصيرى.

كان صوت "هما" الضعيف يتقطع بسبب ضغط الحزن، قالت: جاءت أم "منوچهر" إلى "طهران" لبضعة أيام، كانت هنا منذ ثلاثة أيام،

قبَّلتني أمام ابنها وكانت عطوفة وودودة جداً، لكني رأيت في وجهها الحزن، كانت أحياناً تسكت وتنظر إلى مكان بعينه. بعد أن ذهب "منوچهر" إلى السوق، أرسلتُ أمي الحبيبة خارج الحجرة بطريقة ما ثم قلت لـ "أم منوچهر": أرى أن لديكِ بعض الفكر والحزن، من الأفضل أن تخبريني، ربما أستطيع مساعدتك. في البداية كانت تقول: لا لستُ حزينة، سعيدة جداً أنه قريبًا سيتم الزواج إن شاء الله، أفكر في الإعداد للعرس، لكن بدا واضحًا أنها كانت تكذب لأن الدمع كان قد تجمع بعينيها، ثم أصررت ثانية، فجرى دمعها مرة واحدة وقالت: أقسمِي لي بحياة والدتك وحياة "منوچهر" ألا تقولي هذا الكلام لأحد، لا قدر الله إذا وصل إلى سمع ابني، فسوف يسوِّد حياتي. فوعدتها وأقسمتُ لها، أطمأنت وبينما هي تبكي بكاءً حاراً لم تستطع معه الحديث، اقتربت وقالت: ابنة أختي هي زوجة "منوچهر"، ولها منه طفلان. هذه البنت المسكينة ليس لها أم ولا أب، أنا كبَرتُها، عندما بلغت اثني عشر عامًا زوجتها من "منوچهر"، كم هي بنت طيبة، جميلة الوجه وأصيلة! الآن هي تبكي منذ ثمانِ سنوات كل يوم، خلال هذه السنوات الثمانية، جاء "منوچهر إلى أصفهان" مرة واحدة منذ سنتين، ولم يبق بها أكثر من شهرين. رأى نساء "طهران"، فلم يستحسن ثانية لقاء المسكينة. والله إنها جميلة جداً! لكن ليس لديها مثل ملابسكم حتى تلبس. ماذا أفعل، كم صببت التراب على رأسي، في هذه الأيام، مهما ركعت على قدمي "منوچهر، لكن دون فائدة. يريد أن يعطيني ورقة طلاقها لأحملها إليها،

مقابل الخدمات التى تؤديها لى والعطف، الآن ينبغى أن أحمل لها ورقة الطلاق، لو لم أفعل ذلك، فماذا أفعل؟ يا رب خذنى وأنتهى! إلى هذا الحد يحبك "منوچهر" حتى أنه نسى احترام أمه، لم يعد يهتم بكلامى. لو أنى كنت أعرف ما هدفه، ما جئت من "أصفهان" أبداً. لكن اعلمى أن الله موجود، وهذا لا يرضيه أبداً. لو لم يكن التقصير منك أيتها الطفلة البريئة، فأمك أنت أيضًا تتمنى زواجك

كانت تحكى وتبكى. كنت حزينة ومتحيرة، كأننى أشاهد حلمًا. أفاقنى صوت بكاء السيدة العجوز، احترق قلبى لحالها. فقلت لها لا إراديًا: استريحى، ووعدتها ألا أتزوج منوچهر، وألا يطلق زوجته أيضًا. مسكينة لم تكن تصدق، اضطررت لتكرار هذا الوعد عدة مرات لكن حينما ذهبت، اضطرب حالى

سأل حسن على خان": هل تحدثتِ مع "منوچهر خان" فى هذا الموضوع؟ فقالت هما": هذا هو سبب مرضى أننى لم أستطع أن أتحدث معه فى هذا الشأن، ولا أعرف فى النهاية كيف أطرح الموضوع، هو هنا غالبًا، وفى كل مرة أقابله يتبدل حالى.

فقال حسن على خان": أنا أوافق على أن التقصير كان منى فى هذه الحادثة، لكن ليس بهذا الدليل الذى ذكرتِ، لكن لأننى كان يجب أن أتحقق من ماضى منوچهر قبل ذلك، خاصة أنه كان يجب أن أذهب إلى "أصفهان"، لأن حياته السابقة كانت هناك. بالتأكيد أنا مقصر، لكنى

لو كنت قد أخبرتك بهذا الخبر الشؤم، فإن قلبك ما كان سيسعد بى. عرض خبر كهذا حتى إن كان حقيقة، تأتى إليك بنفسها. رغم أنه ليس معروف أنه حقيقة، ربما تكون "أم منوچهر قد اخترعت هذه الحكاية، مثلاً لأنها تريد بعد ذلك أن تزوجه من ابنة أختها التى جعلتها خطيبة له منذ الطفولة. لهذا افترضت أشياء من هذا القبيل.

لمع نور الأمل ، بجبهة " هما" الحزينة، بدت ابتسامة خفية فى عينيها، فأخرجت يديها بحركة سريعة، من تحت اللحاف وقالت: نعم، صحيح ممكن يكون هكذا، كم أن حديثك عذب، يا له من تصور جيد، لكن كيف تعرف؟ فقال حسن على خان": فهم تلك المشكلة ليس صعبًا، لن يستمر أكثر من عدة أيام. لكن لنفرض أن هذا الموضوع كان صحيحًا، هل ينبغى أن يحدث تغيير فى حالتك تجاه "منوچهر ، هل يكون مانعًا لحياتك معه؟

فاضطرب وجه "هما" مرة أخرى، تأوّهت وقالت: لو كان هذا الموضوع صحيحًا، فإن "منوچهر إنسان سيئ، كذب علىّ، قاسى، يريد أن يشقى زوجتين وطفلين بلا ذنب من أجل نفسه.

فقال حسن على خان": لنفرض أن زوجة "منوچهر إنسان غير جدير بالحياة معه، بالتأكيد هو كذلك، لأن طفلة فى الثانية عشرة من عمرها، لا تستطيع أن تجذب قلب رجل وإذا كانت قد أنجبت منه طفلين، فإن هذا بحكم الطبيعة و لا يكون بسبب المحبة، خاصة أن "منوچهر

خان" قد تعلم فى طهران" وتربى فيها، ومن معاشرته لك عرف عالم آخر عن الزواج، بالتأكيد لن يستطيع أن يعيش مع زوجة جاهلة. ولا جناح عليكِ، لأنك لن تكونِي سببًا فى شقاء تلك السيدة المسكينة، إن لم تكونى أنتِ، فستكون هناك أخرى.

هنا لابد من القول بأن "منوچهر" غير مذنب، فاللوم على طريقة الزواج لأنها لم تراعِ مبدأين مهمين الأول التوافق، والثانى الميل ورغبة الطرفين. طفلة الثانية عشرة لابد أن تخسر مال التجارة الذى تبيع به وتشترى، فى حين أنه فى حياة شخصين شريكى عمر، هناك أيضًا عوالم أخرى، غير هذه الحياة الحيوانية.

تلك هى حياة الرجل والمرأة، ففى مملكتنا نحن منفصلون عن بعضنا البعض، لأنه وبقول الشاعر أحدهم يتحدث عن السماء والآخر عن الحبل.

حركت "هما" رأسها وقالت: كأنك تتحدث مع طفلة، تريد أن تمتلك قلبى أو تريد أن تعرفْنى، لماذا لاَ تقل هذه الأدلة لنفسك. لا تعتقد أن الأخرى أسوأ من زوجتك أنت، لماذا تضحى من أجلها هكذا، لماذا لا تقبل أن تتزوج من امرأة أخرى أثناء حياتها! الآن والأمر هكذا، أقول إن الذنب ذنبك، لو كنت قد وافقت على كلامى، مَا حدثت هذه المشاكل، كانت "هما" قد تعصبت وأخذت ترتعش.

فابتسم "حسن على خان" وقال: قولى كل ما بقلبك الرقيق، أنا راض.

خجلتِ "هما" وقالت: سامحنى، فإنا مصابة بالحمى، لا أعرف ماذا أقول. أخرج ذنب "منوچهر بك، ذنبه، لن يغفر، أنانى و كذاب، إنسان شرير، بلا رحمة.

فقال حسن على خان": ابنتى العزيزة، لقد أخطأت، فالكذب والأنانية وعدم الرحمة هنا ليس ذنب "منوچهر"، هو ذنب العشق، العشق حاكم مستبد وظالم فهو لا يخشى شيئًا مطلقًا، من ظلم أو قسوة لكى يصل إلى هدفه، نحن جميعًا أمامه أدوات، نسمع ونرى كل ما يريد. نذهب حيثما يقول، راحتنا فى الألم الذى يفرضه علينا. أحيانًا يعطينا ما نسبح به فى أيدينا، وأحيانًا وسيلة القتل، هكذا نصبح فى غيبوبة، بحيث لو طلب فلا نتردد لحظة عن قتل أنفسنا أيضًا. فهل تقع المسئولية على شخص تحت حكم حاكم ظالم كهذا؟ هل يمكن أن نضع الذنب على آلة الجريمة؟ "منوچهر ليس مذنبًا، إذا كان ممكنًا فلننبه العشق.

كانت "هما" تشكر بلسان قلبها حسن على خان" على هذا الدفاع، تدفع الوجدان بكل قوة لقبول ذلك. كان حسن على خان" يقول: عليكِ أن تسامحى "منوچهر ولا تلوثى قلبك بالكره والحقد، وأن تحبيه دائمًا.

فى تلك الأثناء سمعت وقع أقدام، فاضطربت هما" وتحركت بعصبية. دخل "منوچهر خان" الحجرة وألقى السلام ووقف. امتلأ الفضاء بالمعانى عند التقاء نظراتهم.

سيأتى يوم ونستطيع أن نترجم النظرات أيضًا، يا لها من فضائح ستأتى معها......

كأن "منوچهر ، قد شعر بوجود مصيبة، فاضطرب وتوتر. كان حضور حسن على خان" فى هذا التوقيت أمرًا عاديًا، فأصاب الاضطراب وجدانه، جلس بالقرب من سرير هما" تبادلا السؤال عن الأحوال ثم سكت الجميع. مرت بضع لحظات على هذه الحال ولم يجرؤ أى منهما على فتح باب الحوار. فى النهاية اختتم "حسن على خان" هذا الصمت وقال: لم أتوقع مرض هما" مطلقًا، تعتقد ما سبب مرضها؟

استراح منوچهر لهذه الجملة، لم يستشْعر منها رائحة المصيبة وقال: أعتقد أنها أنفلونزا لأن هذا المرض، منتشر جدًا، لا شىء، إن شاء الله سيزول بسرعة، لكن بشرط أن تشرب دواء الطبيب، السيدة طلعت" وأنا لم نستطع حتى الآن أن نقوم بذلك، إلا إذا قمت أنت بهذا العمل.

بعد دقيقتين ثلاثة من الصمت، عين "حسن على خان" ملتصقة بالأرض قال بتأنٍ: للأسف لقد أحضرت خبرًا سيئًا، واضح من هذا الخبر، ربما تكون لديك أطفال وزوجة فى "أصفهان"

شحب لون منوچهر وغيَّر مكانه مرتين ثلاثة على الكرسى وقال: ماذا أقول...... ماذا تقصد؟

فقال حسن على خان": أقصد أن أعرف هل هذه المسألة صحيحة؟

تأخر "منوچهر" وقال بصوت منخفض: ليس صحيحاً.

فرفعت "هما" رأسها بحركة سريعة من على الوسادة ونظرت إلى منوچهر"، كانت ابتسامة السعادة لم ترتسم بعد على وجهها حتى خاطب حسن على خان" بعصبية ولون مشتعل وقال: نعم هذا صحيح، لدىَّ زوجة وأولاد، معلوماتكم صحيحة، هذا هو الرد على الكلام الذى كتبته أنا ضدك فى الجرائد. معك حق، فى النهاية انتقمت لنفسك لكن إذا سمحت لى، أقول إن هذا التصرف بعد أن سامحتنى فى منزلى فى ذلك اليوم لم يكن شريفًا، أنا الذى اعترفتُ بذنبى، وطلبت عفوك، وأنت أيضًا عندئذ سامحتنى، فلما كل هذا الحقد والبغض؟

فقال "حسن على خان": أنت فى حالة لا تعرف ماذا تقول. نهض وخرج من الحجرة. كانت "هما" ترتجف، أرادتِ أن تتكلم، كان لسانها قد عُقِد، فأغلقت عينيها، وحولّت رأسها.

ظل "منوچهر" فى مكانه، عيناه تسمرت بالأرض، يخاف أن ينظر فى وجه "هما"

بعد قليل، فتحت "هما" عينيها وقالت بصوت متعب:أنت الذى كتبت هذا الكلام بالجريدة؟

مسح "منوچهر" جبهته بيده وقال ألم يكن قد قال لك ؟ حرَّكت "هما" رأسها بالنفى وقالت: أنت لم تعرفه بعد ولن تعرف، كما أننى أيضًا لم أكن أعرفك. قتل الإنسان، أفضل مما فعلته، أنا لم أكن أعرفك قاتلاً!

دعك من هذا، أنت يا مَنْ لديك زوجة وأولاد لماذا لم تخبرني؟ ألا تعرفني، لا تعرف أن الكذب عندي من أكبر الكبائر! لم أكن أظن بك ذلك مطلقًا، كان ذلك ظلمًا، لماذا لم ترحم قلبي البريء وعشقي الطاهر.

لم يسمح لها البكاء، فسكتت.

فقال "منوچهر" إذا كنت أنا كذبت وتصرفت بعدم شرف، كان بسبب عجزي لقد سلبني عشقك عقلي ووعيي.

ثم خر راكعًا تحت قدم سريرها وأخذ يبكي، وقال مرة أخرى: سامحيني، أنا لست مذنبًا، الذنب ذنب العشق. هو الذي دفعني إلى هذه الأمور الحقيرة، أنا مستعد لفعل أي أمر تأمرين به، سامحيني، سأُقَبِّل قدم حسن علي خان"، وأعطي كل ما أملك للفقراء، سامحيني...... كان يقول ويبكي.

مضت فترة على هذه الحال حتى أخرجت "هما" يدها ووضعتها بهدوء على ظهر منوچهر خان" رفع كل منهما رأسه والتقت نظراتهما.

قالت "هما": إن عفوي له شرط. فقال "منوچهر": تكلمي فأنا مستعد لكل ما تقولين، أقسم بحياتك أنني سأنفذ كل ما تحكمين به.

تأوّهت هما" وقالت: شرطي هو أن تحضر زوجتك وأولادك إليك وأن تعاملها بما هو جدير بالإنسانية. فصار "منوچهر كالوحش وسأل: ماذا أفعل معك إذًا؟.........

قالت "هما   ثق أننى غير مستعدة لأن أرتكب ذنبًا، وأكون سببًا فى شقاء عدة أشخاص. ألا تعرف أنك حين تجعل طفلاً يتيم الأم، فهذا أشد قسوة؟ حين يرى أطفالك المساكين أنك تتخذ امرأة أخرى بدلاً من أمهم كيف سيكون الحال، كيف تستطيع أن تضمد جراح قلوبهم. هل أستطيع أن أحل أنا مكان والدتهم أبدًا؟ مهما أفعل من خير وتسامح، سيعتبروننى مقصرة وسينفرون منك أيضًا. ينمحى شعور الرحمة والعطف من نفوسهم. وفى المستقبل، سيصبحون أناس غلاظ القلب أشقياء، ماذا فعلت تلك السيدة المسكينة حتى تُحرم من الأبناء والزوج والبيت والحياة! لأنها لم تعجبك؟ إلى هذا الحد تحب نفسك حتى تشقى جماعة من أجل رضاك! هل هذه هى الرجولة والإنسانية! هل الإنسان الذى يرتكب مثل هذه المعصية، سيطمئن باله ويسعد مطلقًا.

كما قلت لك قبل ذلك أكثر من مرة، أتمنى أن أهب عمرى لتربية وسعادة السيدات الإيرانيات التعيسات، أليس قبيحًا أن أفعل عكس ما أعتقد به، وأعطى درسًا فى سوء الخلق وعدم الرحمة؟ الموت بسبب العشق، أفضل لى من أن أتصور أننى سأكون سببًا فى شقاء سيدة وطفلين بريئين. هذه الأعمال خاصة بالأغبياء قساة القلوب، أنت متفتح الذهن حاد الفهم، لم لا تود أن تتغلب على نفسك وتترك السير وراء الملذات الفانية. اعلم أنك ستندم يومًا على هذا العمل، عندئذ لن يكون هناك إلا الاحتراق. أنا أضحى بحبى فداءً للشرف، والإنسانية والضمير، أنت لا ينبغى أن تكون أقل منى.

تأوّه "منوچهر" وقال: أنا أقل منك، أنا أضحى بكل شيء من أجل العشق، دعكِ من هذه الأوهام........

فقالت "هما": مع أنك تعرفنى وتعرف أخلاقى، لم أكن أتوقع إصرارك على هذا الأمر، ينبغى أن تعرف أن قرارى من أجلك و إلا فقد عرفتنى أسوأ معرفة. أعرف أننى سأتألم بشدة، متأكدة أنك حين تنسانى تماماً، ستكون صورتك أمامى يعنى صورة "منوچهر الأولى، ذلك الملاك الذى كان قد اتخذ لنفسه صورة الإنسان، وليس "منوچهر الصحفى..... أقسم بحياة أمى أنه يستحيل أن أعيش معك، مستحيل أن أرضى بشقاء جماعة، أنت عذبتنى، وهذا كافٍ! هذا هو نتيجة المعاملة السيئة، انظر كيف تشقى بيديك الإنسان الذى أحببته، وجعلت نفسك مسكيناً مضطرباً

• فقال "منوچهر "لكن إذا كنتِ حقًا تحبيننى ما كنتِ تغيرتِ؟ فالعشق لا ينصت إلى شىء من هذا. أنا لو لم أقل لك الحقيقة، فهذا كان لشدة حبى، وإذا كنت قد أسأت فى حق حسن على خان"، فكان ذلك بحكم العشق، أنا لست مقصراً، يجب أن تأخذى فى الاعتبار أننى تركت زوجة وأطفال من أجلك وتخليت عن شرفى، الآن جزائى هو أن تطردينى من عندك؟ لن تكون لى حيلة إلا الموت، تركت كل شىء من أجل العشق وفى النهاية طُرِدتُ من الشخص الذى كان هو كل أملى!.... لماذا تريدين أن نعانى أنا وأنت للأبد، بسبب الوهم والظن. هل تتصورين أن سلوكك هذا سيكون سبباً فى سعادة أم أولادى؟ أنا لا أحبها،

ولم أكن أحبها مطلقًا، زوجوها لى بالقوة، وهربت أنا منها إلى طهران" المسكينة أمية، ليتها تمتلك ذرة عقل أو فهم، كل متعتها هى أن تصعد إلى السطح تسمع الأشعار التى تُقرأ فى عاشوراء عند الجيران ودون أن تفهم معنى الأشعار، تبكى وتنوح. فهل أستطيع أن أعيش مع امرأة كهذه؟ فإذا كانت هى وحدها ستشقى فهذا أفضل من أن نشقى أنا وأنتِ، مائة من مثلها لا يساوون شعرة واحدة منكِ. لن آخذ أطفالى منها، سيبقون مع أمهم، اطمئنى من هذه الناحية "

فحركت "هما" رأسها فى حسرة وقالت: على فرض أنك لم ترتكب هذا الذنب الذى لا يغتفر ضد حسن على خان"، فهل تظن أن أرتكب ذنبًا وأقتل إنسانًا بسبب هذا الكلام؟ هل هذا ممكن، أن أسعد بينما أعرف أن إنسانًا سيشقى بسبب سعادتى! لا يمكن لك أن تتخيل كم تعانى المرأة المسكينة التى يتزوج زوجها، لن تستطيع أن تشعر بهذا الألم. يستطيع الإنسان أن يشعر بنار هذا الألم، عندما يرى نفسه تحت يد الجلاد، وهو برىء ولا يملك حق الكلام وهكذا هى المرأة الإيرانية! لو تعاملت السيدات معكم معشر الرجال، هذه المعاملة، هل ستبقون على قيد الحياة؟

أنتم أيها الرجال مشغولون بألف شىء أحدها هو عشق المرأة. لكن المرأة، لا يشغلها سوى التفكير فى الزوج. عندما تريدون يومًا،أن تلقوا الماء على نار شهوتهم، تقيدون مسكينة أخرى بالجنزير وتضحكون على حرقة الأولى أو تتهورون. هل المرأة، ليست إنسانًا، ليس لها فكر، ليس لها قلب، ألا تشعر؟ أنت أيها الشاب المتعلم تقول: "حينما لا أحب زوجتى

ولم أكن أحبها مطلقًا، زوجوها لى بالقوة، وهربت أنا منها إلى طهران" المسكينة أمية، ليتها تمتلك ذرة عقل أو فهم، كل متعتها هى أن تصعد إلى السطح تسمع الأشعار التى تُقرأ فى عاشوراء عند الجيران ودون أن تفهم معنى الأشعار، تبكى وتنوح. فهل أستطيع أن أعيش مع امرأة كهذه؟ فإذا كانت هى وحدها ستشقى فهذا أفضل من أن نشقى أنا وأنتِ، مائة من مثلها لا يساوون شعرة واحدة منكِ. لن آخذ أطفالى منها، سيبقون مع أمهم، اطمئنى من هذه الناحية "

فحركت "هما" رأسها فى حسرة وقالت: على فرض أنك لم ترتكب هذا الذنب الذى لا يغتفر ضد حسن على خان"، فهل تظن أن أرتكب ذنبًا وأقتل إنسانًا بسبب هذا الكلام؟ هل هذا ممكن، أن أسعد بينما أعرف أن إنسانًا سيشقى بسبب سعادتى! لا يمكن لك أن تتخيل كم تعانى المرأة المسكينة التى يتزوج زوجها، لن تستطيع أن تشعر بهذا الألم. يستطيع الإنسان أن يشعر بنار هذا الألم، عندما يرى نفسه تحت يد الجلاد، وهو برىء ولا يملك حق الكلام وهكذا هى المرأة الإيرانية! لو تعاملت السيدات معكم معشر الرجال، هذه المعاملة، هل ستبقون على قيد الحياة؟

أنتم أيها الرجال مشغولون بألف شىء أحدها هو عشق المرأة. لكن المرأة، لا يشغلها سوى التفكير فى الزوج. عندما تريدون يومًا، أن تلقوا الماء على نار شهوتهم، تقيدون مسكينة أخرى بالجنزير وتضحكون على حرقة الأولى أو تتهورون. هل المرأة، ليست إنسانًا، ليس لها فكر، ليس لها قلب، ألا تشعر؟ أنت أيها الشاب المتعلم تقول: حينما لا أحب زوجتى

وأنها غيرت فكرها. وبدت "هما" في نظره عظيمة جداً، أدرك أن النساء أيضًا يمكن أن يكون لهم مبادئ وأصول من أثر التربية والاستعداد الذاتي فتضحي من أجلها بنفسها، عرف أن هما" في هذا الشأن أكثر منه ثباتًا، أكثر استقامة لأنها هي نفسها وافقت على تلك المبادىء، في النهاية تضحي بها من أجل العشق، نظرًا لضعف النفس. وثبت له أن قوة تصميم المرأة ليست أقل من الرجل، وبالتأكيد أن صفات العدل والشهامة، أكثر عند المرأة من الرجل. فإذا كانت المرأة راسخة المبادئ، فإن ثباتها واستقامتها أكثر. أهم من هذا كله أن المرأة تتغلب على الشهوة، في حين أن الرجل أسير الشهوة، لهذا فالرجل دائمًا، محتاج والمرأة غير محتاجة، الرجل سائل والمرأة مانحة.

قالت "هما": "منوچهر هل تستطيع أن تقبل لي رجاءً؟

فكر "منوچهر" وقال: هذه المرة أوافق على كل شيء، لأنني أعرف أنك تحبينني.

فقالت " هما": رجائي هو أن تكون أفضل، تصور أنك أصبحتَ شريرًا يجعلني دائمًا غير سعيدة، رجائي هو أن تأتي بزوجتك وأولادك إلى "طهران" وتسعى لتربيتهم، خاصة زوجتك المسكينة تعاملها كتلميذ مبتدئ. أنا متأكدة أن هذا يناسب طبيعة المرأة الإيرانية التي تتواءم دائمًا، مع كل الظروف، وفي أي عمر، لديها الاستعداد للتعليم. أتمنى أن تسعد تلك المسكينة عندئذ أعدِك، أن تكون سعيدًا أنت أيضًا.

وأنها غيرت فكرها. وبدت "هما" فى نظره عظيمة جداً، أدرك أن النساء أيضًا يمكن أن يكون لهم مبادئ وأصول من أثر التربية والاستعداد الذاتى فتضحى من أجلها بنفسها، عرف أن "هما" فى هذا الشأن أكثر منه ثباتًا، أكثر استقامة لأنها هى نفسها وافقت على تلك المبادىء، فى النهاية تضحى بها من أجل العشق، نظراً لضعف النفس. وثبت له أن قوة تصميم المرأة ليست أقل من الرجل، وبالتأكيد أن صفات العدل والشهامة، أكثر عند المرأة من الرجل. فإذا كانت المرأة راسخة المبادئ، فإن ثباتها واستقامتها أكثر. أهم من هذا كله أن المرأة تتغلب على الشهوة، فى حين أن الرجل أسير الشهوة، لهذا فالرجل دائمًا، محتاج والمرأة غير محتاجة، الرجل سائل والمرأة مانحة.

قالت "هما": "منوچهر هل تستطيع أن تقبل لى رجاءً؟

فكر منوچهر وقال: هذه المرة أوافق على كل شىء، لأننى أعرف أنك تحبيننى..

فقالت "هما": رجائى هو أن تكون أفضل، تصور أنك أصبحتَ شريراً يجعلنى دائمًا غير سعيدة، رجائى هو أن تأتى بزوجتك وأولادك إلى "طهران" وتسعى لتربيتهم، خاصة زوجتك المسكينة تعاملها كتلميذ مبتدئ. أنا متأكدة أن هذا يناسب طبيعة المرأة الإيرانية التى تتواءم دائمًا، مع كل الظروف، وفى أى عمر، لديها الاستعداد للتعليم. أتمنى أن تسعد تلك المسكينة عندئذ أعِدُك، أن تكون سعيداً أنت أيضًا.

ولن يعود ثانيةً. كأن هذا القول، قـد دمر كل قواها فـأغمضـت عينيها مرة أخرى. تضايقت السيدة "طلعت وتساءلت بسرعة وبصوت مرتفع: لماذا لن يأتي ثانيةً؟ أليس كل شيء ممكن! هذا الأسبوع كان ينبغي أن نقيم العرس، غضب ودلال البنات هذا لا معنى له!

فـأخذ "حسن على خـان" يبكى أيضًا لكنه لا يريد أن يعرف هذا البكاء سببه السرور أو الشفقة

لم تُجِب هما" وكان اضطراب السيدة طلعت يزداد لهذا السكوت، فقالت لـ حسن على خان بتوسل: إذًا تكلم أنت، لأنك تعرف التفاصيل

كان حسن على خان" صامتًا ولا يُجيب، فخلصت هما" حسن على خان" من هذا الموقف، ومن صعوبته فقالت: أمى الحبيبة منوچهر متزوج وله أولاد ولم يخبرنا طبعًا، على هذا كيف يمكن........!

كأنما السيدة "طلعت" قد تخلصت من حمل ثقيل، تنفست الصعداء وقالت: لا يهم، بالتأكيد طلق زوجته أو سيطلقها، فهو يضحى بروحه من أجلك. الرجال يتزوجون أكثر من واحدة، لابد من واحدة مُقرَّبة والباقيات يعِشْن فقط. الآن تكلمى لأعرف مَن أتى لكِ بهذا الخبر؟ فهمتُ........ منذ ذلك اليوم حين جاءت هنا "أم منوچهر"، تدهورت حالتك، جاء لك الخبر من هذه العجوز، يا للعجب، إنها تحب ابنها، ينبغى أن أباركُ لـ"منوچهر خان" لأنه يملك أم كهذه.

ولن يعود ثانيةً. كأن هذا القول، قـد دمر كل قواها فأغمضت عينيها مرة أخرى. تضايقت السيدة "طلعت وتساءلت بسرعة وبصوت مرتفع. لماذا لن يأتى ثانيةً؟ أليس كل شىء ممكن! هذا الأسبوع كان ينبغى أن نقيم العرس، غضب ودلال البنات هذا لا معنى له!

فأخذ "حسن على خان" يبكى أيضًا لكنه لا يريد أن يعرف هذا البكاء سببه السرور أو الشفقة

لم تُجِب "هما" وكان اضطراب السيدة "طلعت" يزداد لهذا السكوت، فقالت لـ "حسن على خان" بتوسل: إذًا تكلم أنت، لأنك تعرف التفاصيل

كان "حسن على خان" صامتًا ولا يُجيب، فخلصت "هما" "حسن على خان" من هذا الموقف، ومن صعوبته فقالت: أمى الحبيبة " منوچهر" متزوج وله أولاد ولم يخبرنا طبعًا، على هذا كيف يمكن........!

كأنما السيدة "طلعت" قد تخلصت من حمل ثقيل، تنفست الصعداء وقالت: لا يهم، بالتأكيد طلق زوجته أو سيطلقها، فهو يضحى بروحه من أجلك. الرجال يتزوجون أكثر من واحدة، لابد من واحدة مُقرَّبة والباقيات يعِشْنَ فقط. الآن تكلمى لأعرف مَن أتى لكِ بهذا الخبر؟ فهمتُ........ منذ ذلك اليوم حين جاءت هنا "أم منوچهر"، تدهورت حالتك، جاء لك الخبر من هذه العجوز، يا للعجب، إنها تحب ابنها، ينبغى أن أباركُ لـ"منوچهر خان" لأنه يملك أم كهذه.

قال "حسن على خان": الآن سأوضح لكِ الأمر، هل ترضين أن يتزوج "منوچهر خان" من "هما" ثم يتزوج من ثانية؟ إذًا لا ينبغى أن ترضى بأن تكون "هما" سببا فى شقاء زوجة مسكينة أخرى

ضحكت السيدة "طلعت" بسخرية وقالت: ليس لها دخل، و"منوچهر" لن يتزوج على "هما" امرأة أخرى، و لا ينبغى لـ "هما" أن تتعس نفسها، من أجل امرأة ربما يكون بها ألف عيب، لم أكن أتوقع منك مثل هذا الكلام.

كان التغيير واضحًا فى أسلوب كلام السيدة "طلعت" مع "حسن على خان"، فتعجب "حسن على خان" و "هما" فقالت "هما": أمى الحبيبة أنتِ تعرفين أننى لست طفلة ولى حرية التعبير عن نفسى، سأفعل كل ما فيه الخير.

فقالت السيدة "طلعت" بلون شاحب وصوت مرتعش، هذا الكلام يملأ رأسك إنكِ طفلة وتريدين أن تشقى نفسك بأوهام الطفولة، لسوء الحظ، فإن عمك العزيز يتفق معكِ فى الرأى! لا أعرف لماذا، كأنكما كنتما لا ترغبان فى هذا الأمر منذ البداية......

قفز "حسن على خان" من مكانه وسأل بسرعة: من أين استنتجت مثل هذا الوهم بشأنىّ؟ فقالت السيدة "طلعت": لو كنت تريد ذلك، لمَا أتيت بخبر زواج "منوچهر خان" فى هذا التوقيت.

قال "حسن على خان": الآن سأوضح لكِ الأمر، هل ترضين أن يتزوج "منوچهر خان" من "هما" ثم يتزوج من ثانية؟ إذًا لا ينبغى أن ترضى بأن تكون "هما" سببا فى شقاء زوجة مسكينة أخرى

ضحكت السيدة "طلعت" بسخرية وقالت: ليس لها دخل، و"منوچهر لن يتزوج على "هما" امرأة أخرى، و لا ينبغى لـ "هما" أن تتعس نفسها، من أجل امرأة ربما يكون بها ألف عيب، لم أكن أتوقع منك مثل هذا الكلام.

كان التغيير واضحًا فى أسلوب كلام السيدة " طلعت" مع "حسن على خان"، فتعجب "حسن على خان" و "هما" فقالت "هما": أمى الحبيبة أنتِ تعرفين أننى لست طفلة ولى حرية التعبير عن نفسى، سأفعل كل ما فيه الخير.

فقالت السيدة "طلعت" بلون شاحب وصوت مرتعش، هذا الكلام يملأ رأسك إنكِ طفلة وتريدين أن تشقى نفسك بأوهام الطفولة، لسوء الحظ، فإن عمك العزيز يتفق معكِ فى الرأى! لا أعرف لماذا، كأنكما كنتما لا ترغبان فى هذا الأمر منذ البداية......

قفز "حسن على خان" من مكانه وسأل بسرعة: من أين استنتجت مثل هذا الوهم بشأنى؟ فقالت السيدة "طلعت": لو كنت تريد ذلك، لَمَا أتيت بخبر زواج "منوچهر خان" فى هذا التوقيت.

ولا قوة فيصرخ. لا يفهم سبب تغير أحوال "هما" لم يكن يعتقد مطلقًا أن حادثة ما أو أى سبب يمكن أن يصبح عائقًا لعشق "هما " يقول لنفسه: العشق لا يعرف مانعًا، ولا يهتم بما سواه، فكل وسيلة توصله إلى الوصال جيدة. العاشق الذى يتغير حاله بتأثير من الآخرين، أو ينسى العشق بناءً على ملاحظات الآخرين ليس عاشقًا، هما" خدعتنى، لم تكن تَحبنى كما كانت تقول! كل هذا الحب والوفاء، كان مزيفًا. تلك الشفقة والرحمة كانت مزيفة و إلا ما كانت لتؤلمنى وتصيبنى بمثل هذا الألم. تعرف كم أعانى وهى مستريحة.

كانت مثل هذه الأفكار تهيئ بالتدريج لبداية المرحلة الثانية للعشق فى قلب "منوچهر" أى ذهب عشقه وتبدل بحقد لكن هذا التحول لم يأخذ الشكل النهائى وكان العشق لا يزال هو الغالب. كان يتمنى أن تستطيع "هما تبرئة ذمته بسبب ضعف إرادته، وأن تلقى بكل اللوم على عوامل أخرى. رغم ما كان قد حدث بينه وبين حسن على خان" ، كان يخجل لأنه هاجمه مرة أخرى ووجه له الاتهام، ومع هذا كان فكره يدور حوله. بينما هو على هذه الحال أسير الشك والظن حتى دخلت السيدة "طلعت"، ترقرق الدمع فى عينيه، من الرقة والوجد، فكان يتلفت حوله ويذرف الدمع حتى لا تراه السيدة طلعت". سلم بصوت حزين وابتسامة، ثم سأل عن الأحوال وقال: رأيتِ ماذا فعلت بى هما" أخيراً؟ فتأوهت السيدة " طلعت" وقالت: والله " هما" تحبك حبًا لا يقدر، الآن هى مريضة من شدة حزنها، ربنا يكافئ عمها العزيز بكل خير، فهذه الظنون الغريبة والعجيبة منه، هو الذى أتى لـ"هما "بهذا الخبر، لم يتركها.....

لم يكن الأمر يحتاج أكثر من هذا، حتى تتبلور الظنون المبهمة بذهن "منوچهر ، وتأخذ شكلاً واضحًا، تبدل سوء ظنه بـ حسن على خان" باليقين، وبدا شعور الحقد، بلا شك أو خجل. فنهض من مكانه وقال: أقسم بالله أنى سأنتقم من هذا الشخص. غضبت السيدة طلعت" وقالت: لا، هذا ليس طيباً، لا تفكر بهذه الأوهام، مهما يكون فهو والد زوجتك.

فتأوه "منوچهر وقال: لو أصبحت "هما" زوجة لى فلن يكون لى شأن بالخير و الشر فى هذه الدنيا بعد ذلك.

حقًا، فالعاشق مادام لم يتحقق له الوصال، يعتقد أنه لا يتمنى سوى الوصول إلى المعشوق.

قالت السيدة طلعت": عليك الآن أن تفكر قليلاً وتحل هذه المشكلة، مثلاً تقول أنك غير متزوج يعنى تطلق زوجتك فى وقت قصير جداً، وترسل لها ورقة الطلاق، بالطبع ستوافق على هذا الأمر من أجل هما" صحيح فليس مستحباً أن تكون لديك زوجة أخرى، فى وجود هما

أراد "منوچهر أن يصدق أنها تطلب هذا الشرط على لسان "هما"، فانفرجت أساريره من السعادة، وعاد الدم إلى وجهه وقال بسرعة: أنا نفسى قررت هذا، لكن "هما" لم تدعنى وأخذت منى عهداً بأن أحتفظ بزوجتى. ضحكت السيدة "طلعت وقالت: كيف لم تنتبه أنتَ إلى أن "هما" قالت ذلك من باب الحسد والطمع؟ معلوم فهى لن تقول أبداً، طلِّق زوجتك من أجلى.

كانت سعادة وسرور "منوچهر لا توصف لأنها جاءت بعد الحزن والهم. فكلام السيدة طلعت جاء موافقًا لما يتمناه، فتقبل ذلك بسهولة وقال بسعادة كبيرة: الآن سأذهب إلى منزل المأذون وأطلق زوجتى، اطمئنى من هذه الناحية، أما بقية الأمور فأنا أتركها لكِ.

فقالت السيدة "طلعت": أسرع فى إتمام هذا العمل سأذهب وأحمل البشرى لـ"هما"، إن شاء الله يتم هذا الأمر السعيد فى نفس الأسبوع.

* * * * *

كانت هما" تقول لـ" حسن على خان لا أعرف كيف أتعامل مع هذه الأم عديمة الخبرة، اليوم جاءت لى بالبشرى أن منوچهر طلق زوجته! لا تستطيع أن تفهم تفكيرى. كم يختلف الناس كثيرًا فى قوة الإدراك، ما سبب هذا الاختلاف، هل تعتقد أن هذه الاختلافات الطبيعية، تختفى يومًا نتيجة التربية؟

فقال حسن على خان": كما أن هناك تفاوت فى شكل الإنسان، فإن بناء عقولهم أيضًا يختلف لكن يومًا ما حين تكون التربية والتعليم فى العالم على طراز واحد ويتقارب البشر من حيث الفهم جدًا، لكن وحياتك الآن ليس لدىَّ صبرٌ للخوض فى هذه المسائل، غدًا صباحًا يجب أن أعود إلى "قزوين" وأتركك بهذه الحالة السيئة والروح المتعبة الوحيدة...

فقالت "هما" لو أن قلبك يحترق من أجلى، فخذنى معك، ربما أموت هنا ولا أراك مرة أخرى.

وبينما كان حسن على خان" يفكر، فإذا بالسيدة " طلعت" تدخل الحجرة. فخرج عن تفكيره وقال: فلتعدوا متاع السفر، غداً نرحل إلى "قزوين" معًا.

كأنما استيقظت السيدة طلعت من النوم، تحركت تلقائيًا وفتحت عينيها، قائلة: ماذا تقول؟ لماذا نذهب إلى "قزوين"؟ هذه البنت التعسة ينبغى أن تتزوج.

فقال حسن على خان": الآن هى مريضة والذهاب إلى "قزوين"، لن يمنع الزواج.

فاصفر لون السيدة طلعت"، كانت تريد أن تسب حسن على خان" فمنعتها "هما" بنظرة حادة. قالت: أمى الحبيبة، لو لم تأتِ سأذهب أنا، أعِدِّى ملابسى بسرعة. أدركت السيدة طلعت" أنه لا جدوى من المقاومة والإصرار، خرجت من الحجرة. جاءت مباشرة إلى حجرة "منوچهر خان" وأطلعته على التفاصيل، قالت: يجب أن تفكر بسرعة وتمنعها.

كان "منوچهر يستعين بمساعدة الشيخ حسين" مرة ثانية هذه الأيام يتشاور ويتباحث معه. أثناء ذلك، كان الشيخ موجوداً وقبل أن تدخل السيدة "طلعت"، كان يجلس فى حجرة الضيوف.

فكر "منوچهر" طويلاً ولم يصل إلى حل، فذهب ناحية حجرة الضيوف وقال للسيدة "طلعت": استريحى حضرتك لبضع دقائق، سأذهب لأحتسى كوب ماء بارد، فقد جفَّ حلقى.

كان الشيخ "حسين" قد علم من الغضب والاضطراب الذى بدا على وجه "منوچهر" أن خبرًا سيئًا قد وصله. بعد أن علم بالواقعة تأمل قليلاً، وفجأة وكأنه وجد طوق النجاة، تهلل وجهه ووضع يده على كتف "منوچهر" وقال: لقد انتهى أمرك، دعهم يذهبون إلى "قزوين"

فقال "منوچهر": تحدَّث بالله عليك، قل بسرعة، لم أفهم مقصدك.

رفع الشيخ نظارته وجفف عرق وجهه ورأسه بطرف عباءته وقال: هل نسيت أن جيش الروس فى "قزوين"، هذا المسكين يذهب إلى جهنم بقدميه، أنا الذى قلت لك، لقد وجدت حديثًا علاقة لى مع الروس، اترك هذه السيدة تذهب حتى نتحدث معًا، لقد قبض قلبى فى هذه الحجرة الصغيرة........

جاء "منوچهر" إلى السيدة "طلعت" وقال: فكرت كثيرًا، وليس لدىَّ ما أمنع به تحرككم إلى "قزوين" فى الوقت الحالى، اذهبى أنتِ وانتظرى ما سأفعله، أما "هما" فأرادت أم لم تُرد ستكون زوجتى، لقد صممتُ هذه المرة.

فقالت السيدة "طلعت": إن شاء الله، خرجت وهى تقول لنفسها ما الفائدة، كل ما أفعله أنا، يضيعه العم العزيز........

كان "منوچهر" يسأل الشيخ ويصر قائلاً: تكلم ما خطتك؟ ما تصورك؟ لكن الشيخ كان يضحك ويمزح حتى قال فى النهاية: أليس هدفك هو الوصال مع معشوقتك؟ حسن جداً، دع لى هذا الأمر، أنا سأذهب إلى "قزوين"، أعطنى مصاريف ثلاثة أشهر، بعد ثلاثة أشهر أو أقل من ذلك إن شاء الله ستكون زوجًا لهذه البنت. لا أستطيع الآن أن أقول لك ما أفكر فيه لأنهم يقولون "كل سر جاوز الاثنين شاع"

فوافق "منوچهر" كالطفل المختل الذى يقبل أى شرط من أجل الوصول إلى الهدف.

* * * * *

بمجرد وصول الشيخ "حسين" إلى "قزوين"، ذهب إلى القنصلية الروسية وبعد بضع دقائق تباحث فيها مع "مشهدى قربان" وكان تاجراً، وبملازمته له وجد قبولاً عند القنصل، قال: لقد جئت لأقدم خدمة جليلة للإمبراطورية، لو تدركون قيمتها.......

فقال القنصل: كيف يمكن معرفة قيمتها، أن تحصل على شهرية قيمتها ثلاثين تومانًا من أجل خدمة الإمبراطورية، ماذا تريد بعد هذا؟ ضحك الشيخ "حسين" وقال: السفارة الإنجليزية تدفع ثلاثة أضعاف للمخبر، راتب مجموعة أخرى، اثنتى عشرة ليرة. بالتأكيد حين تعد الدولة مخبراً للعمل فى خدمة إيران، فإنها تقسم نصف راتب السفارة، الآن هل تتخيل أنكم تدفعون لى مبلغًا كبيراً!

فقال القنصل: إنجلترا لم تكن يومًا ما ذات نفوذ وقوة فى إيران وبالطبع ينبغى أن تنفق الأموال لكننا لدينا جيش، حينما نحكم فإننا ننفذ بقوة كالسهم، لسنا فى حاجة إلى مخبرين، لقد تلقينا هذا الأذى من الإنجليز أيضاً. على أية حال تكلم لأعرف ما الخبر؟

قال الشيخ حسين": هل تعرفون رئيس الضرائب الجديد، أتعرف كم هو إنسان؟

قال القنصل: لم أره بعد وبناء على ما يقولون فهو إنسان طيب جداً لكنه ربما يكون وطنيًا، كذلك لا يتدخل فى شئوننا وحتى إن كان كما يقولون، فليس لنا دخل به.

فقال الشيخ: لدىَّ معلومات غير هذه، فربما يكون هذا الوطنى نفسه، يفكر فى أن يُكوِّن جماعة سياسية. على كل أنا نفسى سأنضم إلى هذه الجماعة وسأكون مراقباً لأعمالها.

فقال القنصل: إذا كان هكذا فسوف يكون هذا الأمر صعباً جداً، ينبغى أن أتحدث فوراً مع رئيس الجيش بشأن هذا الموضوع، على أية حال فأنا منتظر أخبارك الأخرى.

* * * * *

وفق الشيخ "حسين" فى التعرف على "حسن على خان" وكان يطيب له أن يتحدث وينوح عن مفاسد إيران، ويحكى فى كل مرة قصة وحكاية عن

مظالم الجيش الروسى، ويعرف نفسه على أنه خادماً محبًا للوطن. وبكل وسيلة كانت، اجتذب محبة حسن على خان" واستقر فى قلبه. كانت هما" و حسن على خان" يستقبلونه بشوق شديد، معظم الليالى يتناولون العشاء معًا، لكنهم كانوا يعانون من عدم نظافته وطريقة تناوله للطعام.

اقترح الشيخ "حسين" فى البداية أن يُكوِّنوا حزبًا سياسيًا من أجل الدعاية ضد الروس لكن حسن على خان" اعتبر وظيفته الحكومية مانعة له فلم يقبل هذا الاقتراح.

مضى شهران على هذه الحال، كأن الشيخ قد نسى مقصده وهدفه واهتم بأفكار أخرى، فيُعد كل يوم العشاء باضطراب حتى يذهب سريعًا إلى منزل حسن على خان"، وإذا كان حسن لا يزال مشغولاً بأعمال إدارية، فإن الشيخ يقوم بالمباحثات السياسية والوطنية مع "هما" كان حسن على خان" سعيداً بمعرفته جداً، ويعتقد أنه يشغل "هما" بعض الوقت بأفكار وهموم الوطن، فيقلل ذلك من ألم عشقها.

مضى الشهر الثالث على نفس المنوال. فى كل رسالة كانت لهجة منوچهر تزداد حدة ونفاد صبر، طلب من "الشيخ" أن يطلعه على خطته على الأقل، وعزم على السفر إلى قزوين" عدة مرات لكن الشيخ كان يستطيع أن يصرفه عن هذا القصد كل مرة، بالحجج والبراهين.

من ناحية أخرى، فمرور ثلاثة أشهر دون أن يتم المأمورية، قلل ذلك من قيمة الشيخ عند الروس.

فأطلعه على هذه الملاحظات فى وضعها الحقيقى، لم يكن اختلاق المشاكل لـ حسن على خان" أمرًا عسيرًا، لكنه كان يمانع، لم يكن مانعًا وجدانيًا، كان يخشى أن تنتهى هذه الحياة السعيدة ويُحرم من لقاء "هما" وحديثها. بعد يوم أو يومين من الصراع الداخلى والتفكير العميق بدأ يهتدى بخياله إلى خطة تحقق كل المزايا. أولاً يُتِم مهمته وأيضًا لا يحرم من هذه المتعة.

كان الشيخ "حسين" قد تحدث عدة مرات مع حسن على خان عن محبة إيران والشعور الوطنى لدى مشهدى جبار حاكم "باد كوبه" كان يقول: هؤلاء القفقاز المساكين رغم السلطة الروسية ونفوذها لمدة سنوات، لم ينسوا حتى الآن الشعور الوطنى الإيرانى، ويُعِدُّون أنفسهم مرتبطين بإيران، وفى كل وقت حين يستطيعون أن يظهروا محبتهم لإيران لا يتأخرون، فأرواحهم متأذية من ضغط الروس فى إيران، وفى الباطن، يبادرون بتنفيذ بعض الأعمال ضدهم بقدر المستطاع.

وأخيرًا أتى به ذات يوم إلى منزل حسن على خان" كان يتحدث عن كل شىء.تحدث الشيخ حسين" عن موضوع شقاء أهالى المملكة الإيرانية وقسوة الروس، كان حسن على خان" صامتًا و" مشهدى جبار أحيانًا ينظر إلى الشيخ ويريد أن يقول: هذا المسكين لا يتحدث! فقال الشيخ: أستاذ حسن على خان"، هذا هو مشهدى جبار لكنه رغم ما لديه من معلومات متنوعة تتعلق بوضع إيران السياسى لكنه

يعتقد عكس ما تعتقدون، يعتقد أن المرحوم صنيع الدولة كان إنسانًا سيئًا، ولم يتدخل الروس فى قتله على وجه الإطلاق.

فنظر جبار نظرة ممتزجة بالسخرية إلى الشيخ وقال بصوت منخفض: يا ابن الحرام......

ففقد حسن على خان" توازنه عند سماع اسم "صنيع الدولة" واحمر وجهه. وأخذ يتحرك على الكرسى، من شدة التعصب قائلاً: ربما لم يكن التقصير من "مشهدى جبار بل التقصير من جهل أفراد الشعب ممن لا يعرفون عظماءهم، ولا يحفظون تراثهم. ولا يكتبون قصص حياتهم وينشرونها فى العالم، ولا يضعون تماثيل لهم لمعرفة قدرهم فى الميادين والمكاتب حتى تعرف الدنيا أننا أيضًا لدينا عظماء، ويعرف أبناؤنا عظماءنا، ويتشوقون لخدمة الوطن والوصول إلى مقامات عالية. مسكين "مشهدى جبار ماذا يعرف، لابد أنه قرأ فى إحدى الجرائد الروسية أن "صنيع الدولة" وزير مالية إيران قُتل، على يد شخصين من مستخدميه اللذين كانا قد تأخرا فى دفع الضرائب، وقد سعدت كل أهالى إيران لهذه الحادثة. لا يعرف "مشهدى جبار معلومات خاصة بالمرحوم "صنيع الدولة" أكثر من هذه المعلومات، لا يعرف أن هذا الشخص يقينًا من أصحاب المقامات العالية فى تاريخ عظماء إيران من حيث الأخلاق والسلوك الشخصى، كان ملاكًا فى صورة إنسان، وكان مبرأ من كل أنواع العيوب التى كانت سببًا فى متاعب الآخرين أو احتقار النفس، فهو معجزة فى حسن الخلق والعفو والتسامح والرحمة.

كان المرحوم "صنيع الدولة" من الشخصيات النادرة التى تعتبر الوطنية بمعناها الحقيقى هى عملها، وكان مستعداً للتضحية بالروح فداءً للجميع. حين كان الأعيان والأشراف كل همهم جمع المال، مشغولين ببيع المملكة وبالخيانة، كان هو يرسم خطة السكك الحديدية، يضع تخطيطًا لتشكيلات الإدارات فى الحكومة، كما كان ينشئ المصانع.

فقال "مشهدى جبار": أنا لدىَّ مصنع عصير ليمون فى "باد كوبه" المصنع يعمل جيداً، وله فائدة كبيرة.

ذهب "حسن على خان" وراء خياله، ولم يهتم بهذه النقطة لـ "مشهدى جبار" قال: المرحوم "صنيع الدولة" كان محور فضلاء ووطنيى عصره، كان الجميع يتحدثون فى مجلسه عن العلم والسياسة. فى النهاية كان بعيداً عن الوصوليين والمفسدين بالقدر الكافى حتى أنه لم يعترض على الدولة المستبدة ذات يوم.

فتثاءب "جبار" طويلاً وقال: أعطنى أيها الشيخ سيجارة...

فعاد "حسن على خان" وقال: خسارة لماذا قتلوا هذا الرجل العظيم، لماذا ظلموه هكذا؟ لديهم مئات الآلاف من الفضلاء والوطنيين، ويعتبرون شخصًا واحداً كثير علينا! هو نفسه كان يعرف أنه سيُقتل على يد الروس، أنا كنت هناك فى اللحظة الأخيرة، حين استقرت خمس رصاصات في جسده، استقبل كل السفراء والمبعوثين الخارجيين ما عدا مبعوثى الروس. ابتسم فى تلك اللحظة الأخيرة وقال: "فى النهاية

كان المرحوم "صنيع الدولة" من الشخصيات النادرة التى تعتبر الوطنية بمعناها الحقيقى هى عملها، وكان مستعداً للتضحية بالروح فداءً للجميع. حين كان الأعيان والأشراف كل همهم جمع المال، مشغولين ببيع المملكة وبالخيانة، كان هو يرسم خطة السكك الحديدية، يضع تخطيطاً لتشكيلات الإدارات فى الحكومة، كما كان ينشئ المصانع.

فقال مشهدى جبار أنا لدىَّ مصنع عصير ليمون فى "باد كوبه" المصنع يعمل جيداً، وله فائدة كبيرة.

ذهب حسن على خان" وراء خياله، ولم يهتم بهذه النقطة لـ "مشهدى جبار قال: المرحوم صنيع الدولة" كان محور فضلاء ووطنيى عصره، كان الجميع يتحدثون فى مجلسه عن العلم والسياسة. فى النهاية كان بعيداً عن الوصوليين والمفسدين بالقدر الكافى حتى أنه لم يعترض على الدولة المستبدة ذات يوم.

فتثاءب جبار طويلاً وقال: أعطنى أيها الشيخ سيجارة...

فعاد حسن على خان" وقال: خسارة لماذا قتلوا هذا الرجل العظيم، لماذا ظلموه هكذا؟ لديهم مئات الآلاف من الفضلاء والوطنيين، ويعتبرون شخصاً واحداً كثير علينا! هو نفسه كان يعرف أنه سيُقتل على يد الروس، أنا كنت هناك فى اللحظة الأخيرة، حين استقرت خمس رصاصات فى جسده، استقبل كل السفراء والمبعوثين الخارجيين ما عدا مبعوثى الروس. ابتسم فى تلك اللحظة الأخيرة وقال: فى النهاية

فقال "مشهدى جبار" بعصبية: كفى، من الظلم أن تتحدث عن حكومة الإمبراطورية هكذا، لو علم الجنرال، لأعطاك ما تستحق من عقاب......

كان الشيخ "حسين" يشير بعينه وحاجبه إلى حسن على خان" بأن الموضوع غير مفهوم.

تحير حسن على خان" للحظات ونظر إلى "مشهدى جبار وقال: "شيخ حسين" كنت قد عرفتنى غير هذا! فتبدل حال مشهدى جبار وقال: "شيخ حسين" أخبره! ثم نهض وخرج من الحجرة دون سلام.

بعد عدة دقائق من الصمت، قال الشيخ: لم يكن حسنًا، حقًا أنا لم أكن أعرف هذا الرجل، الآن أخشى أن يذهب ويكتب تقريرًا سيئًا، لابد أن أذهب وأسكته.

لم يقل حسن على خان" شيئًا، فنهض الشيخ وذهب مسرعًا.

* * * * *

كانت "هما " تجلس مع حسن على خان" يتحدثان بشأن ما حدث. دق جرس التليفون، رفع حسن على خان" السماعة، كان يقول: "أين، مَن؟.... تكلم قنصل الروس لا يستطيع القبض على، إذا كان لديه شأن، فليكتب أو يأتى هو بنفسه، فأنا موظف حكومى... هو كما أقول.... لا فرق، جنرال الروس نفسه لا يستطيع أن يستدعينى، لأننى لا أعرف الجنرال الروسى أبدًا رسميًا.... كما قلت..."



حين وضع السماعة على الأرض، كان لونه شاحبًا. فخافت "هما" وسألت: ما شأن الروس بك؟

قال "حسن على خان": لابد أنه بسبب الحديث مع ذلك القفقازى، أنا أظن أن هذه مؤامرة، وفى النهاية لقد خدعوا الشيخ "حسين الساذج.

فاكفهر لون "هما"، قالت: الأفضل أن نذهب إلى "طهران" قبل أن يمر الوقت، فأنا متأكدة أن هناك خطرًا محدق بنا.

ضحك "حسن على خان" وقال: لا يهم، أنا لا أستطيع أن أترك وظيفتى وأتحرك دون إذن، لست جبانًا لهذه الدرجة ولا أحب نفسى أكثر من الشرف. فقالت "هما": من أجلى..... فابتسم "حسن على خان" بحزن، قال: عمك العزيز الجبن وعدم الشرف لا يعرف طريقه إليه، أنا أعرفك. ثم من أين نعلم أن هناك خطرًا قادم، لا أظن أن الروس أغبياء وبلا نظام سياسى حتى يتعرضوا لموظف حكومى. أنا لم أفعل شيئًا، رأيى فى الروس ليس رأيى وحدى، كل الإيرانيين يفكرون على هذا النحو! إذًا فليعدموا كل الإيرانيين.

مضت لحظات صمت، فقال "حسن على خان" حتى يُخرِج "هما" من هذا الاضطراب: عزيزتى هل ما زلتِ تفكرين فى "منوچهر" وتتألمين؟

تأملت "هما" وقالت: ليتنى أستطيع أن أنفذ إلى فكرك وأضعه أمامك.

تأوَّه "حسن على خان" آهة خفيه، وبعد تفكير قال: لو كنت أعلم أنك تسعدين لموتى، لكنت أضحى بروحى فى الحال مائة مرة لكنى أعتقد أنك ستشقين أكثر، لرحيلى. فتجمع الدمع فى عينيه لكنه ابتسم وقال: لو رآنى الجنرال الروسى على هذه الحال، يظن أننى أضطرب منه خوفًا. فأُخرِج منديله وجفف عينيه.

أرادت "هما" أن تتكلم حين جاء "خليل" وقال: جاء ضابط روسى ومعه اثنان من الجنود يطلبون الأستاذ. صرخت "هما" صرخة صغيرة وأغلقت باب الحجرة لا إراديًا

كان "حسن على خان" متحيرًا ماذا يفعل. لم تمض دقيقة أو دقيقتان حتى سُمِع وقع أقدام ثقيلة لبعض أشخاص فى ساحة الدار، بعد لحظة وصل ضابط ووراءه اثنان من الجنود خلف باب الحجرة وكانوا يطرقون الباب بشدة وتفوَّهوا بكلام كان معلومًا، أنه سب وتهديد.

أراد "حسن على خان" أن يفتح الباب، فلم تتركه "هما" وكانت تصرخ قائلة: بأى أمر تدخلون! فازدادت شدة طرق الباب، وازدادت الكلمات خشونة، وكانوا يصيحون

فى النهاية انتزع "حسن على خان" نفسه من قبضة "هما" وفتح الباب. أراد الضابط أن يدخل الحجرة، فلكمه فى صدره لكمة شديدة بحيث لو لم يكن خلفه الجنود لسقط على الأرض. جمع الضابط نفسه وأمسك بملابس "حسن على خان"، أراد الجنود أن يصحبونه، فأمرهم ألا يتحركوا وأن يقفوا فى ركن.

كان الضابط الروسى متوسط القامة، ضخم جداً قوياً، حاول أن يحيط جسد "حسن على خان" بيديه ويُسقِطه على الأرض، لكن قوة حسن على خان" كانت خارقة فاقت تصوره.

خلص "حسن على خان" نفسه وأصاب الضابط بلكمة فى رقبته، فأبعده بضع خطوات إلى الخلف. هذه المرة استجمع الضابط كل قوته، وهاجم "حسن على خان" كالنمر الذى أصابه سهم. واشتبكا وأمسك كل منهما بالآخر.

كانت "هما" تجرى مضطربة فى كل اتجاه، وتتوسل إلى الجنود وتسترحمهم، لم تكن تعرف ماذا تقول وماذا تفعل، تلتمس، تستغيث، فكانت تحدث ضجة.

لم يستغرق ذلك بضع دقائق، والتصق الضابط على الأرض بشدة، ظل فى مكانه، فجأة وجه الجنود السونكي وهجموا على "حسن على خان"، استطاع "حسن على خان" أن يتنحى جانباً من أمام أحدهم، لكن سلاح الآخر أصاب ساعده وسال دمه. فمنعه صراخ "هما" الشديد من أن ينتبه لنفسه، التفت إلى نفسه فرأى سلاح هؤلاء الجنود قد مزق ملابسه، وظهر ساقه! فقفز كالصاعقة ناحية هؤلاء الجنود، تحاشى السونكى وأمسك بالبندقية. فجأة اصطدم الجندى بقوة بأحدالأركان، فألقى بالبندقية. هنا أدرك" حسن على خان" أن "خليل" الخادم قد هجم من الخلف على الجنود وطرحهم أرضاً، فاغتنم الفرصة والتقط البندقية

من على الأرض وهجم على الجندى الآخر. كان "حسن على خان" يجيد لعبة السلاح فى مدرسة "دار الفنون"، فتذكر مهارته وقدرته آنذاك، وخلال نصف دقيقة جرح العسكرى واضطره إلى التسليم. كان الخدم وآخرون قد تجمعوا، منع منظر التجمع، الجنود من المقاومة.

سلم "حسن على خان" البنادق إلى الخدم وذهب بالقرب من الضابط وحاول أن يوقفه على الأرض، أراد الضابط أن يتحرك فارتفع صراخه. فساعده بعض الأشخاص وأوقفوه، اتضح أن قبضة السيف قد غرست فى جانبه فتكسرت ضلوعه، ولا يملك القدرة على الحركة. فحملوه إلى الحجرة وأرقدوه فى سرير "حسن على خان"

عندما جاء الطبيب، أراد أولاً أن يضمد جراح "حسن على خان"، لكنه رفض. فقاموا بمعالجة الضابط، ثم ضمدوا الجراح، التى أصابت يد الجنود، وفى النهاية وضعوا المرهم على جرح" حسن على خان"

أرسل تلغراف بشرح ما حدث إلى "طهران" بناء على أمر "حسن على خان"، ثم أرسلوا منشوراً يضم ما جرى إلى رؤساء الإدارات.

كان أحد الجنود يريد أن يذهب ويبلغ، لكن الضابط لم يسمح له وقال: سنذهب معاً.

كان يقول ضمناً لـ"حسن على خان": أرجو أن تقبل اعتذارى لأننى دخلت منزلكم بوحشية. لكن الذنب ليس ذنبى، لدىَّ أمر، لقد دافعت عن نفسك جيداً، أنا أحب الرجال الشجعان، أتعهد أن أنهى هذا الأمر على خير.

طار الخبر كالنار حين تشتعل بالبارود، من إدارة المالية إلى القنصلية الروسية، ومن هناك وصل إلى منزل قائد الجيوش الروسية. لم تمض ساعة واحدة، حتى دخل ضابط ومعه خمسون جنديًا إلى الحديقة واحتلوا كل الأبواب، حدث غضب شديد، تحدث ضابطان معًا لبضع دقائق، كان واضحًا من حركات الضابط المجروح وطريقة كلامه، أنه يريد أن يبرئ ذمة حسن على خان"، لكن الضابط الثانى، لم يقلل من خشونته وكان يضرب الأرض بقدمه....تحدث أيضًا مع الجنود قليلاً، أشار هؤلاء إلى حسن على خان والخادم و" هما" فأمر هذا الضابط بحركة هؤلاء الثلاثة، حتى تلك اللحظة كان "حسن على خان" صامتًا، عندما أمر الضابط بالتحرك، فنهض من مكانه وصرخ: لن تخرج هذه البنت البريئة من هنا، مادامت لم أُقتل أنا بعد. ما ذنبها! أنتم أيها الأوروبيون المتحضرون تعتقدون أنكم تتعاملون مع المرأة، بأسلوب أفضل منا. كيف نحبس نحن السيدات مثلكم دون ارتكاب جرم، إلا فى خيالكم بهذه السهولة!! هنا إيران وليست روسيا، نحن إيرانيون، بأى حق جئتم إلى ديارنا وتريدون أن تحملوا ابنتنا إلى الحبس؟ ألستم بشرًا، لماذا تتعاملون كالوحوش المفترسة!

كانت "هما" تقول بالتماس: عمى العزيز بالله عليك دعنى آتى معك.......

فتعصب ضابط دخل لتوه، بسبب هذا العنف وصياح حسن على خان"، اقترب وضربه بالسوط بقوة على فمه حتى سال الدم من شفته.

أراد "حسن على خان" أن يدافع عن نفسه، لكن جرح ساعده والضعف الذى أصابه نتيجة نزيف الدم الكثير، منعه من ذلك.

وقف الضابط المجروح بصعوبة، تحدث بكل حدة مع ذلك الضابط الآخر لبضع دقائق. كان واضحًا من لهجته الحادة وحركة يديه، أنه يوبخه. تحدث كثيراً حتى فقد وعيه وسقط.

فى النهاية وافق الضابط الثانى ألا يأخذ هما" حتى يتضح أمرها بعد ذلك. فحملوا حسن على خان" والضابط المجروح.

أخذت "هما" تبكى وتتوسل للضابط. فقال حسن على خان" بصوت ضعيف: حبيبتى هما" لم أتوقع منك أن تظهرى هذا العجز والضعف.

كانت "هما" تقول: إلى أين يحملك هذا الجلاد بهذه الحالة؟ ألا يخجلون، من هذا الوجه الدامى!

عند الخروج من المنزل، وصل الشيخ حسين" بالصدفة، فقال "حسن على خان": إننى أودع الآنسة هما" لديك.

سمع الشيخ حسين" شرح الحادثة بكل تعجب وحيرة، وكان يضرب جبهته بقوة ويتحسر على سوء حظ الأمة والملكة. رفع النظارة عدة مرات ومسح عينيه بطرف العباءة. كلما كانت ذكرى الوجه الدامى لـ"حسن على خان"، تثير هياج هذا الملاك الإنسانى، كان يقول آنسة "هما"، لو لم يكن بقاؤك وحيدة، لكنت أذهب الآن بالسلاح، إلى الروس

أراد "حسن على خان" أن يدافع عن نفسه، لكن جرح ساعده والضعف الذى أصابه نتيجة نزيف الدم الكثير، منعه من ذلك.

وقف الضابط المجروح بصعوبة، تحدث بكل حدة مع ذلك الضابط الآخر لبضع دقائق. كان واضحًا من لهجته الحادة وحركة يديه، أنه يوبخه. تحدث كثيرًا حتى فقد وعيه وسقط.

فى النهاية وافق الضابط الثانى ألا يأخذ "هما" حتى يتضح أمرها بعد ذلك. فحملوا "حسن على خان" والضابط المجروح.

أخذت "هما" تبكى وتتوسل للضابط. فقال "حسن على خان" بصوت ضعيف: حبيبتى "هما" لم أتوقع منك أن تظهرى هذا العجز والضعف.

كانت "هما" تقول: إلى أين يحملك هذا الجلاد بهذه الحالة؟ ألا يخجلون، من هذا الوجه الدامى!

عند الخروج من المنزل، وصل الشيخ "حسين" بالصدفة، فقال "حسن على خان": إننى أودع الآنسة " هما" لديك.

سمع الشيخ "حسين" شرح الحادثة بكل تعجب وحيرة، وكان يضرب جبهته بقوة ويتحسر على سوء حظ الأمة والملكة. رفع النظارة عدة مرات ومسح عينيه بطرف العباءة. كلما كانت ذكرى الوجه الدامى لـ"حسن على خان"، تثير هياج هذا الملاك الإنسانى، كان يقول آنسة "هما"، لو لم يكن بقاؤك وحيدة، لكنت أذهب الآن بالسلاح، إلى الروس

أراد الشيخ أن يتكلم، فسبقت " هما" إلى الكلام وقالت: ذهابى وحيدة إلى منزلك لا يهم، أنت والدى، لكنى لن أتحرك من هنا، أتمنى أن يأتوا ويأخذونى أيضًا، من الظلم أن يحبس عمى العزيز المسكين، وأنا طليقة

غضبت السيدة " طلعت وقالت: معك حق يا شيخ حسين سنأتى أنا و هما" إلى منزلك.

حرك الشيخ رأسه بأسف وقال: كل ما أقول له حكمة، أخشى أن تكون عاقبة عدم سماع الكلام سيئة. أنا أقول أن الآنسة " هما" يجب أن تأتى وحدها إلى منزلى وتظلى أنتِ هنا. لو أرادوا أن يأخذوا " هما" سيأخذونكِ، وبالتأكيد أنتِ مستعدة لهذه التضحية. وبهذا الشكل سأخلصك أنتِ أيضًا كالأستاذ وبسرعة جداً لكن بقاءكِ فى حبس الروس أفضل من حبس بنت شابة.

تأوهت السيدة "طلعت وقالت: على هذا سأبقى أنا وأستودع "هما" عندك.

ابتسمت " هما" بسمة حزينة وقالت: لا تمزقى قلبى أكثر من هذا، هل تعتقد أن الحياة بهذه الشروط، ممتعة بالنسبة لى؟ بعد أن يحبسوا أمى، لقد أسروا " حسن على خان" عزيزى، فما فائدة بقائى حية بعد ذلك. كن مطمئنًا لأننى لن أنفصل عن أمى. لو تكرمت، إذا كنت تحب " حسن على خان" فاجتهد كى تخلصه. هذه هى وظيفتك الإنسانية،

أراد الشيخ أن يتكلم، فسبقت "هما" إلى الكلام وقالت: ذهابي وحيدة إلى منزلك لا يهم، أنت والدي، لكني لن أتحرك من هنا، أتمنى أن يأتوا ويأخذوني أيضًا، من الظلم أن يحبس عمي العزيز المسكين، وأنا طليقة

غضبت السيدة "طلعت" وقالت: معك حق يا شيخ "حسين" سيأتي أنا و "هما" إلى منزلك.

حرك الشيخ رأسه بأسف وقال: كل ما أقوله له حكمة، أخشى أن تكون عاقبة عدم سماع الكلام سيئة. أنا أقول أن الآنسة "هما" يجب أن تأتي وحدها إلى منزلي وتظلي أنت هنا. لو أرادوا أن يأخذوا "هما" سيأخذونك، وبالتأكيد أنت مستعدة لهذه التضحية. وبهذا الشكل سأخلصك أنت أيضًا كالأستاذ وبسرعة جدًا. لكن بقاءك في حبس الروس أفضل من حبس بنت شابة.

تأوهت السيدة "طلعت" وقالت: على هذا سأبقى أنا وأستودع "هما" عندك.

ابتسمت "هما" بسمة حزينة وقالت: لا تمزقي قلبي أكثر من هذا، هل تعتقد أن الحياة بهذه الشروط، ممتعة بالنسبة لي؟ بعد أن يحبسوا أمي، لقد أسروا "حسين علي خان" عزيزي، فما فائدة بقائي حية بعد ذلك. كن مطمئنًا لأنني لن أنفصل عن أمي، لو تكرمت، إذا كنت تحب حسن على خان" فاجتهد كي تخلصه. هذه هي وظيفتك الإنسانية،

فكرت "هما" وقالت: أخبر عمى العزيز" أن حياتى هى من أجلك، لو أصابك ضرر لا قدر الله، اعلم أننى سأموت"

فابتسم الشيخ وقال: علمتُ، سأفهم الأستاذ جسن على خان" ما تريدين بعبارات جذابة، على الأقل تساعده على قضاء هذين اليومين، فى سعادة. ربما أحضر لكِ الرد الليلة، ثم نهض وذهب.

* * * * *

وصل منوچهر إلى منزل الشيخ ودار بينهما نقاش.

قال الشيخ: لم أكن مقصراً، نفذت هذا الأمر، بكل ما لدى من كراهة. يعلم الله كم جُرحت مشاعرى الوطنية تماماً، أنا خجل من نفسى، الآن تكلم لأعرف ما سبب ندمك وتغيير رأيك.

قال "منوچهر حين نقلت خبر أسر حسن على خان" لأمى بكل سعادة وسرور، هذه المرأة العجوز متدينة حقيقة، ليست مثلى أنا وأنت (أخذت الشيخ حسين كحة صغيرة وقال: تكلم) بدأت تبكى، قالت: "ليكن ما يكون، لابد أن أقول الحقيقة، لا أستطيع أن أكون سبباً فى إيلام شخص برىء. أنا التى قلت لـ "هما" أنَ لديك زوجة وأطفال. واتهم هذا المسكين نفسه من أجلى، فكنت أتمنى أن يكون حسن على خان" حراً، وأكون أنا تحت يد الجلاد الروسى. غداً كيف أجيب على الله؟ كيف أنظر إلى وجه حسن على خان يوم القيامة!........

فكرت "هما" وقالت: أخبر عمى العزيز" أن حياتى هي من أجلك، لو أصابك ضرر لا قدر الله، اعلم أننى سأموت"

فابتسم الشيخ وقال: علمتُ، سأفهم الأستاذ "حسن علي خان" ما تريدين بعبارات جذابة، علي الأقل تساعده على قضاء هذين اليومين، فى سعادة. ربما أحضر لك الرد الليلة، ثم نهض وذهب.

* * * * *

وصل " منوچهر " إلى منزل الشيخ ودار بينهما نقاش.

قال الشيخ: لم أكن مقصراً، نفذت هذا الأمر، بكل ما لدىَّ من كراهية. يعلم الله كم جُرحت مشاعرى الوطنية تمامًا، أنا خجل من نفسي، الآن تكلم لأعرف ما سبب ندمك وتغيير رأيك.

قال "منوچهر": حين نقلت خبر أسر "حسن على خان" لأمى بكل سعادة وسرور، هذه المرأة العجوز متدينة حقيقة، ليست مثلى أنا وأنت (أخذت الشيخ حسين كحة صغيرة وقال: تكلم) بدأت تبكى، قالت: "ليكن ما يكون، لابد أن أقول الحقيقة، لا أستطيع أن أكون سببًا فى إيلام شخص برىء. أنا التى قلت لـ "هما" أنَّ لديك زوجة وأطفال. واتهم هذا المسكين نفسه من أجلى، فكنت أتمنى أن يكون "حسن على خان" حراً، وأكون أنا تحت يد الجلاد الروسى. غداً كيف أجيب على الله؟ كيف أنظر إلي وجه حسن على خان"يوم القيامة!........

محبة "هما"، ليس سيئًا، لكن لماذا لا تتحدث صراحة، ألا تعتبرنى وثيق الصلة بالأسرة.

فتأوَّه منوچهر وقال: ماذا أقول لك، كيف أفهمك آلام قلبى. حسن جداً، افرض أن كل ما تقول حقًا، انهض ونفذ ما تريد، لو أنقذت "حسن على خان" خلال يومين، أدفع لك كل ما تريد. ينبغى أن تسرع، انهض واذهب، أنا أيضًا أذهب لمقابلة "هما" وأركع تحت قدميها وأطلب منها المعذرة، لكنى أقسم بالشرف أننى لن ألقى عليك بالذنب مطلقًا. لأنك كنتَ يدى أنا، وأنا الذى ارتكبت هذه الآثام، لن أتحدث عنك أصلاً، ولن أعتبر أن لك يداً فى هذا الموضوع.

فضحك الشيخ حسين" بسخرية ثانية وقال: حسن، أخى، أتظن أن هذا أمر سهل أن أذهب وآخذ "حسن على خان من يده وأخرجه من الحبس! اليوم كان الحديث عن أنه غداً أو بعد غدٍ سيرسلونه إلى سيبريا"

هنا صار وجه منوچهر كالشعلة الصفراء، قال: شيخ حسين" أتوسل إليك، افعل كل ما بوسعك، لو استطعت أن تخلص "حسن على خان" سأدفع لك ألف تومانٍ.

فكر الشيخ وقال: أعطنى الآن ألف تومانٍ وأخلصه لك بعد يومين.

فقال منوچهر بنظرة مليئة بالكراهية: لماذا لم تعد تثق فى كلامى؟ أنت تعرف أننى لا أملك ألف تومانٍ فى جيبى. فقال الشيخ: أنا

محبة "هما"، ليس سيئًا، لكن لماذا لا تتحدث صراحة، ألا تعتبرني وثيق الصلة بالأسرة.

فتأوّه "منوچهر" وقال: ماذا أقول لك، كيف أفهمك آلام قلبي. حسن جدًا، افرض أن كل ما تقول حقًا، انهض ونفذ ما تريد، لو أنقذت "حسن علي خان" خلال يومين، أدفع لك كل ما تريد. ينبغي أن تسرع، انهض واذهب، أنا أيضًا أذهب لمقابلة "هما" وأركع تحت قدميها وأطلب منها المعذرة، لكني أقسم بالشرف أنني لن ألقي عليك بالذنب مطلقًا، لأنك كنت يدي أنا، وأنا الذي ارتكبت هذه الآثام، لن أتحدث عنك أصلاً، ولن أعتبر أن لك يداً في هذا الموضوع.

فضحك الشيخ "حسين" بسخرية ثانية وقال: حسن، أخي، أتظن أن هذا أمر سهل أن أذهب وآخذ "حسن علي خان" من يده وأخرجه من الحبس! اليوم كان الحديث عن أنه غداً أو بعد غدٍ سيرسلونه إلى "سيبريا".

هنا صار وجه "منوچهر" كالشعلة الصفراء، قال: شيخ "حسين" أتوسل إليك، افعل كل ما بوسعك، لو استطعت أن تخلص "حسن علي خان" سأدفع لك ألف تومان.

فكر الشيخ وقال: أعطني الآن ألف تومانٍ وأخلصه لك بعد يومين.

فقال "منوچهر" بنظرة مليئة بالكراهية: لماذا لم تعد تثق في كلامي؟ أنت تعرف أنني لا أملك ألف تومانٍ في جيبي. فقال الشيخ: أنا

نظر الشيخ إلى أعلى وأسفل بحزن وقال: "منوچهر خان" المعروف فعل ذلك لحسابه، فهو أجنبى الأصل، هو الذى لفق وسائل أسر حسن على خان"، هو الذى دبر الخدعة، "مشهدى جبار" وعمر وزيد كلها حجج. لم أعرف بعد ما سبب عداوته لـ حسن على خان" لكن ينبغى للرجل أن يكون إنسانًا عديم الشرف لأغراضه الشخصيه، يفعل هذا الظلم فى ابن وطنه فى أسره الروس، بسرعة وجهت كل مجهودى للقضاء على هذا الشخص.

حملق فى وجه " هما وقال: سيدتى، لماذا شحب لونك؟ لا تحزنى، سأقتل عديم الشرف هذا، وأنتقم منه لـ حسن على خان"

كانت "هما" قد عضبت من شرور البشر. قالت السيدة "طلعت" باضطراب: لا تفعل هذا، لا قدر الله، "منوچهر هو خطيب هما"، أنا متأكدة أنه لم يفعل شيئًا كهذا، مستحيل، أسرع لخلاص الأستاذ ولا شأن لك به.

مسح الشيخ حسين" عدة مرات بيده على ذقنه وشاربه وقال: بدا الأمر معقدًا إلى حد ما، كأنك تريدين هذا وذاك. تكلمى أنت آنسة "هما"، تحبين من أكثر من الآخر، وما واجبى؟

فقالت هما" بصوت مرتعش ولون شاحب: إذا كان لابد لخلاص حسن على خان" فالتضحية بـ"منوچهر" ألف مرة، لكن لا أظن فيه عدم الشرف، هل يستطيع الإنسان أن يكون مجرمًا إلى هذه الدرجة!

نظر الشيخ إلى أعلى وأسفل بحزن وقال: "منوچهر خان" المعروف فعل ذلك لحسابه، فهو أجنبى الأصل، هو الذى لفق وسائل أسر "حسن على خان"، هو الذى دبر الخدعة، "مشهدى جبار" وعمر وزيد كلها حجج. لم أعرف بعد ما سبب عداوته لـ"حسن على خان" لكن ينبغى للرجل أن يكون إنساناً عديم الشرف لأغراضه الشخصيه، يفعل هذا الظلم فى ابن وطنه فيأسره الروس، بسرعة وجهت كل مجهودى للقضاء على هذا الشخص.

حملق فى وجه "هما" وقال: سيدتى، لماذا شحب لونك؟ لا تحزنى، سأقتل عديم الشرف هذا، وأنتقم منه لـ" حسن على خان"

كانت "هما" قد غضبت من شرور البشر. قالت السيدة "طلعت" باضطراب: لا تفعل هذا، لا قدر الله، "منوچهر" هو خطيب "هما"، أنا متأكدة أنه لم يفعل شيئاً كهذا، مستحيل، أسرع لخلاص الأستاذ ولا شأن لك به.

مسح الشيخ "حسين" عدة مرات بيده على ذقنه وشاربه وقال: بدا الأمر معقداً إلى حد ما، كأنك تريدين هذا وذاك. تكلمى أنتِ آنسة "هما"، تحبين من أكثر من الآخر، وما واجبى؟

فقالت " هما" بصوت مرتعش ولون شاحب: إذا كان لابد لخلاص "حسن على خان" فالتضحية بـ"منوچهر" ألف مرة، لكن لا أظن فيه عدم الشرف، هل يستطيع الإنسان أن يكون مجرماً إلى هذه الدرجة!

صحيح إن عدد سكاننا أكثر من مائة وخمسين مليون نسمة، وتعدادكم لا يتجاوز الخمسة عشر مليونًا لكن هذا لا يعد سببًا للهزيمة، فهناك دول كثيرة أصغر من تعدادكم كثيراً من بينها بلچيكا" و هولندا" و سويسرا" و"الدانمارك وغيرهم استطاعوا بقوة الوطنية وقوة العلم أن يحافظوا على استقلالهم. ذات يوم كنتم أفضل منا قوةً وعدداً لكننا منذ بضع مئات من السنين اتجهنا إلى تقليد الحضارة الغربية، فتغيرت الآداب والأساليب، فحلقنا الذقن وخلعنا العباءات الطويلة وتركنا الخرافات جانبًا، قبلنا الأديان الحديثة التى تقترب أكثر من المنطق ووضعنا أقدامنا على طريق العمل وقمنا بتوسيع مملكتنا وتعميرها، ونحن مترصدون دائمًا كل يوم لأسرار الحضارة الغربية، ننهل منها ونعمل بها. إننا نفتخر بأننا نُعتبر فى عداد الدول المتحضرة أما أنتم!......

أنتم لا زلتم مشغولين بالخرافات والأوهام التى يزيد عمرها على خمسة عشر قرنًا، لم تأخذوا بعد بالمزايا المادية والمعنوية للحضارة. ستقولون إن الحضارة كذب، أعرف أنك لا تتصور مثل ذلك، لكنى أسمع هذا الكلام من معظم الشرقيين، يقولون لو أن الحضارة حق، فلماذا كل هذا الفساد والحرب؟ خطأ كبير، فالحضارة حق، الحضارة تقلل كثيراً من خشونة وشقاء البشر لكن لا يزال الإنسان لم يصل إلى درجة الملاك، كل ما نتوقعه من الحضارة ربما نجده عند ملائكة السماء ومع هذا فأنا متفائل ومتأكد أن العلم سيصل إلى درجة أن ينعدم الألم والأذى لأن مفتاح السعادة، هو المعرفة، كلما تعلمنا أكثر، نحصل على سعادة أفضل، ونقلل من المصاعب.

صحيح إن عدد سكاننا أكثر من مائة وخمسين مليون نسمة، وتعدادكم لا يتجاوز الخمسة عشر مليوناً لكن هذا لا يعد سبباً للهزيمة، فهناك دول كثيرة أصغر من تعدادكم كثيراً من بينها "بلچيكا" و"هولندا" و"سويسرا" و"الدانمارك" وغيرهم استطاعوا بقوة الوطنية وقوة العلم أن يحافظوا على استقلالهم. ذات يوم كنتم أفضل منا قوةً وعدداً لكننا منذ بضع مئات من السنين اتجهنا إلى تقليد الحضارة الغربية، فتغيرت الآداب والأساليب، فحلقنا الذقن وخلعنا العباءات الطويلة وتركنا الخرافات جانبًا، قبلنا الأديان الحديثة التى تقترب أكثر من المنطق ووضعنا أقدامنا على طريق العمل وقمنا بتوسيع مملكتنا وتعميرها، ونحن مترصدون دائمًا كل يوم لأسرار الحضارة الغربية، ننهل منها ونعمل بها. إننا نفتخر بأننا نُعتبر فى عداد الدول المتحضرة أما أنتم!......

أنتم لا زلتم مشغولين بالخرافات والأوهام التى يزيد عمرها على خمسة عشر قرنًا، لم تأخذوا بعد بالمزايا المادية والمعنوية للحضارة. ستقولون إن الحضارة كذب، أعرف أنك لا تتصور مثل ذلك، لكنى أسمع هذا الكلام من معظم الشرقيين، يقولون لو أن الحضارة حق، فلماذا كل هذا الفساد والحرب؟ خطأ كبير، فالحضارة حق، الحضارة تقلل كثيراً من خشونة وشقاء البشر لكن لا يزال الإنسان لم يصل إلى درجة الملاك، كل ما نتوقعه من الحضارة ربما نجده عند ملائكة السماء ومع هذا فأنا متفائل ومتأكد أن العلم سيصل إلى درجة أن ينعدم الألم والأذى لأن مفتاح السعادة، هو المعرفة، كلما تعلمنا أكثر، نحصل على سعادة أفضل، ونقلل من المصاعب.

مدنكم خربة مليئة بالقمامة لا أكثر، لا يزال الماء والخبز الذى تتناولونه، ملوث وقذر. المتعلمون فى مملكتكم أقلية محدودو العدد ما يصل إلى درجة عالم ومخترع ربما ليس لديكم منهم شخص واحد، لكنكم أخذتم وسيلة الدفاع ضد الأعداء علّى هذا المعنى لهذا فإنكم دائماً فى نزاع ضد بعضكم، كل طبقة تسعى للقضاء على بقية الطبقات، وسائل المعيشة وحياة أفرادكم ضعيفة. تسرقون الخرقة البالية بالقوة من بعضكم البعض، وكل يوم يزداد الفقروالفاقة بينكم. الطبقات الدنيا فى أوروبا يعيشون أنظف وأفضل من طبقاتكم العالية. يمكن القول بأن هذه المملكة كلها هى منزل تسول كبير.

فقال حسن على خان": فى رأيك ماذا ينبغى أن نفعل لإصلاح هذه المملكة؟

تأمل "پاپف" وقال: الآن مضى الوقت وتعمير المملكة بأيديكم أنتم أمر مستحيل، "إنجلترا" التى كانت راعية إيران صورياً، من أجل مصلحتها، لابد أنها ستسمح بتقسيم إيران"، نتيجة للحوادث الأخيرة في أوروبا ويتحقق أمل "روسيا" البعيد معاهدة ١٩٠٧ وضعت ملكية "إيران" تحت تصرف "روسيا" ما عدا جزء على حدود الهند ولم يعد هناك ما يمنع ذلك. وستصل جيوش روسيا" سريعًا إلى خليج فارس أو المياه الدافئة، لأنهم استولوا على المنطقة المحايدة التى تفصل بين روسيا والبحر. نتيجة للحرب العالمية التى أفادتنا كثيراً، ستنتهى المنطقة المحايدة. وعلى هذا سترى أن إيران، فى خلال عشرة أعوام ستعمر وتمتلئ بالناس والثروة.

فتأوَّه "حسن على خان" ثم قال وكأنه يقول لنفسه: نعم ستعمر إيران وستمتلئ بالسكان والثروة لكن على يد الروس.......

قال "پاپف": احكم بالعدل ودَع المشاعر جانبًا. أليس من الأفضل أن يكون الحاكم شخصًا روسيًا عالمًا ومتحضرًا سببًا فى تعمير المملكة وراحة الأهالى، عن أن يكون الحاكم إيرانى متغطرس ومغرور وأنانى يجمع لنفسه الأموال الطائلة والنفوذ، عن طريق خراب المملكة وشقاء وفناء أهلها، وينظر إلى بؤس أبناء وطنه بعيون لا تعرف الحياء أو الرحمة؟ قارن بين " باد كوبه" فى الماضى حين كانت جزءًا من "إيران" بالمقايسة مع "أصفهان" أو "طهران" العاصمة، وعلى حسب القول المعروف لعظمائكم بأنهم خربوا جميع أقطار المملكة، ونتيجة لظلمهم انصرفوا عن تعميرها. انظر إلى وسائل الحياة والراحة لدينا للإنسان والحيوان، فى أى منهم تجد ذلك مهيئًا أفضل، وشعب أى منهم أغنى وأسعد؟ و"باد كوبه" هذه هى أصغر وأقل مدينة فى مملكتنا، لكنها أفضل وأجمل ألف مرة من عاصمتكم. الجدران طينية، والأرض ترابية، الطرق معبَّدة بالطمى الأسود منذ أيام الغابات، الماء قذر نتيجة مرور الجنود من الأنهار ثم يشربونه. هذا أمر يبعث على خجل وحسرة إنسان القرن العشرين، الرعية مظلومة وهم مُعدَمون بسبب الحكومة التى كانت على الأقل يجب أن تعمل من أجل عظمتها ورفعتها لرعاية صحة وسلامة وأمن وراحة شعبها، حتى يزداد تعداد أهلها وثروتهم، ويكون هذا هو أساس عظمتها وقوتها، بالنسبة للشعب ما الفرق بين أن يكون الحاكم روسى أم إيرانى......."

كان "حسن على خان" كالمذنب الذى يسمع تفاصيل صحيفة أعماله فى ألم من الآخرين ، كان أسير عذاب روحه، كل ثانية تبدو ساعة، يتمنى أن يفر، كان يدير رأسه، حتى قال "پايف" لا فرق عند الشعب أن يكون الحاكم روسيًا أو إيرانيًا، خرج عن حالة الضعف والعجز هذه، جلس معتدلاً وقال: عفوًا، لقد صمتُّ فى كل ما أوضحتَ لأنك ترى الظاهر، وأعطيتك الحق، ولك العذر فى ذلك، بالطبع ليس لديك معلومات، فتعرف إلى أى درجة كان جارنا القوى سببًا فى تعثر الرقى وباعثًا على دمارنا، لكن أن تتصور أنه لا فرق لدى الشعب أن يكون الحاكم إيرانيًا أو روسيًا، لقد أخطأت خطئًا كبيرًا . كأنك تقول لطفل أن تقبل بدلاً من أمك امرأة أخرى أجمل وأكثر حنانًا؟ فهل يقبل الطفل؟ أو كصاحب المنزل حين تقول له لو تريد نشيد لك قصرًا شامخًا، بدلاً من منزلك الخرب لكنك فى ذلك القصر ستكون خادمًا ذليلاً. هل تتصور أن يقبل شخص هذا الاقتراح؟ فالإنسان يحركه شعوره وليس العقل والمنطق. (ثم نقرأ بالعقل والمنطق، كل ما هو وليد شعورنا) الشعور هو الذى يحرككم لامتلاك مملكة بسعة الدنيا، ويدفعكم للتعدى على سائر الممالك، أتريدون إذا أمكن، أن تطلقوا على إيران " الهند وبالمرة أيضًا " إنجلترا وألمانيا وأمريكا" وكل الخمسة قارات فى العالم اسم روسيا! لماذا؟ على فرض أن هذا الأمل تحقق، ماذا سيزيد ذلك على سعادة الشعب الروسى؟ هل أهالى إنجلترا الذين يعدون ربع سكان الأرض وتحت سيادتهم، هم أسعد من أفراد مملكة سويسرا الصغيرة؟ أليست مساحة

روسيا، ووسائل المعيشة بها تكفى لسد حاجة الأهالى؟ لو تعملون ألف سنة بدأب فى تعمير تلك المملكة، ما لم تفعلان بعد، ستمتلكون الكثير. ماذا تريدون من مملكتنا الخربة ومن شعبنا التعس؟ نحن أيضًا نقول الباطل، ونظلم ونتعدى، بسبب الجهل أما بخصوص أننا نضر ونؤذى بعضنا البعض، نعيش فى الفقر والقذارة، لكن لا نريد منكم أن تتألموا وتأتوا لمساعدتنا، ساعدوا أنتم أنفسكم، ما شأنكم بنا! ليس الباعث لمساعدتكم لنا هو محبة نهضتنا، بل هو الطمع وجنون السيادة أى أنه الشعور وليس العقل والمنطق. حين نتأكد أن محرك جميع أنواع البشر هو العاطفة، لابد أن يقبل أن يترك نصيب من هذا الشعور لخدمة البشر، هو حب الوطن والمجتمع. الإنسان بطبيعته يحب الناس وأقاربه وأصدقاءه أكثر من الأجانب، وهذا الشعور الطبيعى يتسع ليضم إليه ويتخذ صورة صداقة الشعب والوطنيين. فإذا تحرر شخص من هذا القيد فإن هذا يكون على سبيل الاستثناء، يكون هو الذى وأد هذا الشعور الطبيعى بداخله، ووجوده مضر وخطر على المجتمع، ولا يمكن أن نتوقع منه المحبة، ولا يمكن الاعتماد على صحة أفعاله، لأنه لا يتقيد بالشعور ويضحى بكل الناس من أجل متعته هو، إنسان كهذا يكون منبوذًا من الجميع، لأنه قصير النظر حتى فى معرفة مصلحته، ويسير فى طريق الخطأ، لا مناص أن يكون سيئ الحظ. المجتمع يمدح ويربى الشخص الذى يمتهن الصداقة والمحبة، حقًا هؤلاء الذين يريدون التمرد على أحكام الطبيعة، هم أشخاص عقلاء لأنهم يحملون أنفسهم مشقة

البحث بقصد اكتشاف طريق السعادة، فهم يخرجون عن حدود الطبيعة لكنهم سيضطربون فى وادى الحيرة حتى يكونوا على قدر كافٍ من نعمة العقل وقوة التفكير، وفى النهاية يدركون أن السعادة فى هذه الدنيا، على قدر اتباعهم لأوامر الطبيعة، عندها يرضخون مرة أخرى و يسلكون الطريق الطبيعى، للإخاء، الوطنية.

أسوأ أفراد المجتمع حظًا وأكثرهم ضرراً، هم الذين لم يصلوا بعد إلى هذه الحقيقة.

عفواً خرجتُ عن الموضوع، كنت أقول يحكمنا الشعور القومى ألا نقبل السلطة الأجنبية، وإن كانت مفيدة، ونسعى بكل قوة فى صد ذلك. الظلم الذى يتحمله الابن من أبيه، لا يمكن أن يتحمله من شخص آخر. الإنسان، يتنازل برغبته عن الحرية التى هى أساس الحياة البشرية، ويخضع برغبته لإرادة أخرى بشرط أن يكون الأمر من صديق. حكم الأجنبى الغريب، يؤلم الروح ويزعزع شعور الأمن الذى هو أساس حياتنا. النفوذ الأجنبى يجعلنا عبيداً وأسرى فى وطننا، ويحرمنا متعة الحياة، فى ظل الحرية. على هذا سنعدّكم دائمًا أعداءً وإن كانت حكومتكم مفيدة لنا، من الناحية المادية. فأنتم لا تطلبون رفاهية وراحة الشعب الإيرانى، وإلا من الممكن أن تقدموا لنا كل أنواع المساعدات، دون ظلم أو هزيمة وتخلصوننا من هذه الأوضاع الوخيمة، التى كنتم أنتم أنفسكم السبب فى معظمها.

ابتسم "پاپف"، فقال حسن على خان": عفواً، لا ينبغى العبث، فلا يمكن أن نتوقع الخدمة بلا أجر والإحسان من البشر وأنتم بشر.

كانت عين "پاپف" قد تسمرت على طرف سوطه، مضت بضع دقائق من الصمت، ثم رفع رأسه ببطء وقال: أنا أوافق على كلامك لكنى أتمنى أن تصدق أنه، إذا كان المحرك للحكومات والأفراد هو الحرص والطمع، فالبعض يحبون الخير من أجل الخير ذاته، وأنا من هؤلاء. أتمنى أن يصل شاب عالم ذو مروءة، إلى حكم إيران. إيران تحتاج شخصاً واحداً لا أكثر لتعميرها. يستطيع خلال عشر سنوات أن يؤسس كل أسس الحضارة فى هذه المملكة دون كلام وعوائق. سيظهر بعض أصحاب المنفعة وأصحاب النية السيئة، غير ذلك فلا يكون ذلك مانعاً أو معرقلاً فى طريق التقدم. اليوم مضى بنا الوقت، غداً سنتحدث بشىء من التفصيل عن هذا الأمر وكيف سيكون ممكناً أن تتحقق أسس الحضارة فى إيران، ذات يوم بكل سهولة، لكن فيما يتعلق بك أنت، فإنك ستحرر خلال يومين، سبب التأخير أن الجنرال يريد أن يقابلك وإلى الآن لم يفعل. وعدنى أمس بأنه سيقوم بهذا خلال ثلاثة أيام، وسوف يصدر أمراً بالإفراج عنك.

فقال حسن على خان": أنا أشكرك جداً، ربما لو لم تكن موجوداً، لكانوا صعبوا الأمرعلىَّ.

* * * * *

كان الشيخ حسين" أسير التردد الشديد ولا يعرف ماذا يفعل. فى البداية، سيطر الحرص والطمع على كل إحساس فى حياته، ذهب يبادر بمحاولة للإفراج عن "حسن على خان" حتى يحصل على الألف تومان، لكن الشهوة تملكته ومنعته عن هذا الطريق، لم يستطع أن يدع " هما" بأى ثمن، كان يقول فى نفسه: إذا تحرر حسن على خان"، فإن هما" ستضيع من يدى تماماً، ولو لم أخلصه كيف أحصل على الألف تومان؟ من ناحية أخرى فإن" منوچهرخان" منافسٌ كبيرٌ أيضًا! لا شك أننى قد دبرت للقضاء على "حسن على خان" بحيث أنه لا أمل فى خلاصه هكذا وعد كاتب القنصلية، حتماً سيرسلونه إلى "سيبيريا"، لكن ماذا ينبغى أن نفعل مع "منوچهر خان"؟ فهو سيبقى فى كل الأحوال!......

مضى يومان ثلاثة والشيخ حسين" يعانى من التردد والفكر المشتت والمتناقض، وكانت آثار الاضطراب والقلق، يبدو من تقطيب جبينه.

فى الصباح الباكر، من اليوم الرابع ذهب بوجه طلق وباسم الثغر وبكل سرعة إلى القنصلية الروسية، كان يقول لنفسه: وجدتُ أخيراً طريقة للحل، اليوم أو غداً تكون البنت لى، آه كم هى جميلة. أحتضنها وأضحك على المنافسين!.... أحسنت يا شيخ "حسين" كم أنت ذكى! أولاً أصنع لـ"منوچهر بئراً وهذا الأستاذ حسن على خان" هم أنفسهم سيمتعونه، وأحصل أنا على ألف تومان هدية أيضًا، كم سأسعد؛ حين يشاء الله يقول للشيء كن فيكون، هكذا يفعل! يجب أن يعانى الآخرون الصدمات والآلام ويعدون اللقمة ويضعونها فى فم من يستحق. الحمد

لله، أنه لم ينس هذا العبد الأسود، وعلى حد قول حسن على خان" مرسى الحمد لله أن رحل المنافسون لكن كيف سأوقع هذه البنت فى الشبكة؟ أمر صعب، ليس من السهل أن آمرها، اجلسى، نامى. أى إله ينقذ بنت بهذا الجمال كالبطل اليزدى! لكن لا تخاف يا شيخ حسين"، أنت قمت بعمل بهذه الصعوبة، الباقى لا يهم، بمعنى هل تقف عاجزاً أمام امرأة ضعيفة؟ الموت أفضل.

وصل الشيخ إلى القنصلية بهذه الظنون والأوهام، سلم رسالة تقول عندى حالة وفاة. فاستقبله القنصل فوراً.

خفض الشيخ صوته وقال: منذ عدة أيام جاء إلى "قزوين" شخص يدعى منوچهر خان" من نفس منظمة الثورة التى أبلغت عنها وتعرفونها، يسعى فى كل مكان لخلاص حسن على خان"، قصده أن يثير الناس. واضح أنه شخص ثرثار خطر، يذهب كل يوم إلى العلماء والتجار وأهالى المدينة ويخطب ويتحدث بكلام ضد الجيوش. الآن انظر ماذا فعلتُ وقل لى أحسنت: كنت قد تعرفت عليه وأعربتُ عن أسفى ووصلت إلى نقطة ضعفه. فتصور أننى فعلتُ ما يريد. فى النهاية قررنا أن أستعد أنا للثورة بين طلاب المدارس، عندما يتحرك الطلاب، فلابد أن التجار وسكان المدينة سيتبعونهم. أعطانى ألف تومان نفقة لهذا الغرض، وهذا هو السند. يعنى بموجب هذا السند، يجب أن تكون النقود قد وصلت يوم الخامس عشر، أى بعد غدٍ حتى نبدأ. بالتأكيد أن اللجنة المركزية فى "طهران" هى التى ستدفع هذه النقود.........

فقال القنصل: حسن جداً، أين عنوان هذا الشخص؟ لأرسل له ويقبضون عليه.....

ابتسم الشيخ وقال: صحيح، لكنى سأخسر مبلغ الألف تومان، دعونى أثير طلاب المدارس، فما أهمية ذلك، فهم سيفرون برصاصة واحدة، فأنتم بالطبع لا ترضون بضررى.

فقطب القنصل جبهته وقال: لا، الثورة ليست ضرورية، أعطنى هذا السند، وسأدفع لك أنا قيمته.

فلمعت عين الشيخ من السعادة، كانت يده ترتعد، سلم السند وحصل على ألف تومان ورقية، وأعطى العنوان الخاص بـ منوچهر وأوصى أيضًا بألا يتأخروا فيهرب خاصة أنكم لا تراقبونه فى "قزوين"، من الأفضل أن يُرسل إلى جميع الجهات فى باد كوبه" تأكد أيضًا أنه يخلص حسن على خان" لا قدر الله بهذه السرعة، لأن حالة المدينة مضطربة، لن يرتاح إلا إذا حرره، أنا أعرفه، له رأس لا تخاف، فضلاً عن هذه الحرية فسوف يتجرأ أكثر.

فقال القنصل: اطمئن، سيحملان معًا بعد يومين إلى "سيبيريا"، فلن ننتظر الاستجواب ثانية.

فضحك الشيخ وقال: لا أعرف ما أهمية التحقيق مع هذا الجرم البيِّن.

مساء ذلك اليوم، كان "منوچهر خان" فى السجن.

* * * * *

قال "حسن على خان": سيدى الشيخ كم هو طيب أنك جئتَ اليوم. مضى خمسة وعشرون يوماً وأنا فى الحبس ولا أعرف شيئًا عن أسرتى، كان قلبى حزيناً من أجلك، تكلم كيف استطعت أن تأتى إلى هنا؟

فتأوّه الشيخ وقال: لو كانوا أرسلوك إلى "سيبيريا" لا قدر الله، لكنت جئت لك رغم ما لدى من قدرة ضعيفة. لا أريد أن أشرح لك المتاعب والأخطار التى تعرضتُ لها هذه الأيام. حتى لا يكون رياء، تستطيع أن تخمن بنفسك.....

فقال "حسن على خان" بالطبع أعرف وأشكرك، متأكد أنك تعانى من أجل خلاصى لكن ماذا تفعل. على كل حال، أنا شاكر جداً، أخبرنى كيف حال ابنتى العزيزة. لم ترفع المنديل خلال هذه الأيام من فوق عينيها.

قال الشيخ: مضى أول يومين بصعوبة شديدة ومهما كنت أواسيها، لم يؤثر حتى جاء بحمد الله شاب يدعى "منوچهر خان"، واتضح أنه خطيب الآنسة "هما"، لم أكن أعرف، ربما كانت "هما" تحبه جداً، لأنها منذ أن جاء "منوچهر" صار حالها أفضل، يتحدثان معًا ويضحكان. ثم خفض من صوته وقال: لكن للأسف فبناء على المعلومات الصحيحة التى حصلتُ عليها، فإن هذا الشخص هو السبب فى معاناتك. بالتأكيد إن هذا الموضوع هام لكن ماذا ينبغى أن يفعل، الشباب والشهوة، تُعمى عين العقل والعدل، الآن لماذا أقدم على هذه

الخيانة، لم أعرف بعد ولا أريد أن أعرف، ربما أنت تعرف أفضل منى ما سبب ذلك. اطلعت الآنسة "هما" على شرح القضية لكن البنت شابة، ولم تستطع أن تحاكم خطيبها الوسيم الشاب، بالتأكيد هى حزينة ومهمومة لكن الشباب.... العشق...... والمحبة ماذا يمكن أن تفعل، ينبغى الصفح، انتهى......

اضطرب داخل "حسن على خان" وتألمت روحه، فمرَّ بباله إن " كان الذنب ذنبى، لم أتصرف بالشكل الذى يجب ويوجبه العشق، إلى هذا الحد أظهرتُ الأنانية حتى أن "هما" لم تستطع أن تعلن لى عن رغبة قلبها. لم تتجرأ أن تقول لى أنا أحب "منوچهر"، اذهب وهيئ لى أسباب السعادة والأمل.

العاشق الحقيقى هو الذى لا يخفى شيئًا عن معشوقه ويساعده ويعرف طريقة تحقيق أمانيه. فالعاشق يجب أن يكون منزهًا عن كل رغبة ولا يحتاج إلى رجاء وأن يجد متعته الوحيدة فى خدمة المعشوق. حقًا هذا هو العشق الحقيقى أى الحالة الوحيدة التى يستريح فيها من التعب والألم وكله سرور وسعادة. عزيزتى "هما" سامحينى، كنت قد أصبتك بالألم، بسبب الجهل أو الأنانية، وقد أخفيتِ أمنيتك فى قلبك الرقيق ولم ترِ محبة أو رحمة، وا حسرتاه علىَّ.

صمت فترة وكان مشغولاً بهذا التفكير، فقال الشيخ: عفوًا، اسمح لى، لأننى ليس لدىَّ تصريح بالبقاء معك أكثر من نصف ساعة. ثم قرب

رأسه وخفض صوته قائلاً: من المعلومات التى لدىَّ، عرفت أنهم يفكرون فى إلقاء القبض على الآنسة هما للاستجواب، بالطبع هذا ليس مهمًا لكن لا يُفضَّل أن تذهب السيدة " هما" إلى السجن، فإذا أمرتَ أحملها هى والسيدة طلعت إلى منزلى، فأنا مستعد لأن أضحى بكل شىء من أجلك حتى لو تعرضت روحى للخطر.

قال حسن على خان": بالتأكيد عليك بتنفيذ هذا الأمر، أى أن كل ما تراه صالحًا لك مطلق الحرية فيه. تمهل الشيخ وقال: من الأفضل أن تكتب لهما كلمتين تسمح لهما بذلك، تفضل هذا قلم وهذه ورقة.

فكتب" حسن على خان": ابنتى العزيزة..السيد الشيخ حسين" هو خليفتى ووالدك، فاسمعى كل ما يقول، إذا كان خيراً، اذهبا إلى منزله حتى تحفظا من الخطر، أتمنى أن تعرفى أن أمنيتى كانت دائمًا سعادتك، وكل ما سيكون، هو نفس أمنيتى

كم يكون جميلاً لو رأيت وجهك القمرى مرة أخرى وبعدها لو قتلونى سوف تحلق روحى دائمًا حولك.

حسن على خان.

أمسك الشيخ حسين" الورقة وبكل سرور، خرج من السجن وترك حسن على خان فى أسوأ حالاته.

* * * * *

من وزارة الخارجية الإيرانية إلى السفارة الروسية فى "طهران" كُتِبَ؛

جناب...... الوزير المفوض للدولة البهية إمبراطور كل الممالك الروسية

فى ضوء ما وصل من "قزوين" بالتلغراف، فإن السيد "حسن على خان" أمين ضرائب تلك المدينة، قد تم اعتقاله على يد جنود الروس. بالتأكيد فإن هذا الإجراء قد تم نتيجة خطأ، ومن المؤكد أنه حتى وصول هذه الرسالة، إلى الصديق المعظم برجاء إطلاق سراح المشار إليه، وترضية خاطره. لكن لزم التنويه وتذكير سيادتكم بأن هذا النوع من الإجراءات لم يكن متوقعًا مطلقًا، خاصة من رجال دولة صديقة، عزيزة لأن ذلك سيكون سببًا فى اضطراب خاطر الأهالى، ولن يترك أثرًا طيبًا تجاه الدولة أيضًا. أخيرًا انتهز الفرصة لأعبر لكم مجددًا عن مشاعر المودة

وزير الشئون الخارجية.

تعقيبًا على هذه الرسالة، أرسلت خمس مذكرات تطالب بالرد، وفى النهاية وصل هذا الخطاب من طرف السفارة الروسية إلى وزارة الخارجية، بعد عشرين يومًا.

جناب...... وزير الشئون الخارجية لدولة إيران العلية:

وصلت الرسالة رقم.... المؤرخة..... بشأن اعتقال أمين مالية "قزوين"، وكان باعثًا على الحيرة إذ كيف لم تؤدِ الدولة العلية واجبها بالدقة فى

اختيـار موظفيهـا، وكيـف قامــت باختيـار أشخاص أشـرار ثوريين، بما يؤدى إلى سـوء العـلاقـة بين الدولـتـين، خـاصـة فـى أمـاكن حـراسـة الحدود ومـوظفى حكومـة الإمـبراطـورية. لهذا فـإن حبس هذا الشـخص أحد الوسـائل والشـروط الواجبة لضـمـان اسـتمـرار المودة بين الدولـتين، وللعلم فـإن حكومـة إيران ينبـغى أن تكون سـعـيـدة لأن جنود الدولة الإمبراطورية قامت على الفور دون مضيعة للوقت بهذا العمل الضرورى، بذلك منعوه من اختلاق المشكلات التى تقضى على الدولة الإيرانية تماماً.

سفارة الدولة البهية إمبراطورية كل الممالك الروسية.

بعد عدة أيام، وصلت مذكرة أخرى من السفارة الروسية إلى وزارة الخارجية تتضمن ما يلى:

جناب..... وزير الشئون الخارجية لدولة إيران العلية.

منعًا لإيجاد المشاكل وحفظًا لدرجة الود بين الدولتين، أخيراً تم القبض على المدعو "منوچهر خان" على يد عـمـال حكومـة الإمـبـراطـورية، والذى كـان مشـغـولاً بالإعداد للثورة. قـام المذكور عـاليه بدفـع مبلغ ألف تومـان بموجب سند موجود، إلى أحد موظفى سفارة الدولة الإمبراطورية. كانت التعليمات قد صدرت إلى البنك الروسى، بدفع المبلغ المذكور إلى الدائن والذى أضـاف هذا المبلغ إلى ديون دولة إيران للدولة الروسيـة. وحكومـة إيران حرة فى أن تحصل هذا المبلغ من الشخص المدين بأى وجه.

الوزير المفوض للدولة البهية إمبراطورية كل الممالك الروسية.

دخل كـابتن "پاپف" السـجن بوجـه طلق، وحـيـوية وثغـر تملؤه الابتسامة وقال لـ حسن على خان": لقد أحضرت لك البشارة بالإفراج لكنه بمجرد أن رأى وجهه فى النور، تبدَّل حاله من السرور إلى الحزن والأسف، رأى أنه لم يبق من رفيقه إلا نصف جسد ميت، انطفأت عيناه وسقطت فى هوة عميقة، برزت عظام وجهه للخارج وأصبح لونه كشعلة صفراء! فقال "پاپف": لقد رأيتك صباح أمس، ماذا أصابك حتى تصبح فى ليلة واحدة على هذه الحال؟ هل أحضروا لك الطبيب؟

فابتِسم حسن على خان" وقال: أشكرك على هذه المحبة، ليس لدىَّ تعبًا جسمانيًا لكنى مكتئب نفسيًا.

فـقـال "پاپف": سـاعـة أخـرى بعـدها سـوف يزول عنك هـذا الألم، انهض لنذهب إلى الجنرال، فهو يريد أن يقابلك قبل الإفراج.

فلم ينهض حسن على خان" من مكانه، فاقترب "پاپف" وأراد أن يرفعه من تحت إبطه، فامتنع حسن على خان" وقال: سـأنـهض أنا بنفسى، وكان يقول فى نفسه: هذا رجل طيب، يظن أنه أدى إلىَّ خدمة، وهيأ لى أسباب الإفراج، لا يعـرف أن أمنيـتى هى أن أمـوت فى هذا السجن وألا أرى الدنيا ثانيةً.

فى النهـاية نهض من مكانه وذهب برفـقـة "پاپف" للقـاء جنرال الروس فجلس دون إذن.

قـال الجنرال بالفـرنسـيـة وبأسلوب خـشن: واضح أن قـوتك قـد ضعفت، لهذا جلست دون إذن ، أنا أعذرك.

فتلونت وجنات "حسن على خان" الصفراء، أراد أن يتحدث، فمنعه "بايف" بنظرة كلها رجاء.

سأل الجنرال: ما سبب هذه الأعمال التى دبرتها ضد حكومة الإمبراطورية؟

فقال "حسن على خان": أنا أتعجب لأننى لم أدبر أى عمل ضد حكومتكم، وتتعقبنى إدارة استخباراتكم فى كل مكان.

فقال الجنرال: أعرف أن لديكم رأى بشأن قضية قتل "صنيع الدولة" ظلماً واستبداداً بواسطة حكومة الإمبراطورية. فقال "حسن على خان": نعم هذا صحيح، والآن أيضًا لدىَّ نفس الرأى، بأن سبب قتل هذا الرجل الوطنى العظيم، هم هؤلاء الظلمة.

كان "بايف" يتحرك فى مكانه باضطراب ويشير ناحية "حسن على خان" لكنه لم يلتفت إليه.

نظر الجنرال بكل غضب وقال: أنا أسامحك، لأنك مريض، فهل تعدنى بألا تفعل أى شىء من الآن فصاعداً، فى أى مكان ولأى سبب ضد مصالح الدولة الإمبراطورية؟

ابتسم "حسن على خان" وقال: أعدك أنه فى أى وقت تتعارض مصالح الإمبراطورية مع مصالح مملكتى، فأنا سأقوم بأى عمل ضد الدولة الإمبراطورية.

قال الجنرال: على هذا فسوف تبقى فى السجن.

لم ينصت حسن على خان" لإشارات الرجاء والالتماس لـ پاپف" وقال: ليس لدىَّ كلام، فاحتفظوا بى فى السجن للأبد، معكم القوة والحق معى، سيبقى لكم عار هذه الفضيحة. تحرك الجنرال على الكرسى وقال: اخرس!

تغير حسن على خان" وقال: هل تتصور أنى جندى روسى حتى تتحكموا فيه هكذا! أنا أيضًا مسئول حكومة، فلماذا لا تراعون مشاعرى؟

فتعصب الجنرال وقال: سأرسل دولتك المتسولة بكل ضباطها، إلى الجحيم.

فقفز حسن على خان" كالسوستة ثم صرخ وكأنه سبع وهو ما لا تتصوره فى شخصيته: اسكت، أيها الوقح! فاحمر وجه الجنرال الروسى كالنار، ونهض، وصوب فوهة سلاح كان على المنضدة، ناحية "حسن على خان"، وكان يصيح ويصرخ ويسب دولة إيران وشعبها بما لا يليق........

قبل أن يستطيع " پاپف" أن يتدخل، أوصل "حسن على خان" نفسه إلى المنضدة والتقط محبرة كبيرة مليئة بالحبر ودق بها على رأس الجنرال. فسال الحبر من رأس وذقن الضابط إلى ملابسه، وأمسك

بقبضة السيف، لكنه رفع يده فوراً وتمهل وبكل هدوء قال: ظهر يوم الجمعة الذى هو عندكم يوم مقدس، ستعلق فى المشنقة، لديك ثلاثة أيام تفكر وتحصل على نتيجة عدم الأدب وجسارتك وقال لـ "پاپف": احمله إلى السجن، هذا مَن كنت تتوسط له بذلك الحماس!

فابتسم "حسن على خان" بسخرية وسار خلف پاپف"

* * * * *

ذهب الشيخ بوجه مقبوض إلى منزل حسن على خان"، وكلما سألوا عن السبب، لا يجيب وبعد إصرار شديد قال: ماذا أقول، فأنتم لا تسمعون كلامى،الأمر خطير جداً، ربما لا يطلق سراحه بهذه السرعة، الآن هذا ليس مهم، لكن......

فقالت هما" متحيرة: لا يهم، أستحلفك بالله أن تقول لى بالتفصيل، أنا سأذهب الآن للقاء الجنرال الروسى. إما يأخذنى أنا أيضاً ويقتلنى أو يطلق سراح عمى البرىء.... يا ربى أين أنت؟

فقال الشيخ: لا تتعجلى، سأفعل كل شىء، أنا بنفسى سأخلصه، يومان أكثر أو أقل لا يهم، سرعان ما دار الحديث عنك: هذه هى الرسالة التى كتبها "حسن على خان" لكِ اليوم فقد استطعت أن ألتقى به فى السجن، بعد إجراءات كثيرة.

فقفزت "هما" مكانها وأمسكت الورقة بيديها وأخذت تقرأ. فقالت أمها: اقرئى بصوت مرتفع، اقرئى لأرى ماذا كتب. كانت قطرات دموع "هما" تتساقط على الورقة وهى صامتة، كانت تفكر فى أن الشيخ لابد أنه قال إن "منوچهر هو سبب هذا البلاء، وبالتأكيد يتصور حسن على خان" الآن أننى ألتقى بـ منوچهر خان وسعيدة بذلك! يا إلهى كيف تمر عليه كل لحظة بهذا التفكير، وأى عذاب لديه!

أخذ الشيخ الورقة من يد "هما" وقرأ بصوت مرتفع، ثم بعد ذلك قرأ ببطء نوعًا ما حتى تسمع "هما"، كان يقول فى أذن السيدة "طلعت" ينبغى أن تتحركوا الآن لنذهب إلى منزلنا، لأنهم يفكرون فى إلقاء القبض على هما"، يعلم الله كم سيستمر الاستجواب عدة أيام أو عدة شهور، أنا مستعد للتضحية من أجلكم وصديقى حسن على خان"، لأنه لو عرف الروس أننى قد أخفيتها فى منزلى، لانتهى أمرى.

قالت السيدة " طلعت": ربنا يطيل عمرك، الخير لا ينتظر أجر مطلقًا، افعل الخير وألقه فى البحر، إن شاء الله يخرج السيد سريعًا، ويأتى "منوچهر خان" ونخرج جميعًا من هذا الخجل.

كانت الليلة الثالثة لـ "هما" و"أمها" فى منزل الشيخ، كان الشيخ حسين" من شدة السعادة، يرى نفسه يحلق فى السماء. كانت "هما" تجلس بالقرب من المصباح وكان لعينيها بريق خاص، بعد الدموع. فى كل مرة كان الشيخ حسين" يرى هذا المنظر، يرتعد، وتحرق نار الشهوة روحه،

لم يعد يعتبر أن هناك مانعًا من أجل الوصول إلى ما يريد، كان يعرف ومتأكد أن "حسن على خان" سيقتل غداً، و"منوچهر" ربما يذهب إلى السجن "سبير" ويموت، فجأة ودون وعى تعلق برقبة" هما" وقال: لا تحزنى يا عزيزتى، أنا لم أمت، فابتعدت " هما" بعيداً عن حضنه بقوة وقالت: أتمنى أن تدعنى وحالى، أنا لا أحتاج إلى مواساة. فقال الشيخ: ليس هكذا، ينبغى دائمًا أن تستظل المرأة بظل رجل. فنظرت " هما" إليه باحتقار ولم ترد. قالت السيدة " طلعت": طبعًا افعل لنا كل ما تستطيع، لن تندم. ثم أشارت بعينها وحاجبها ضمنًا أن اترك " هما" تستريح. لم يبالِ الشيخ بإشاراتها وقال: " هما"، لا تحولى وجهك عنى، سأكون أنا بعد ذلك أعظم شيء لك وكل ما تتمنين. نظرت " هما" إلى الشيخ بلون شاحب وعيون متحيرة وقالت: ماذا تقصد بهذا الكلام، إن عمى لم يمت بعد. فابتسم الشيخ وقال: ماذا أقول.......

فقالت " هما" بسرعة: ماذا تقول، كيف أصبح عمى العزيز! فابتسم الشيخ ثانية وقال: ماذا أقول......

فصرخت " هما" أستحلفك بالله تكلم، سأجن تقريبًا. فى النهاية ماذا حدث، هل قتلوا عمى البرىء؟!..... فحرك الشيخ رأسه بالإثبات.

فقفزت "هما" مرة واحدة من مكانها وقالت: ينبغى أن يقتلوننى أنا أيضا، أنا لا أريد الحياة بعده ثانيةً، الآن أذهب إلى الروس وأسلم نفسى لهم! كانت تبكى بصوت مرتفع وتعد نفسها للخروج. ارتفع نواح

السيدة " طلعت" كانت تقول: شيخ "حسين" لا تدع " هما" تخرج لوجه الله، سيأخذون ابنتى ويقتلونها، يا ربى ماذا فعلنا!

اغتنم الشيخ الفرصة، وقام وأخذ جسد " هما" بين ذراعيه. قرب كذلك شفتيه من وجه " هما"، فصفعته على وجهه صفعة قوية حتى برقت عيناه، خلص " هما" وقال: أحسنت، لا تعطى الرد اللين لأحد، لا ضرر، لا عيب عندك.الصفع منك هو الورد أيضًا، كانت أمها تقول باكية حبيبتى "هما" أنا فداؤك هذا ليس وقت خروج، ماذا ستفعلين أنتِ، الشيخ "حسين" يمزح، يريد أن يخيفك.

فضحك الشيخ "حسين" بصوت مرتفع وقال: حسن، آنسة " هما" أنا كنت أريد أن أعرف قدرتك، كنت أمزح.

فسألت " هما" بعين مملوءة بالدمع وشفة مرتعشة بتضرع: بالله عليك هل تقول الصدق، هل عمى العزيز لا يزال حيًا؟

فقال الشيخ: تعالى، اجلسى نضع كلامنا فى نصابه، الحقيقة هى أن حكم الإعدام قد صدر ضد "حسن على خان"، لكن من الممكن أن ألقى بنفسى وروحى فى الخطر وأخلصه، فى مقابل هذه الخدمة، أنتِ يا آنسة " هما"، ماذا ستعطيننى؟ فقالت " هما": لو طلبت روحى أعطيها لك. فقال الشيخ بعد تفكير قليل: هذا وعد؟

فقالت " هما": نعم، نعم. فقال الشيخ: الحمد لله انتهى الأمر، قلتِ نعم! فصرخت السيدة " طلعت" قائلة: لا، لا لم تقل نعم!

اتجهت "هيما" إلى أمها بكل دهشة وقالت: لماذا، قلتُ نعم، بالتأكيد إذا كان خلاص عمى العزيز، أبيع روحى.

أخذ الشيخ نهاية كلامها وقال: الحمد لله، انتهى الأمر، "هما" هى زوجتى.

كانت السيدة "طلعت" تقول صارخة لا قدر الله، بهذه الذقن والشكل، ابنتى تلك الوردة!...

فتحت "هما" فمها من الدهشة، ولم تنطق بكلمة.

ضحك الشيخ وقال: بشرط أن أحلق ذقنى غداً، ألبس قبعة ورباط عنق، عندئذ سأكون أنيقًا أكثر من "حسن على خان" و" منوچهر خان"! أنا لا أريد أن أمدح نفسى لكن بعدها سترين ما الأدوات التى سأتجمل بها، وأخرج ألف تومان ورقية من جيبه وأخذ يفر الورق بين أصابعه.

ابتسمت "هما" ابتسامة مليئة بالمعني وقالت: على أية حال، قرارى هو أنه إذا خلصت "حسن على خان"، سأكون زوجتك.

صرخت السيدة "طلعت" وقالت: خروج "حسن علي خان" من السجن أمره سهل، لكن لو أرجعت والد "هما" إلى قيد الحياة ثانية، مَا أعطيتُك "هما"! أليس ظلمًا منك، أيها الوقح!.... يا شيخ أليس ذلك سيئًا!....

بضع دقائق، لا يُسمع إلا صوت بكاء السيدة "طلعت" فقط، "هما" والشيخ كل منهما كان يفكر. فى النهاية قال الشيخ بلهجة صارمة: كفى

هذه الأكاذيب، أفضل شيء في الدنيا هو معرفة الحق. أنا اشتريت حياتك، لو كانت لديك الشجاعة فلتخرجي من هذا المنزل، ترى كيف ستذهبين إلى السجن فوراً. لقد أرقت ماء وجهي من أجلك، لو عرفوا أنك هنا، بالتأكيد سيأخذونك لكن حين يعرفون أنك زوجتي، لن يجرؤ أحد. الآن إذا رفضت، على بركة الله، الطريق مفتوح، الشارع طويل،.....
قالت "هما": أمي الحبيبة انهضي لنذهب.

كانت السيدة " طلعت" تقول باكية: أيها الشيخ العزيز أتوسل إليك.

قال الشيخ: إذاً اسمعوا كلامي، أنا لا أقول "هما" زوجتي بدون سبب، كل أفعالي لها حكمة و إلا فليس لي هدف.

أصرت "هما" على الذهاب، ألحت أمها وتوسلت حتى رضيت بالبقاء، قالت: على هذا، ليس لي طاقة للجلوس أو الكلام، سأذهب لأنام.

لم تتناول " هما" وأمها طعام العشاء، ذهبا إلى الحجرة المجاورة، كانت قد أتت بفراشها من المنزل، فبسطته على الأرض ونامت هي وأمها. كان الشيخ، قد جلس ساعات متواصلة بالقرب من المصباح يفكر، بينما ملابسه وكل أطرافه قد غطت برماد السجائر.

أحياناً تبدو أسنانه الصفراء والسوداء، من بين الشعر الأبيض والشارب الأسود، وهو يضحك ويخرج بهدوء رزمة ورقية من جيبه ويحصي هذا الورق ثم يضعه في جيبه ؛ ويقول لنفسه: أذهب إلى

الحمام، أحلق ذقنى، أرفع العمامة، أرتدى القبعة، فأحصل على قلب "هما"، ثم حين تعرف أن "حسن على خان" قد قتل و"منوچهر" لن تراه، فلن يكون لديها إلا التسليم. الأفضل أن أصرف النظر هذه الليلة، هكذا يقول العقل، ينبغى أن أتحمل الليلة، غداً فى المساء ستتوسل هى لى، فعلاً هكذا يقول العقل، ينبغى أن أتمهل ليلة واحدة، فتكون الدنيا كلها لى. القنصل كان يقول: الدورة القادمة يجب أن أصبح نائبًا، ثم بعد شهرين أو ثلاثة سأكون وزيراً آنذاك ستتوسل "هما" وأنا أتدلل، سأؤجل تعويض الليلة من رأسها، وأصب على رأسها البلاء حتى تستمتع به! أتزوجها زواج مؤقت، حقًّا ينبغى الانتظار الليلة......

خرج من الحجرة ونادى الخادمة بصوت منخفض وطلب العشاء. بعد تناول الطعام مسح أصابعه الملوثة بالدهون على السفرة وبسط فراشه المتسخ ومد جسده. فلم ينم، هاجمته أفكار خاصة منعته عن النوم، مضت ساعات متواصلة، وغالبًا ما كان يردد لنفسه قائلاً ينبغى أن تصبر الليلة، ليلة واحدة لا يهم، ستكون لى طوال العمر.

فجأة نهض من الفراش وذهب إلى الحجرة المجاورة، رفع طرف لحاف "هما" ببطء وأراد أن يدخل فراشها، لم تكن "هما" قد نامت بعد وكانت تراقب حركاته، حين قرَّب رأسه، صفعته بقوة على وجهه حتى وقع الشيخ، فاستيقظت السيدة "طلعت" مضطربة الحواس من هذا الصوت وسألت مَنْ؟ ما الخبر! تمهل الشيخ وقال: كنت قد جئت لأرى هل سقط اللحاف من فوق "هما" ولم ينطق بكلمة أخرى.

ذهب الشيخ إلى فراشه ونام يفكر فى الانتقام.

لم يكن الضياء قد لاح بعد حتى قامت " هما" ووضعت عباءتها تحت إبطها وخرجت من الحجرة بكل حذر. عند الباب، ارتدت حذاءها وخرجت من المنزل، وسارت مسرعة.

* * * * *

فى الصباح الباكر استيقظت السيدة طلعت" فلم تجد "هما" فى فراشها. فكانت تبحث فى كل مكان كالمجنونة. فاستيقظ الشيخ من وقع أقدامها وفتش فى كل ركن بخوف حتى رأى فى النهاية أن باب المنزل مفتوحًا، فعرف أن هما" قد خرجت، وبدأت الغريزة الحيوانية تظهر من تحت أستار الرياء والتزوير وتملكته حالة وحشية. اعتبر السيدة طلعت" مسئولة ومشاركة فى الذنب، ولم يدع نوعًا من أنواع السب والقذف إلا قاله بلا احترام، كانت الأم المسكينة تبكى، وتقول: معك حق، الذنب ذنبى، لم يكن ينبغى أن أظل نائمة وأغفل عن ابنتى المدللة. أنت لماذا أخفت ابنتى، ما هذا الكلام الذى قلت بالأمس، ابنتى لها خطيب ولن تكون زوجة لك!

تضايق الشيخ من هذا الكلام وأخذ يدق رأس ووجه الأم المسكينة، كان يقول: ذهب خطيبها إلى الجحيم، أما "حسن على خان" العاشق فذهب إلى جهنم أيضًا، استريحى من هذه الناحية، كفى تزوير وغش،

أين أرسلتِ زوجتى الشرعية؟ أذهب الآن وسأجدها حيثما تكون وأجرها كالكلب إلى المنزل.

بحث الشيخ فى كل مكان فى المحلة الصغيرة والسوق فلم يجد "هما"، ذهب إلى القنصلية وقال لنائب القنصلية: هربت سيدة من نساء المنظمة، تقصد قتل القنصل، انتقامًا لدم حسن على خان"، انتبهوا لو جاءت سيدة إلى القنصل احتفظوا بها، حتى آتى أنا.

خرج من القنصلية وكان يجرى فى كل اتجاه، فلا يجد لها أثرًا.

فى العاشرة صباحًا، جاء القنصل إلى القنصلية، واطلع على تقرير الشيخ، وعرف أن سيدة ما بالفعل جاءت وتم اعتقالها. أثناء ذلك دخل الشيخ وسُرَّ من القبض على هما"

أحضروا هما" بعد التفتيش والاطمئنان على أنها لا تحمل أىَّ أسلحة. سأل القنصل ماذا تريدين منى؟ فقالت هما" دون أن تظهر معرفتها بالشيخ أريد أن أقابل حسن على خان" الذى هو مكان والدى، ولأننى أعرف أنه نادرًا ما يتحدث عن نفسه، جئت لأسجل أن هذا الرجل برىء، لم يؤذ أحد مطلقًا، لا يعرف الخيانة أو الغش. أقسم بالله أنه لم يعمل ضد الدولة الروسية فى أى مكان وليس له دخل بالسياسة.

أخرج القنصل اليد اليسرى من الكم ونظر إلى الساعة التى بمعصمه وقال بابتسامة خاصة: آسف جدًا لأننى لا أستطيع أن أتحدث معك بهذا الشأن وآسف ثانية لأننى يجب أن أحتفظ بك اليوم فى المعتقل.

فقال الشيخ: أنا بنفسي سأحملها وأحبسها في المنزل.

فقالت "هما" دون أن تلتفت للشيخ: أنتم أهل حضارة لماذا لا تراجعون معلوماتكم بشأن شخص محبوس، ربما يكون حقًا غير مذنب، لماذا لا تدعون على الأقل أسرته تراه؟ أنتم متحضرون ولا ينبغي أن تظلموا سجينًا.

أشار القنصل إلى الجندي بأن يخرج "هما" من الحجرة. فنهض الشيخ ومنعه قائلاً: لا ليس مهمًا، أنا سآخذها إلى المنزل، فنظر القنصل إلى الشيخ، وتعجب من غلظته وقال: هل جننت؟ ابتسم الشيخ وقال بصوت منخفض: لا هي زوجتي.

سمعت "هما" ذلك فصرخت قائلة: كذاب! أنا لست زوجة له أبدًا، هذا رجل خائن، مجرم، قام بخيانة "حسن على خان"، بالله عليكم احملوني إلى السجن ولا تتركوني في يد هذا الظالم، لو تعلمون ماذا فعل هذا اللص معنا.

فقُطِع صراخها بسبب سيل الدموع. فأشار القنصل إلى الجندي أن ارفع يدك. قال لـ "هما": اجلسي وسأل الشيخ بنظرة متحيرة متسائلة، ما التفاصيل؟

تلعثم لسان الشيخ أثناء الكلام واصفرَّ وجهه، وقال: لا.... هو كذلك كما قلتُ.... هذه..... زوجتي.

فصرخت "هما" مرة أخرى قائلة: أقسم بالله إنه كذاب، حتى ليلة أمس كان هذا الخائن صديقنا، وقد حملنا إلى منزله بالقوة......

فأمرها القنصل أن تسكت وقال للشيخ: لماذا لم تحكِ التفاصيل بالصدق! قال الشيخ: هو كما قلتُ... هذه..... زوجتى، هى عضو لجنة، هربت صباح اليوم من المنزل لتنتقم لمقتل "حسن على خان"، أنا لم أعرف أتقتل أيضًا؟ فكل شيء ممكن من هذه السليطة

اتجهت "هما" إلى القنصل بأنين قلب محزون ونظرة عجز وضعف. وقالت آخ..... هذا الرجل عديم الشرف يسبنى ويقذفنى! فاشتعلت نار هذا الحرقة فى قلب القنصل، ونظر إلى الشيخ بكل احتقار وقال: ألا تحترم المرأة فى حضورى، قم بهذه العادة الحيوانية عندما تكون فى منزلك الخرب.... عديم التربية!....

ثم توجه إلى "هما" وقال: أرجو أن تشرحى لى الموضوع.

فقالت "هما" بصوت متقطع من شدة البكاء: كان "حسن على خان" رفيق والدى، بعد وفاة والدى قام برعايتنا، وقد ربانى حتى كبرت، حين جئنا إلى "قزوين" تعرف هذا الشيخ عليه، حتى أصبح عنده أهل ثقة. ذات يوم أتى بأحد أتراك قفقاز إلى منزلنا، وتحدث "حسن على خان "عن المرحوم "صنيع الدولة" بأنه كان رجلاً عظيمًا ومحبًا للوطن، الباقى تعرفونه أنتم أكثر منى، أشهد بالله أن "حسن على خان" لم يعمل ضد الروس فى أى وقت، ولم يتدخل أبدًا فى السياسة. بعد إلقاء القبض على "حسن على خان" كان هذا الشيخ يأتى إلى منزلنا يوميًا ويقول إنه

مـشـغـول بعـمـل من أجل تخليص "حـسن على خــان"، ويقـول إن الروس يفكرون فى اعتقالك، فطلب أن نذهب أنا وأمى إلى منزله، فلم نقبل حتى جاء منذ ثلاثة أيام برسالة من "حـسن على خان" كتب لى فيـها قـائلاً " اسمعى كل ما يقوله الشيخ، وقد كان. ذهبنا منذ ثلاثة أيام إلى منزله، ليلة أمس اعترف لى بحبه.....

أراد الشيخ أن يتحدث فيمنع هما" من الكلام، فقال القنصل بكل حزم: لا تتحدث و إلا ستذهب إلى السجن!

مسحت "هما" دموعها وقالت: اعترف لى الشيخ بحبه وأراد أن يُقبِّلنى؛ وكان يهددنى بأن حسن على خان" قُتِل، وإذا لم أعامله كما يريد فإنهم سيأخذوننى أنا أيضًا، وكان الباقى أمامكم. إنسان عديم التربية، تصور فى خياله أن فتاة ضعيفة ومسكينة فى قبضته، ماذا ستفعل معه.....

أراد الشيخ أن يتحدث مرة أخرى، فضغط القنصل على أسنانه ونظر بحدة وغضب حتى أن فم الشيخ ظل مفتوحًا.

قالت هما": نعم سيدى القنصل، وفى النهاية حين رأى الشيخ أنه لا جدوى، قال: كنت أمزح، و حسن على خان" لم يقتل لكن إذا خلصته ماذا ستدفعين؟ قلتُ: كل ما تريد، فقال الشيخ وعد. قلتُ: نعم. هنا صرخ وقال: لقد قلتِ، نعم، انتهى، أصبحتِ زوجة لى، قلتِ نعم. سيدى القنصل أقسم بالله الذى يعلم كل شىء، أننى لم أقل كلمة كذب، أقسم بحياة حسن على خان" أن كل ما قلتُ هو عين الحقيقة، يبدو لك عجيب جدًا لكن هذه هى الحقيقة.... جاء إلى فراشى فى نصف الليل.......

لم تستطع الكلام بعد ذلك، اختنقت وسكتت. فنهض القنصل من شدة الغضب واتجه إلى الشيخ، قال: اتفو عليك! الآن فهمت أنك من أجل الميل إلى الظفر بلذة تدفع بشخص برىء إلى السجن والإعدام، قمت بالوشاية لدى حكومة الدولة الإمبراطورية، أنا سأوصل لك ما تستحق جزاء أعمالك!.......

فقالت "هما": الإعدام؟ تم إعدامه؟ آه يا خسارة أقتلت يا عمى العزيز؟!

نظر القنصل إلى الساعة، مضى خمس دقائق بعد الظهر، فأخذ سماعة التليفون بكل سرعة وبعد مكالمة استغرقت بضع دقائق مع رئيس القوات الروسية، اتجه بوجه حزين وأسف إلى "هما" وقال بصوت خافت متأنى: خسارة لقد جئتِ متأخرة بضع دقائق، للأسف انتهى الأمر، جمالك هو سبب هذه الجريمة....... لكن تأكدى أن الشيخ "حسين" سينال جزاءه سريعًا!.

لم تسمع "هما" الجملة الأخيرة، صرخت صرخة ضعيفة وسقطت من على الكرسى، فغضب القنصل واقترب وجلس على الأرض، وأخذ رأس "هما" بين أحضانه ونظر بكل حسرة إلى وجه البنت الشاحب، وقال للشيخ: هذه هى نتيجة جريمتك!

بعد عدة دقائق، جاء اثنان من الممرضين الروس وقاما بعلاج "هما"

خلال هذا الضجيج، أراد الشيخ أن يهرب، فأدرك القنصل، فأمسك بذراعيه وقال: تتعجل الذهاب، لكن قبل الذهاب ينبغى أن تشرب من الشراب الذى أذقته للجميع، اشرب!

فقال الشيخ فى اضطراب: أنا من موظفى الدولة الإمبراطورية المحترمين، لا ينبغى أن تعاملنى هكذا.

قال القنصل بعد ضحكة عصبية طويلة عجبًا لقد أخطأت، أمثالك ممن يخونون مملكتهم وشعبهم فى نظرنا هم أحقر من الكلب وأكثر إجرامًا من اللص والقاتل، إن أنفاسك تسمم الكون، وملامستك تبعث على التلوث، الشخص الذى لا يحب وطنه هو شخص فاقد لشعور المحبة والصداقة، الوطنية هى أن الإنسان يكن كل محبة وود، والوطنية هى محبة الإنسان لأسرته، أنت خنت مملكتك أى أسرتك، ما المكان، الذى نتوقع منكم نحن الأجانب فيه الصداقة والمحبة.

قال الشيخ: لكن لا ينبغى أن تتكلموا معى بهذا الكلام ولا تضايقوننى بهذا الاحتقار.

ابتسم القنصل وقال: نحن نضحى من أجل أصدقاء مملكتنا وتعايشنا معكم أنتم الخونة وفطرتكم الحقيرة، عكس إحساس قلوبنا، نعمل معكم فى مباحثات، نحترم، ندفع النقود، لكننا نعتبرك حقير ووضيع، وحينما نسرق منكم ما نحتاج إليه، لا نريد أن نراكم ثانية، نخشى منكم، فأنتم كالجذام، نكن الاحترام للأشخاص الذين يحبون وطنهم، رغم أن وجودهم يكون عكس مصالح مملكتنا. فنحن نحترم

حسن على خان" لكن فى هذا الموضوع أنت لا تقوم بخيانة وطنك فقط بل تعمل ضد مصلحة مملكتنا. هذا النوع من القسوة والأفعال غير اللائقة التى يأتى بها عمال الروس وتثير قلوب الشعب الإيرانى ضدنا، هى نتيجة سذاجتنا وعدم شعوركم. فأنتم خونة. أنت هنا دفعت بشخص برىء إلى القتل وأرسلتَ شخصًا آخر إلى السجن، كنت سببًا فى شقاء أسرتين وآلامهم وسببًا فى إثارة قلوب شعب المملكة ضدنا، فى حين كانتَ هذه الأعمال الشيطانية من أجل إطفاء شهوتك غير المعقولة! اتخذت من الدولة الإمبراطورية لعبة وأداة فى يدك، كيف تجرأت هكذا؟ سيكون جزاء عملك شديد جداً.

أصيب القنصل بحالة من الغضب من كلامه، ذهب قرب الشيخ ولكمه بقبضة قوية على فمه حتى سال الدم. ثم أمر بأن يلقونه فى السجن.

ثم أمر نائب القنصل بعد ذلك أن يحضر "منوچهر خان" وقاموا بإيضاح الواقعة فى حضور الشيخ، قال ينبغى أن تشرح هذه القصة جيداً، فهى مهمة ودقيقة، وستكون لنا درسًا مفيداً وعظيماً.

حينما خرجت "هما" من حالة الضعف، حملوها فى سيارة القنصل الخاصة وبرفقتها ممرضتان من الروس، إلى المنزل. قبل الحركة، قال القنصل للممرضات والحضور: أنا لا أملك زوجة وأطفال، وقد قبلت هذه البنت ابنة لى، وأخذ يد هما" وقبَّلها، فأغمضت " هما" عينيها.

* * * * *

حرك كابتن "پاپف" بيده الفرع الذى يتعلق به حبل المشنقة مرة ثانية وكانوا قد نصبوها فى ظل شجرة " رمان" كبيرة فى فناء السجن، ليطمئن أنها محكمة. نظر إلى الساعة، كان قد بقى ثلث الساعة إلى الظهر. أمر ضابط أن يتحلق خمسة عشر جنديًا حول المشنقة. ويذهب هو ومعه اثنان من الحراس إلى سجن "حسن على خان"

دخل السجن بمفرده وسلم ووقف صامتًا، اقترب "حسن على خان" ووضع يده ببطء على كتف "پاپف"، قال: أعلم سبب مجيئك وماذا تريد أن تقول، اليوم يوم تنفيذ الوعد الذى وعدنى به الجنرال لكنى ليس لدى ساعة، ولا أعرف توقيت الظهر، يبدو أنه اقترب، أنا مستعد، لا تخجل، واضح أنهم قد اختاروك بالذات لتنفيذ هذا العمل حتى تتألم، أنا خجل منك.

تأوَّه "پاپف" وقال: نعم أراد الجنرال ذلك لإيذائى، طلب أن يُنفذ إعدامك فى حضورى، طلبنى منذ ساعة وأمرنى أن أنصب المشنقة فى فناء السجن وأن أنهى حياتك المليئة بالضيق. ليتنى ما كنت عرفتك، فذكرى هذه الحادثة، ستسوِّد حياتى.

فقال "حسن على خان" بصوت خافت: أشكرك. غاص كل منهما للحظات فى فكر عميق، قال "پاپف": إذا كانت لديك وصية قلها لى وسأنفذها.

قال "حسن على خان": لدىَّ فى هذه الدنيا رهن، وذلك الرهن هو "هما" التى تعرفها، تطيب خاطرها، ثم قال بصوت منخفض كأنه يتحدث لنفسه: لو أن "منوچهر خان" موجود.......

حرك كابتن "پايف" بيده الفرع الذى يتعلق به حبل المشنقة مرة ثانية وكانوا قد نصبوها فى ظل شجرة "رمان" كبيرة فى فناء السجن، ليطمئن أنها محكمة. نظر إلى الساعة، كان قد بقى ثلث الساعة إلى الظهر. أمر ضابط أن يتحلق خمسة عشر جنديًا حول المشنقة. ويذهب هو ومعه اثنان من الحراس إلى سجن "حسن على خان"

دخل السجن بمفرده وسلم ووقف صامتًا، اقترب "حسن على خان" ووضع يده ببطء على كتف "پايف"، قال: أعلم سبب مجيئك وماذا تريد أن تقول، اليوم يوم تنفيذ الوعد الذى وعدنى به الجنرال لكنى ليس لدى ساعة، ولا أعرف توقيت الظهر، يبدو أنه اقترب، أنا مستعد، لا تخجل، واضح أنهم قد اختاروك بالذات لتنفيذ هذا العمل حتى تتألم، أنا خجل منك.

تأوَّه "پايف" وقال: نعم أراد الجنرال ذلك لإيذائى، طلب أن يُنفذ إعدامك فى حضورى، طلبنى منذ ساعة وأمرنى أن أنصب المشنقة فى فناء السجن وأن أنهى حياتك المليئة بالضيق. ليتنى ما كنت عرفتك، فذكرى هذه الحادثة، ستسوِّد حياتى.

فقال "حسن على خان" بصوت خافت: أشكرك. غاص كل منهما للحظات فى فكر عميق، قال "پايف": إذا كانت لديك وصية قلها لى وسأنفذها.

قال "حسن على خان": لدىَّ فى هذه الدنيا رهن، وذلك الرهن هو "هما" التى تعرفها، تطيب خاطرها، ثم قال بصوت منخفض كأنه يتحدث لنفسه: لو أن "منوچهر خان" موجود.......

كأن "پاپف" قد استيقظ من النوم فجأة، تنبه ونظر إلى الساعة، قال متعجباً: مضى عشر دقائق بعد الظهر، فنهض "حسن على خان" وقال: أنا مستعد، لنذهب.

لكن "پاپف" لم ينهض، وبعد تفكير قليل، أمسك بيد حسن على خان" وأجلسه بجانبه وقال بتأنٍ: مضى وقت تنفيذ الحكم. فقال حسن على خان": عشر دقائق لا شىء، لا تخاطر أنت بنفسك، لأنه لن يكون مفيداً لحالتى، لو لم تكن أنت الذى سوف تنفذ الحكم، فآخر، فى النهاية التأخر بعض الوقت وفى هذه المدة، سيزداد عذاب نفسى، فكلما كان أسرع كان أفضل، خلِّصنى، هذه أفضل محبة.....

قال " پاپف": أنا كلما بحثت عن دليل ومنطق أستخدمه أنا نفسى، لا أجد. الإنسانية لا تسمح بأن يتم إعدام شخص برىء على يدى، وأن يقتل شخص رشيد مثلك بيدى.

قال "حسن على خان": أول واجبات الإنسانية هو حفظ النظم الاجتماعية، وطاعة أولى الأمر، فى حدود ما يسمح به القانون حتى وإن كان هذا القانون ظالم، وخطأ.

قال "پاپف": نضجك يحيرنى أنا أخجل من نفسى أمامك؛ لكنى أشكو لماذا تتكبر إلى حد ما، فى هذا الوقت الخطير حيث لا يبقى لإنسان قدرة على التنفس، تكون أنت مسيطراً على كل قواك، روحك كالشمس تضىء وتتلألأ. تسعى إلى إثبات عظمتك إلى هذا القدر

كأن "پاپف" قد استيقظ من النوم فجأة، تنبه ونظر إلى الساعة، قال متعجباً: مضى عشر دقائق بعد الظهر، فنهض "حسن على خان" وقال: أنا مستعد، لنذهب.

لكن "پاپف" لم ينهض، وبعد تفكير قليل، أمسك بيد حسن على خان" وأجلسه بجانبه وقال بتأنٍ: مضى وقت تنفيذ الحكم. فقال حسن على خان": عشر دقائق لا شىء، لا تخاطر أنت بنفسك، لأنه لن يكون مفيداً لحالتى، لو لم تكن أنت الذى سوف تنفذ الحكم، فآخر، فى النهاية التأخر بعض الوقت وفى هذه المدة، سيزداد عذاب نفسى، فكلما كان أسرع كان أفضل، خلِّصنى، هذه أفضل محبة.....

قال پاپف": أنا كلما بحثت عن دليل ومنطق أستخدمه أنا نفسى، لا أجد. الإنسانية لا تسمح بأن يتم إعدام شخص برىء على يدى، وأن يقتل شخص رشيد مثلك بيدى.

قال "حسن على خان": أول واجبات الإنسانية هو حفظ النظم الاجتماعية، وطاعة أولى الأمر، فى حدود ما يسمح به القانون حتى وإن كان هذا القانون ظالم، وخطأ.

قال "پاپف": نضجك يحيرنى أنا أخجل من نفسى أمامك؛ لكنى أشكو لماذا تتكبر إلى حد ما، فى هذا الوقت الخطير حيث لا يبقى لإنسان قدرة على التنفس، تكون أنت مسيطراً على كل قواك، روحك كالشمس تضىء وتتلألأ. تسعى إلى إثبات عظمتك إلى هذا القدر

الجيوش المنتصرة لأهالى البلاد المهزومة أمر خطير على قدرة الجيوش وتقدم العمل، وكانت نتيجة محبتك وإخلاصك مع من أعدم اليوم، أن تعامل معى بجرأة وخشونة. نحن الأوربيين لا ينبغى لنا أن نصادق أهالى الوطن، وذلك لحفظ تفوقنا وتقدمنا وحتى لا يعدوننا من جنسهم، ودائمًا يكون الخوف والرهبة منا فى قلوبهم. على كل حال، لحسن الحظ أننى كنت قد حددت ساعة الإعدام "وقت الظهر" لو كان تأخر عشر دقائق، لمَا أمكن تنفيذه. ثم ضحك ضحكة طويلة وسلم " پاپف" تلغرافًا وقال: اقرأ. كان أمراً من قائد القوات مكتوب فيه: سقطت حكومة الإمبراطورية، انهار بنيان الظلم والاستبداد، ووضع قانون الصداقة والإنسانية، الشعب الروسى من الآن فصاعداً يعد أخًا لكل الشعوب ومساوٍ لهم، بأمر لجنة الحكومة الجديدة، أطلقوا سراح كل المسجونين السياسيين فوراً، وتلغى الأحكام السابقة بشأنهم.

ضغط "پاپف " على قلبه بيده، حتى لا ينفجر صدره من السعادة وتنفس نفسًا عميقًا لا إراديًا "فابتسم الجنرال وقال: تتأسف لأن هذا التلغراف لم يصل قبل ذلك بنصف ساعة؟

قال "پاپف": لا، سعيد لأننى لم أنفذ الحكم، أنا لست جلاد أو قاتل، لم أستطع أن أنفذ حكم الإعدام فى شخص عاقل، عالم ومظلوم من أجل إرضائكم، وأعرف نتيجة هذا العصيان، وأنا مستعد، لكل ما تأمر به.

لم يستطع الجنرال أن يتكلم أو يتحرك من شدة الغضب، كان صامتًا ويرتعش. وعندما استعاد نفسه، نهض من مكانه واقترب من "پاپف" وقال: لم تنفذ الحكم! ثم ضغط بشدة على كتفى پاپف حتى أن ملابسه قد تمزقت، ونادى الحارس وقال: احمل هذا الخائن إلى السجن حتى نعرف أمره.

* * * * *

كأن "حسن على خان" لم يكن سعيداً، لبشرى خلاصه. نزل من العربة التى تجرها الخيول، ودخل الحديقة بكل هدوء. فجذب صياح موظفى إدارة المالية من السعادة، كل من كان بالداخل إلى الحديقة. كانت السيدة " طلعت" تصرخ قائلة: تعالى يا هما"، جاء عمك العزيز، تعالى بسرعة!

فنهضت هما" من فراشها وجرت عدة خطوات لكنها سقطت على الأرض، من شدة الضعف، وغابت عن الوعى.

كان أول سؤال سأله حسن على خان" للسيدة طلعت أين "منوچهر"؟

حين علم أن "منوچهر لم يأت هناك مطلقًا ولم يلتقِ بـ هما" كان كالذى أفاق حديثًا، وشعر أن أسعد شىء هو الفرار من الموت.

صارت خطوات "حسن على خان" قوية وسريعة، لمعت عيناه، واشتد عوده واحمرت وجناته المصفرة.

أخذت السيدة "طلعت" تصرخ: "هما" الحبيبة لِمَ لا تأتِى! ألا تسمعين صوتى. أسرعوا إلى غرفة "هما" ورأوا أنها مغمى عليها تقريبًا.

حين أفاقت "هما"، كانت رأسها فى حضن "حسن على خان"، فتسمرت عيناها بوجهه، وسالت دموعها.

نظر "حسن على خان" بشفاه باسمة، يشاهد محبوبته ويبكى، قضى النهار كله إلى منتصف الليل، يشرح ما حدث ويوضح الكثير من الحقائق. كانت سعادة "هما" وسرورها لا يوصف حتى أنه أنساها كل مشاعرها ولم تبدِ أى حقد أو كراهية عند حديثها عن الشيخ "حسين" أما فيما يتعلق "بمنوچهر خان" كرر كل ما سمعه من الشيخ وقال "حسن على خان": لا أظن أن يكون "منوچهر" سببًا فى أسرى، لا أريد أن أعتبره بلا شرف. فقالت "هما": أنا أيضًا لم أكن أصدق ولم أستطع أن أتصور مطلقًا هذا القدر من النذالة والقبح فى وجود إنسان. امتلأ قلب حسن على خان حزنًا لمؤازرة هما" لـ منوچهر"، فنهض وقال: نذهب ونستريح، غدًا نفهم كيف تمت الأحداث.

ثم ذهبت "هما" إلى حجرة نومها وبعد عدة دقائق ذهب حسن على خان" إلى المكتب وأشعل المصباح. بينما كان يخرج كتاب المذكرات من الخزينة، كان يقول لنفسه: ليتنى كنت قد قتلت ولم أتألم ثانيةً، إننى

الآن أحب "هما" أكثر، وأشعر بالتأثير بسبب عشقها تجاه منوچهر، نفدت قدرتى، كأن الطبيعة قد جعلتنى وسيلة لسخريتها ولعبة بيدها، وتستمتع بآلامى.

خرجت "هما" بحذائها المريح من حجرة النوم، أوصلت نفسها بهدوء إلى باب المكتب، وكانت تنظر من خلف الزجاج.

جلس "حسن على خان" بكل هدوء وضيق، خلف منضدة الكتابة ووضع أمامه كتاب المذكرات، كان قد وضع رأسه بين يديه يفكر. بعد فترة، رفع رأسه وفتح الكتاب بهدوء، أتى بالصفحة الأخيرة، وعندما نظر إلى آخر مذكرات، بدت على وجهه حالة من التعجب والحيرة، مضت لحظات على هذه الحال! مسح عينيه دقق النظر، ورأى أنه خط "هما"، فأخذ قلبه يدق بشدة، وارتعد بدنه! كانت" هما" قد كتبت

ما هذه الدنيا، من هو المسئول عن كل هذه الجرائم، لم أرتكب ذنبًا، لماذا يعذبوننى هكذا، ما هذه الآلام الشديدة التى أشعر بها، ثم لماذا لا أموت؟ لماذا هذه الروح القوية؟ أيتها الطبيعة الغادرة، أيها العدو السفاك لدم الإنسان، جعلتني سبب أسر وألم معبودى، ومحبوبى! لمن أشكو منك، ماذا تتصورين بعد؟ إلى أى درجة ستصل هذه القسوة؟ استريحى، لا تعدى نفسك بالسعادة، إذا كنتِ قد أخذتِ منى هدف الحياة، وتعتقدين أن تتركى عمرى فى نار الهجر والندم، وتضحكين من ظلام أيامى، فقد أخطأتِ، فأنا لن أعيش بعده.

يا أمل حياتى، يا معشوقى وحبيبى، سامحنى. اسمح لى (لو بقيت على قيد الحياة) أن أفتخـر طـوال حياتى بأن أكون جاريتك وخادمتك، يا أمـانى، لماذا لم تكن تشـعر بمشـاعرى، لا تقـرأ أفكارى؟ مـاذا أفـعل، العادات الاجتماعية الخاطئة والتى هى شىء ثانوى، لم تكن تسمح لى أن ألقى بنفسى بين أحضـانك وأقـول لك أنت أملى، لا أحب شـخصـًا غيرك أبداً ، فلتسعد!

كنت أحب "منوچهـر" وقـتًـا مـا على سـبـيل الخطأ، لكنه لم يكن جديراًبالمحبة، وجودك كالنور السماوى أضاء لى فأدركت حقيقته ونفسه الخبيثة، سمو أخلاقك جعله فى عينى هو والتراب شيئًا واحداً .

صار هو سبب آلامك وأسرك! أنا أكرهه وأعتبره عدواً ! لو حدث واستطعت يوماً فسوف أنتقم لك منه.

وا حسرتاه على حالى، لماذا لم أجتهد ولم أقل لك عن أفكارى، أنا أحترق بنار عشقك، كنت أعانى من الألم حين قرأتُ فى المذكرات لكن لسانى لا يملك البيان، فالحياء كان مانعًا، مائتا لعنة على هذا الحياء

منع "حسن على خان" دموعه من السقوط بصعوبة على الصفحة ووضع المنديل على عينيه وأخذ يبكى، ويئن، قرأ الصفحة مرة أخرى ثم نهض من مكانه من السعادة، ومشى عدة خطوات فى الحجرة ثم جلس وقرأ مرة ثالثة، وفجأة بلا وعى منه، سقط على الكتاب، وأخذ يُقبِّل خط

"هما" ويشتمه. كان يقول أشياء لا تسمع. مضت عدة لحظات على هذه الحال، نبهه صوت فتح الباب، فرفع رأسه عن الكتاب، دخلت "هما" الحجرة، أغلقت الباب وراءها بيد، وباليد الأخرى وضعت إصبع على فمها المبتسم، وتقدمت ببطء خطوة أو خطوتين إلى الأمام.

كان بياض ساعدها وعنقها يبدو خلف جدائلها المبعثرة يتلألأ كأنه طاقة الأمل. كان وجهها متعبًا، شحب احمرار وجنتيها، عيناها متعبتان، نصف مغمضتين من كثرة البكاء، بسبب تعاقب الأحداث، لم يكن جمال "هما"، قد بدا لـ"حسن على خان" بهذه الدرجة مطلقًا، غاب لحظة عن الوعى ولم يلتفت لـ "هما"، ربما تحرر من هذه الدنيا وقيودها، ولا يتذكر شيئًا من الصعوبات، ولا يرى إلا الخير والسعادة.

احتضن كل منهم الآخر وأخذ فى البكاء طويلاً، كانت الملائكة تختطف كل هذه القطرات الغالية.

* * *.* *

الخاتمة

فى يوم آخر، وصلت رسالة "منوچهر"، كتب فيها:

سيدى، سيدتى الأفاضل، لا تلوثا أيديكم بخطى، اغسلوا أعينكم بعد قراءة هذه السطور، أنا مصاب بجذام أخلاقى،أنا مجرم اسود الزمان، أنا شيطان فى صورة إنسان، أنتما ملائكة، وجودكما من النور الرباني، ما شأن الملائكة بالشيطان! لقد خلق كل منكم للآخر منذ الأزل، أنتما ملائكة، أرسلكم الله لإصلاح وتصحيح أخلاق العباد، شرح عظمة وعفوكم اللا نهائى، يسقط الدمع من مقلتى كل إنسان، ويرقق القلوب، ويدفع أقسى الأشخاص إلى الخير. أنا عاجز، أتمنى أن أقضى عمرى كله فى إصلاح ما فات ومحو الذنوب، أتمنى أن تبدو روحى الملوثة نظيفة ومنزهة بفضل نور العشق. بعد ذلك سأقضى حياتى كلها لسعادة أمى وزوجتى وأطفالى، وأيضًا فى خدمة الوطن. ولتسعدوا لأن شخصًا قد أناب ورجع عن طريق المعصية، يبحث له عن مكان بين الإنسانية، وذلك بفضل شعاع من كرم أخلاقكم، وبشكر كل هذه النعم، سامحونى.

عبدكم المذنب منوچهر"

* * * * *

كان الشيخ "حسين" يقول: لقد أخرجتنى يا سيدى من السجن، إنها مروءة منكم، لو تسمحوا لى أن أقبِّل قدمك. قال "حسن على خان": بدلاً من هذا أرجو أن تقبل رجائى، أكون أكثر امتنانًا لك. فرفع الشيخ يديه إلى السماء وقال: أقسم بالله أن أنفذ كل ما تأمر به. فقال حسن على خان" بعد لحظة تأمل: رجائى ألا تنحرف خطوة واحدة من الآن عن طريق الإيمان والصدق وحب الوطن، وأن تعود إلى حرفتك السابقة العطارة، وتقضى بقية العمر فى العبادة لتكفر عن ذنوبك.

فقال الشيخ: ذكرت حب الوطن، لهذا ينبغى أن أسس مجلة أو جريدة وأنا لا أملك رأس المال إلا أن تتفضل أنت بهذا، فأنا رجل سياسى وينبغى أن أخدم الوطن بهذه الطريقة........

لم ينطق "حسن على خان" بكلمة، فترك الشيخ باب الحجرة وخرج دون أن يودعه.

* * * * *

تفرقت الجيوش الروسية، وظل "پاپف" فى إيران. واتخذ من منزل "حسن على خان "منزلاً له، وحصل على الجنسية الإيرانية، وأطلق على نفسه اسم" شريف فريدون

كان كل الشعب الإيرانى يعامله بكرم ورحمة. يستقبلونه بكل احترام وإعزاز، عمل بعمل مهم على نفس الدرجة الملكية، وأودعوا له الجيش، عاش حياة جميلة بصداقة "حسن على خان" وأسرته، وكان يهتف فى كل وقت: عاشت إيران!

النهاية.

المؤلف فى سطور:

محمد حجازى

عاصر محمد حجازى فترة من تاريخ إيران، وتأثرت حياته بما شهدته تلك الفترة من اضطرابات وقلاقل نهاية سلطنة "آل قاجار" وبداية سلطنة "آل بهلوى وازدهارها ونهايتها.

وقد تنوع إنتاج محمد حجازى الأدبى بين الرواية والمسرحية والمجموعات الأدبية، والتى تعد نموذجًا رفيعًا للأدب الاجتماعى وصدى لمشكلات بلاده وما تعانيه.

المترجمة فى سطور:

د/ سامية شاكر عبد اللطيف محمد سلامة

مدرس بقسم اللغات الشرقية وآدابها - كلية الآداب - جامعة حلوان.

ليسانس آداب ــ جامعة القاهرة

ماجستير اللغات الشرقية وآدابها عام ١٩٩٦ م

دكتوراه اللغات الشرقية وآدابها عام ٢٠٠٢ م

المراجعة فى سطور:

ماجدة محمد على العنانى

عميد كلية الآداب - جامعة حلوان - منذ أكتوبر سنة ٢٠١٠م.

ومن ترجماتها إلى اللغة العربية :

- رواية محبوبة (بامداد خمار). تأليف فتانه حاج سيد جوادى. ترجمة: د. ماجدة العنانى. المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٤م.

- خوخة وألف خوخة. تأليف صمد بهرنكي. ترجمة: د. ماجدة العنانى. المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٧م.

- رواية نون والقلم. تأليف جلال آل أحمد. ترجمة: د. ماجدة العنانى. المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٩م.

- أساطير آذربايجانية. تأليف صمد بهرنكي. ترجمة: د. ماجدة العنانى. قيد النشر.

التصحيح اللغوى طارق الشامى
الإشراف الفنى حسن كامل

خَطَت الرواية الفارسية خطوات واسعة في طريق التطور، وهناك بعض الروايات تعد من المعالم على الطريق، تصور القفزات الفنية الواسعة من ناحية المعالجة، كما أنها تقدم صورة واضحة للشعب الإيراني في صراعاته المختلفة، السياسية والاجتماعية. و الروائي "محمد حجازي" واحد من الرواد في هذا الاتجاه من حيث المعنى والمضمون.

أما عن "هما" فهي باكورة أعماله الأدبية، قد شرع في كتابتها وأتمها عام 1925م، وظهرت الطبعة الأولى منها إلى حيز الوجود عام 1927 م.

"هما" اسم لفتاة في العقد الثاني من عمرها، مثقفة من أسرة متوسطة الحال، توفي والدها وهي في الثامنة من عمرها، فعاشت هي وأمها في كنف أحد أصدقاء والدها ويدعى "حسن علي خان".

تميز حجازي كاتبًا بتعدد روافد ثقافته، وقدرته البارعة على استغلال هذه الثقافة عند طرح أفكاره بين ثنايا أعماله الأدبية.

تصميم الغ